وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوسطية

اسلامية - وسطية - فصلية - مستقلة

تصدر عن منتدى الوسطية للفكر والثقافة

السنة الأولى - العدد الأول - شعبان ١٤٢٨هـ/ أيلول ٢٠٠٧م

هيئة التحرير

رئيس التحرير

المهندس مروان الفاعوري

مدير التحرير

الدكتور محمد الخطيب

- ترحب المجلة بمساهمات ومشاركات الأخوة الكتاب والعلماء والمفكرين
- ما ينشر في هذا العدد يعبر عن آراء الكتّاب أنفسهم ولا يعكس بالضرورة آراء هيئة التحرير أو سياسة المنتدى

عمان - شارع الجمعية العلمية الملكية - مقابل مدارس الجامعة النموذجية
تلفون ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٣٥٦٣٢٩ فاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٣٥٦٣٤٩ ص.ب: ٢١٤٩ عمان ١١٩٤١ الأردن
E.mail: moderation_assembly@yahoo.com
Website: www.wastyea.com

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

محتويات العدد

الافتتاحية	رئيس التحرير	٣
دراسات إسلامية		
– الفتوى المباشرة وأحكامها	د. سلمان بن فهد العودة	٤
– الافتاء عبر الانترنت: آفاق وعوائق	أ. محمد إبراهيم بدران	١٤
– إنسانية النبي (ص) في معاملة الأسرى	د. عبدالله المعايطة	٢٥
– إنسانية النبي (ص) مع غير المسلمين في السلم والحرب من خلال ساحة المعركة	د. عدنان آل شلش	٣٢
– توجهات الإعلان العالمي	د. ياسين المقوسي	٣٥
ندوة العدد		
– خطبة الجمعة بين الواقع والطموح	أسرة التحرير	٤٠
أردنيات		
– رسالة عمان: الأمل والطموح والإنجاز	أ.د. محمد أحمد حسن القضاة	٤٧
– رسالة عمان: مضامين وتوجهات	م. مروان الفاعوري	٤٩
– لماذا رسالة عمان	إبراهيم شبّوح	٥١
وسطيتنا		
– رؤية الواقع والعالم من خلال الآخر	د. وائل ميرزا	٥٣
– الوسطية في البناء الاجتماعي	أ.د. عبد الحليم عويس	٥٧
– الحوار وأسس نجاحه	د. ياسر الشمالي	٦٣
حوار الحضارات		
– الإسلام والعلاقة مع الآخر	د. مريم آيت أحمد	٦٨
أسريات		
– في تجديد الخطاب النسوي المعاصر	د. فريال العلي	٧٢
– القوامة بين التأصيل الشرعي والعرف الاجتماعي	مروان أبو صلاح	٧٥
– ملتقى الفتاة	أسرة التحرير	٧٩
حوار العدد		
– لقاء مع المنسق العام للمنتدى العالمي للوسطية	أسرة التحرير	٨٠
كتب وقراءات		
– الوسيط في الحضارة الإسلامية	د. فايز الربيع	٨٥
المسلمون اليوم		
– المسلمون في الولايات المتحدة الأمريكية: الواقع والتحديات	عبيدة فارس	٨٧
استطلاع إسلامي		
– السياحة الدينية في الأردن	أحمد أبو دلو	٩٠
أدبيات إسلامية		
– وسطية الإسلام	إحسان محمود الفقيه	٩٧
– الرسالة الخالدة	سهاد علي جبر	٩٨
نشاطات ومتابعات	أسرة التحرير	٩٩

This file was downloaded from QuranicThought.com

يأتي اصدار العدد الاول من هذه المجلة(الوسطية) بعد سنوات خمس من عمر هذا المنتدى الذي التقى فيه الطموح والأمل بالارادة والعمل. ولقد جاء هذا المنتدى على قدر مع اوجب الاعمال واجلّها وهو توجيه وترشيد الفعل الاسلامي بحيث يبلغ مداه ويؤتي ثماره بعيداً عن المفرطين او المغالين الذين اختطفوا الاسلام وارادوا ان يقدموا للامة بل للبشرية صورة مزيفة لا تعبر عن روح هذا الدين العظيم الذي كرمه الله به الانسان وكرم البشرية ومنّ بها على الكون كله.

﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم عن كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾

لقد جاء منتدى الوسطية عدسة لامّة تركز الضوء وتجمعه بعد ان تبدد بفعل قوى الظلام على اختلافها بحيث يتعزز الخير وتعظم الايجابيات. ونسعى في المنتدى الى ان نصنع المسلم الصالح بصوفيته والعميق بسلفيته والعالم بشؤون بوقته، المسلم الذي يجمع ولا يفرق، المسلم الذي يتصف بحلم ابي بكر وحزم عمر وحياء عثمان وامانة ابي عبيدة وجود طلعة وزهد سعد وعقل ابن عوف.

اننا نتعامل مع الماضي وفق قوله تعالى: ﴿أولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم﴾.

اننا نتطلع الى تحفيز الجهود نحو مسيرة بناء اوطاننا وتجنب استنزاف طاقات امتنا بالصراع والكراهية والاحتراب

ان هذا المنتدى كبير باحلامه عظيم بطاقات شبابه ورجاله اصيل جامع بعمل فتيانه وفتياته.

ها هو ذا عبر عمره الذي لم يزد عن الخمس قد نظم ثلاثة مؤتمرات دولية مؤثره، وعقد ما يزيد عن مئة ندوة وورشة عمل امتد على رقعة هذا الوطن عبر محافظاته كلها فافتح ثمانية فروع واتسع مداه ليشكل المنتدى العالمي للوسطية ليكون بذلك اطاراً عربياً واسلامياً يكون مركزه عمان.

وانطلاقاً من سياسة المنتدى في التواصل مع المجتمع، من أجل نشر رسالته في التعريف بالإسلام بصورته السمحة، والتعريف بالثقافة الإسلامية الملتزمة والمنفتحة على ثقافة العصر والمرتبطة بالاصل، ارتأينا إصدار هذه المجلة الفصلية، لتكون منبراً للتواصل بين المنتدى ومحيطه العربي والإسلامي.

وها هو المؤتمر الدولي الثالث بعنوان « نحوإسهام عربي إسلامي في الحضارة الانسانية المعاصرة»، الذي يهدف إلى إبراز الدور الحضاري للمسلمين والعرب في الحضارة الإنسانية على مر العصور، وتفعيل دورهم في الحضارة الإنسانية المعاصرة، وسيساهم فيه نخبة من العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم.

إننا في منتدى الوسطية نتطلع إلى أن يكون هذا المؤتمر إسهاماً آخراً منا في الدور الذي أخذناه على عاتقنا في تقديم صورة الإسلام الحقيقة الحضارية، وهي صورة يحتاجها العالم المتعطش لمعرفة حقيقة هذا الدين.

والمنتدى إذ يقدم هذا العدد من مجلته، ليتطلع إلى مزيد من التواصل مع كل المفكرين والمثقفين والباحثين الذين يشاركونه الأهداف والقيم ذاتها، كما يرحب بنشر مقالاتهم وإسهاماتهم الفكرية عبر موقعه الإلكتروني.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

م. مروان الفاعوري

رئيس التحرير

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفتوى المباشرة وأحكامها

سلمان بن فهد العودة
المملكة العربية السعودية

مدخل:

الفتوى مصدر بمعنى الإفتاء، وتجمع على: فتاوى، وفتاوي، والفتيا تبيين المشكل من الأحكام، ومن معانيها تعبير الرؤى، يقول الله سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ»، والفتوى في الاصطلاح: تبيين الحكم الشرعي عن دليل لمن سأل عنه، أو هي نص جواب المفتي، وهي تختلف عن التقرير الابتدائي الذي يقرره العالم، أو العلم الذي يبذله من غير سؤال، وهي غالباً ما تطلق على الأجوبة الشرعية، فإن كانت نفسية أو اجتماعية أو غيرها فتكون استشارة أو نصحاً.

المقصود بالفتوى المباشرة

هي الفتوى عبر الإذاعة والتلفاز، وتكون صادرة عمن يتعرض للفتوى خلال تلك الوسائط، سواء كانت على الهواء، أو مسجلة، أو معادة أو غير ذلك.

ومنصب الإفتاء ذو أهمية إسلامية واجتماعية ودور حساس، ويكفيه عظماً وخطورة أن الله عز وجل قد تولاه بنفسه، يقول الله سبحانه وتعالى: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ»، وكفى بمن تولاه شرفاً أن يكون مهتماً بالتحري عن حكم الله في المسائل، وهي مهمة قام بها الأنبياء عليهم السلام، والخلفاء الراشدون، والصحابة رضي الله عنهم.

وشأن الفتوى كغيرها من فروض الكفاية، إذا قام بها من يكفي سقط الوجوب عن الآخرين، بيد أنها تجب عيناً إذا اكتملت عدة الفقيه، ولم يوجد مفت غيره، وفي هذا العصر بالخصوص فإن المختص الشرعي الذي اكتملت آلته، ونضجت معرفته بالمحكوم فيه، (وهو العالَمُ والواقعُ) فالقول بتعين الإفتاء عليه وجيه؛ لتوفره على فقه النفس الذي يقل وجوده، وتكثر الحاجة إليه في هذا العالم الزاخر بكل تالد وطريف.

والفتوى المباشرة هي إحدى متغيرات العصر ومنجزاته التي يجب توظيفها والانتفاع بها، أما التخوف والتردد فليس معناه الورع، بل هو يفضي إلى فتح المجال للعابثين، وغير المتخصصين، والذين لا يمتلكون آلة الإفتاء، أو لا يتوافرون

This file was downloaded from QuranicThought.com

على فقه النفس والاعتدال والعقل، وأيضاً فإن ذلك يعني – نفسياً – ضعف الثقة بالمعطى الشرعي الذي نقدمه.

ولا ينكر أحد أن الإعلام المرئي اليوم أصبح محوراً أساساً في منظومة الحياة لمختلف الشرائح والطبقات المجتمعية، وأصبح مصدراً من مصادر التوجيه والخطاب والتأثير، بل مصدراً لتوجيه الرأي العام، وقناةً من قنوات الاتصال الجماهيري.

والمفتي الذي يكشف عن رأيه وتقريبه لأحكام الشرع هو وريث نسبي لمقام النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو وريث علم الشريعة ومبلغها، وبقدر ما يكون عنده من علم الشريعة وارتواؤه منها، وفقهه للناس ينال من هذه الوراثة العظيمة، يقول إمام الأنبياء صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً، وإنما وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ)، ويقول عليه الصلاة والسلام: (أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ).

إن الحاجة لم تعد حاجة إلى من يحكم العبارة، ويجيد صياغة اللفظ فحسب، بل الأهم من يكشف دواخل الأشياء، وذلك هو فقيه النفس -كما يسميه الجويني والعز بن عبد السلام وغيرهما- الذي يفحص المقاصد العميقة للأشياء، والمعرفة الصادقة لفرز المسائل وتبيينها وتوضيحها، ومعرفة النصوص وفلسفتها واختلافاتها، وناسخها ومنسوخها، وذلك هو شرط العلم الذي تفرضه الشريعة على المفتي؛ قال الإمام الشافعي فيما رواه عنه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه له: لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُفْتِيَ فِي دِينِ اللَّهِ إِلَّا رَجُلًا عَارِفًا بِكِتَابِ اللَّهِ بِنَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَتَأْوِيلِهِ وَتَنْزِيلِهِ، وَمَكِّيِّهِ وَمَدَنِيِّهِ، وَمَا أُرِيدَ بِهِ، وَيَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ بَصِيرًا بِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام أحمد: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ إِذَا حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى الْفُتْيَا أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالسُّنَنِ، عَالِمًا بِوُجُوهِ الْقُرْآنِ، عَالِمًا بِالْأَسَانِيدِ الصَّحِيحَةِ.

وسئل ابن الْمُبَارَك: مَتَى يُفْتِي الرَّجُلُ؟

قَالَ: إِذَا كَانَ عَالِمًا بِالْآثَارِ، بَصِيرًا بِالرَّأْيِ.

يُرِيد بِالرَّأْيِ الْقِيَاسَ الصَّحِيحَ وَالْمَعَانِيَ، وَالْعِلَلَ الصَّحِيحَةَ الَّتِي عَلَّقَ الشَّارِعُ بِهَا الْأَحْكَامَ وَجَعَلَهَا مُؤَثِّرَةً فِيهَا طَرْدًا وَعَكْسًا.

ثم يلزمه أن يكون رصين الفكر، جيد الملاحظة، ثاقب النظرة، متأنياً، متثبتاً فيما يقول.

قال النووي رحمه الله: يَحْرُمُ التَّسَاهُلُ فِي الْفَتْوَى، وَمَنْ عُرِفَ بِهِ حَرُمَ اسْتِفْتَاؤُهُ، فَمِنْ التَّسَاهُلِ: أَنْ لَا يَتَثَبَّتَ، وَيُسْرِعَ بِالْفَتْوَى قَبْلَ اسْتِيفَاءِ حَقِّهَا مِنْ النَّظَرِ وَالْفِكْرِ، فَإِنْ تَقَدَّمَتْ مَعْرِفَتُهُ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ فَلَا بَأْسَ بِالْمُبَادَرَةِ، وَعَلَى هَذَا يُحْمَلُ مَا نُقِلَ عَنْ الْمَاضِينَ مِنْ مُبَادَرَةٍ.

ثم ينبغي للمفتي أن يكون على معرفة بأحوال الناس، فطناً لطبائعهم وتصرفاتهم، وأن يدقق النظر في السؤال والسائل، فكثيراً ما يكون السؤال ليس على قدر السائل، أو مستواه العلمي، أو يكون من المعضلات، أو متشابه الآيات، فيقدُر المفتي الأمورَ بقدرها، وتلك النظرة قدر عملي قد يدركه المفتي بالممارسة والملاحظة، كما يدرك الحكيم خبرته بالتجربة، ويدرك المتفرس فراسته بتملك الملكة، (والعلم بالتعلم، والحلم بالتحلّم)، كما في الأثر الذي رواه الخطيب البغدادي في تاريخه عن أبي الدرداء موقوفاً ومرفوعاً، وهو بالموقوف أشبه.

كما أن على المفتي أن يكون عارفاً بعادات الناس وأعرافهم، واختلاف ذلك من دولة لأخرى، فكثيراً ما يقع المفتي في خطأ في فتواه؛ لأن السائل يسأل عن شيء في بلده معروف بمسميات معينة، مختلفة عن بلد المفتي، فهو في واد، والمفتي في واد آخر، وكانت معرفة العادات شرطاً مهماً للفقيه والمفتي؛ لأن معرفة العادة تساعد على فهم الفتوى للحكم عليه، والأصوليون يقولون: الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وهذا التصور لا يحصل إلا بمعرفة العادات الشائعة بين الناس، والمهم أن يعرف العادة المؤثرة في الفتوى، أو المتعلقة بها؛ لأن بعض العادات تشكل شروطاً ضمنية، غير مذكورة في التعاملات الدنيوية – والتجارية بالخصوص – تؤثر على حقيقة الفتوى والحكم.

وينبغي للمفتي أن يقف على حقيقة الألفاظ من المستفتي، بحيث يكشف الواقع، فإن لم يصل المفتي إلى كشف الواقع فلا يحل له أن يفتيه، بل عليه أن يسأل، ويتثبت، ويتأنى.

ثم إن مراعاة الحكم الشرعي المتفق مع مقاصد الشريعة من أهم اعتناءات المفتي، قَالَ الشَّاطِبِيُّ: الْمُفْتِي الْبَالِغُ ذُرْوَةَ الدَّرَجَةِ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُ النَّاسَ عَلَى الْوَسَطِ الْمَعْهُودِ فِيمَا يَلِيقُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

بِالجُمْهُور، فَلا يَذْهَبُ بِهِمْ مَذْهَبَ الشِّدَّة، وَلا يَميلُ بِهِمْ إِلَى طَرَف الانْحلال، وَهَذَا هُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الَّذِي جَاءَتْ بِه الشَّرِيعَةُ، فَلا إِفْرَاطَ وَلا تَفْرِيطَ، وَمَا خَرَجَ عَنْ الْوَسَطِ مَذْمُومٌ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ.

وهذا المنهج الوسط هو شأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في كل أموره وتوجيهاته، فإنه قال لمعاذ رضي الله عنه لما أطال بالناس: (يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟! – ثَلاثاً –..)، (إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَأَيُّكُمْ مَا صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ فِيهِمُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَة)، وقال صلى الله عليه وسلم: (عَلَيْكُمْ مَا تُطِيقُونَ مِنَ الأَعْمَالِ، فَإِنَّ اللَّه لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا).

والمقصود أن المفتي لم يعد يخاطب مجموعة في حلقة أو فصل أو مسجد، عرفهم وعرفوه، بل أصبح يخاطب عالماً مليئاً بالمتناقضات والمختلفات، بالموافق والمخالف، والمؤمن والكافر، والصادق والكاذب، والناصح والمغرض؛ فعليه أن يكون فقيهاً بمقاصد الشريعة، ومآلات الأحكام، مطلعاً على العلوم الحديثة، عارفاً بأحوال المجتمعات، فمعرفة مآلات الأشياء فقه عظيم يعين على بعد النظر، وهو نوع من مقاصد الشريعة التي اعتنت بها مآلات النصوص ولاحظتها بالاستقراء والتتبع.

حكم مشاركة المفتي في وسائل الاعلام:

الوسائل الإعلامية عموماً تنقسم إلى قسمين:

الأول: وسائل سليمة المضمون، سواء كانت علمية، أو دعوية، أو تربوية.

وهذه الوسائل هدفها الرئيس هو دعوة الناس إلى دين الله، ونشر الوعي الشرعي، وتخصص أحياناً برامج ترفيهية لا تعارض الشريعة الإسلامية في أغلبها.

الثاني: وسائل غير خالصة المضمون، يغلب عليها اللهو غير البريء من عري وفساد وبدع وشبهات، إلا أنها قد تخصص على خارطتها برامج للفتيا على خارطتها.

التوسط في الفتيا في وسائل الإعلام.

التوسط: مأخوذ من الوسط ومادة: الواو، والسين، والطاء، تدل على معاني العدل والنّصف والخيرية والبينية. مقاييس اللغة ١٠٨/٦.

والوسط في الفتيا هو التوسط بين فتاوى أهل التشدد والغلو وبين أهل التساهل والتفريط.

قَالَ عَلِيٌّ: خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الأَوْسَطُ يَلْحَقُ بِهِمْ التَّالِي، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ الْغَالِي..

ودين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه.

وليس معنى التوسط أنه معنى من معاني التلفيق بين بعض الحق وبعض الباطل أو المراوحة بين العزائم والرخص بالهوى وما تشتهيه النفس، بل هو السير مع الأدلة حيث سارت والاهتداء بنورها، فالتوسط في الفتيا المعاصرة مشروع.

قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»،قال الطبري: كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام، وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا.. تفسير الطبري-(١٤١/٣)، وقال سبحانه وتعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»، والآية فيها إخبار وأمر بالتوسط في الدين حتى تكون الأمة شهيدة على الناس.

وقال تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ × صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»، فالأمة صراط مستقيم، وسط بين المغضوب عليهم والضالين، والنصوص كثيرة على مشروعية التوسط في كل شيء.

معالم التوسط في الفتيا المعاصرة

١-التوازن بين النصوص والمقاصد.

من الملاحظ أن من المفتين تجاه النوازل الحادثة من يمعن النظر في النصوص والفروع، ويستهلك جهده في تحليلها، والوقوف على مفرداتها، وتحليل ألفاظها؛ ليتوصل لحكم من خلال ذلك فقط، دون النظر لفقه المقاصد.

ومنهم من يمعن النظر إلى مقاصد الشريعة وكلياتها، وجوامع أحكامها، فيعملها دون النظر إلى النصوص الشرعية

This file was downloaded from QuranicThought.com

الجزئية، ثم يخرج بفتوى يعلن أنها مراد الشرع وروحه، ومن هنا نشأ التشدد والتساهل بين المدرستين، وأغريت العداوة والبغضاء بين الفريقين، إذ كلٌّ متمسك بطرف من الحق، والموازنة هي المخرج الحقيقي من هذا المأزق الذي يقع فيه الطرفان عبر الفضائيات.

ومن المحال استغناء النصوص الجزئية عن الكليات، ومن أخذ بالكليات معرضاً عن الجزئيات أخطأ لا محالة، والعدل هو الأخذ بالكلي والجزئي باستصحاب الآخر.

٢-الموازنة بين المصلحة والمفسدة.

والمفتي النابه هو من يعتبر المصالح والمفاسد في فتواه، ويراعي مراتب ذلك والمعتبر في المصالح هو ما يتحقق به مقصود الشريعة، فيراعي عند المزاحمة والمشاحة تقديم الفرض على النفل في الفعل، والمحرم على المكروه في الترك.. وغير ذلك.

ويتحرى تحصيل المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها قدر الإمكان، ويأمر بخير الخيرين وينهى عن شر الشرين.

٣-الموازنة بين العزائم والرخص.

هناك فرق بين رخصة الشرع التي قال فيها النبي - صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ)، وبين رخص المذاهب الفقهية، وتوجد في أحكام الشرع العزائم، وإعمال الرخص في مجالها مقصود شرعي، والغلو في حمل الناس على العزيمة بإطلاق لا يفرق عن مذهب التحلل بتتبع الرخص دائماً. فكلاهما مناقض لمقصود الشريعة.

قال الشاطبي رحمه الله في الموافقات: إن مراسم الشريعة إن كانت مخالفة للهوى فإنها أيضا إنما أتت لمصالح العباد في دنياهم ودينهم، والهوى ليس بمذموم إلا إذا كان مخالفاً لمراسم الشريعة، وليس كلامنا فيه، فإن كان موافقا فليس بمذموم، ومسألتنا من هذا فإنه إذا نصب لنا الشرع سبباً لرخصة، وغلب على الظن ذلك فأعملنا مقتضاه، وعملنا بالرخصة فأين اتباع الهوى في هذا؟ وكما أن اتباع الرخص يحدث بسببه الخروج عن مقتضى الأمر والنهي كذلك اتباع التشديدات، وترك الأخذ بالرخص يحدث بسببه الخروج عن مقتضى الأمر والنهي، وليس أحدهما بأولى من الآخر، والمتبع للأسباب المشروعة في الرخص والعزائم سواء، فإن كانت غلبة الظن في العزائم معتبرة كذلك في الرخص، وليس أحدهما أحرى من الآخر، ومن فرق بينهما فقد خالف الإجماع «.

٤-رد المتشابه إلى المحكم.

مناط اختلاف الفقهاء غالباً راجع إلى المتشابه من النصوص، وعدم وضوح الدليل بالنسبة للواحد منهم، والناس فيها صنفان:

الأول: رد الثابت من السنن بالمتشابه من القرآن والسنة.

الثاني: جعل المحكم متشابهاً لتعطيل دلالته.

والراسخون عاملون بما استبان لهم، فيؤمنون بالمتشابه، ويردونه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسرون به المتشابه، فتتفق الدلالات، وتتوافق النصوص، ويصدق بعضها بعضاً.

٥-الموازنة بين الغيرة على الحق ورحمة الخلق.

وهنا يلاحظ عدة أمور:

-بعض الغيورين من المشتغلين بالدين يلزم الناس بما يراه حقاً فيما اجتهد فيه، وليس من مسائل الإجماع والقطعيات، وقصارى ما عنده هو ما عند المخالف سواء بسواء.

-الحامل على ذلك هو باعث الغيرة، وحماية جناب الشريعة، والحرص على تمسك الناس بدينهم، والغضب لانتهاك ما يرونه من ملزمات الشريعة، وهذا نبل في المقصد، إلا أنه يجب أن يضبط بأصول الشريعة وقواعدها، بحيث لا يرتد سلباً في قطع أواصر الأخوة وتمزيق وحدة الصف وبنيان الأمة، ونصوص الشريعة متضافرة على الأمر بالاتفاق، ونبذ الاختلاف والافتراق.

-ومما يؤسف له استباحة أعراض العلماء في مسائل قصاراها الاجتهاد، راعى طرف فيها الأصل، وراعى الآخر الحال العارضة، وكلاهما معظِّم للنصوص ومسلم بها، لكن اختلف المأخذ عند الطرفين، فيطلق كل منهما لسانه عتباً وسباً وذماً وإقصاءً باسم الغيرة على الملة وحماية جنابها.

حكم مشاركة المفتي في وسائل الاعلام:

الوسائل الإعلامية عموماً تنقسم إلى قسمين:

الأول: وسائل سليمة المضمون، سواء كانت علمية، أو دعوية، أو تربوية..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهذه الوسائل هدفها الرئيس هو دعوة الناس إلى دين الله، ونشر الوعي الشرعي، وتخصص أحياناً برامج ترفيهية لا تعارض الشريعة الإسلامية في أغلبها. الثاني: وسائل غير خالصة المضمون، يغلب عليها اللهو غير البريء من عري وفساد وبدع وشبهات، إلا أنها قد تخصص على خارطتها برامج للفتيا.

التوسط في الفتيا في وسائل الإعلام

التوسط: مأخوذ من الوسط ومادة: الواو، والسين، والطاء، تدل على معاني العدل والنّصف والخيرية والبينية. مقاييس اللغة ١٠٨/٦.

والوسط في الفتيا هو التوسط بين فتاوى أهل التشدد والغلو وبين أهل التساهل والتفريط.

قَالَ عَلِيٌّ: خَيْرُ النَّاسِ هَذَا النَّمَطُ الْأَوْسَطُ يَلْحَقُ بِهِمْ التَّالِي، وَيَرْجِعُ إِلَيْهِمْ الْغَالِي..

ودين الله وسط بين الغالي فيه، والجافي عنه.

وليس معنى التوسط أنه معنى من معاني التلفيق بين بعض الحق وبعض الباطل أو المراوحة بين العزائم والرخص بالهوى وما تشتهيه النفس، بل هو السير مع الأدلة حيث سارت والاهتداء بنورها، فالتوسط في الفتيا المعاصرة مشروع.

قال تعالى: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً»،قال الطبري: كما هديناكم أيّها المؤمنون بمحمد عليه الصلاة والسلام، وبما جاءكم به من عند الله، فخصصناكم بالتوفيق لقبلة إبراهيم وملته، وفضلناكم بذلك على من سواكم من أهل الملل، كذلك خصصناكم ففضّلناكم على غيركم من أهل الأديان، بأن جعلناكم أمة وسطًا.. تفسير الطبري-(١٤١/٣)، وقال سبحانه وتعالى: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ»، والآية فيها إخبار وأمر بالتوسط في الدين حتى تكون الأمة شهيدة على الناس. وقال تعالى: «اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ × صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ»، فالأمة صراط مستقيم، وسط بين المغضوب عليهم والضالين، والنصوص كثيرة على مشروعية التوسط في كل شيء.

معالم التوسط في الفتيا المعاصرة مايلي:

١-التوازن بين النصوص والمقاصد.

من الملاحظ أن من المفتين تجاه النوازل الحادثة من يمعن النظر في النصوص والفروع، ويستهلك جهده في تحليلها، والوقوف على مفرداتها، وتحليل ألفاظها؛ ليتوصل لحكم من خلال ذلك فقط، دون النظر لفقه المقاصد. ومنهم من يمعن النظر إلى مقاصد الشريعة وكلياتها، وجوامع أحكامها، فيعملها دون النظر إلى النصوص الشرعية الجزئية، ثم يخرج بفتوى يعلن أنها مراد الشرع وروحه، ومن هنا نشأ التشدد والتساهل بين المدرستين، وأغريت العداوة والبغضاء بين الفريقين، إذ كلٌّ متمسك بطرف من الحق، والموازنة هي المخرج الحقيقي من هذا المأزق الذي يقع فيه الطرفان عبر الفضائيات. ومن المحال استغناء النصوص الجزئية عن الكليات، ومن أخذ بالكليات معرضاً عن الجزئيات أخطأ لا محالة، والعدل هو الأخذ بالكلي والجزئي باستصحاب الآخر.

٢-الموازنة بين المصلحة والمفسدة.

والمفتي النابه هو من يعتبر المصالح والمفاسد في فتواه، ويراعي مراتب ذلك والمعتبر في المصالح هو ما يتحقق به مقصود الشريعة، فيراعي عند المزاحمة والمشاحة تقديم الفرض على النفل في الفعل، والمحرم على المكروه في الترك.. وغير ذلك. ويتحرى تحصيل المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها قدر الإمكان، ويأمر بخير الخيرين وينهى عن شر الشرين.

٣-الموازنة بين العزائم والرخص.

هناك فرق بين رخصة الشرع التي قال فيها النبي - صلى الله عليه وسلم-: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ)، وبين رخص المذاهب الفقهية، وتوجد في أحكام الشرع العزائم، وإعمال الرخص في مجالها مقصود شرعي، والغلو في حمل الناس على العزيمة بإطلاق لا يفرق عن مذهب التحلل بتتبع الرخص دائماً. فكلاهما مناقض لمقصود الشريعة.

قال الشاطبي رحمه الله في الموافقات: إن مراسم الشريعة إن كانت مخالفة للهوى فإنها أيضا إنما أتت لمصالح العباد

This file was downloaded from QuranicThought.com

في دنياهم ودينهم، والهوى ليس بمذموم إلا إذا كان مخالفاً لمراسم الشريعة، وليس كلامنا فيه، فإن كان موافقا فليس بمذموم، ومسألتنا من هذا فإنه إذا نصب لنا الشرع سبباً لرخصة، وغلب على الظن ذلك فأعملنا مقتضاه، وعملنا بالرخصة فأين اتباع الهوى في هذا؟ وكما أن اتباع الرخص يحدث بسببه الخروج عن مقتضى الأمر والنهي كذلك اتباع التشديدات، وترك الأخذ بالرخص يحدث بسببه الخروج عن مقتضى الأمر والنهي، وليس أحدهما بأولى من الآخر، والمتبع للأسباب المشروعة في الرخص والعزائم سواء، فإن كانت غلبة الظن في العزائم معتبرة كذلك في الرخص، وليس أحدهما أحرى من الآخر، ومن فرق بينهما فقد خالف الإجماع «.

رد المتشابه إلى المحكم.

مناط اختلاف الفقهاء غالباً راجع إلى المتشابه من النصوص، وعدم وضوح الدليل بالنسبة للواحد منهم، والناس فيها صنفان:

الأول: رد الثابت من السنن بالمتشابه من القرآن والسنة.

الثاني: جعل المحكم متشابهاً لتعطيل دلالته.

والراسخون عاملون بما استبان لهم، فيؤمنون بالمتشابه، ويردونه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسرون به المتشابه، فتتفق الدلالات، وتتوافق النصوص، ويصدق بعضها بعضاً.

٥-الموازنة بين الغيرة على الحق ورحمة الخلق.

وهنا يلاحظ عدة أمور:

-بعض الغيورين من المشتغلين بالدين يلزم الناس بما يراه حقاً فيما اجتهد فيه، وليس من مسائل الإجماع والقطعيات، وقصارى ما عنده هو ما عند المخالف سواء بسواء.

-الحامل على ذلك هو باعث الغيرة، وحماية جناب الشريعة، والحرص على تمسك الناس بدينهم، والغضب لانتهاك ما يرونه من ملزمات الشريعة، وهذا نبل في المقصد، إلا أنه يجب أن يضبط بأصول الشريعة وقواعدها، بحيث لا يرتد سلباً في قطع أواصر الأخوة وتمزيق وحدة الصف وبنيان الأمة، ونصوص الشريعة متضافرة على الأمر بالاتفاق، ونبذ الاختلاف والافتراق.

-ومما يؤسف له استباحة أعراض العلماء في مسائل قصاراها الاجتهاد، راعى طرف فيها الأصل، وراعى الآخر الحال العارضة، وكلاهما معظِّم للنصوص ومسلم بها، لكن اختلف المأخذ عند الطرفين، فيطلق كل منهما لسانه عتباً وسباً وذماً وإقصاءً باسم الغيرة على الملة وحماية جنابها.

سلبيات الفتاوى الفضائية:

١-تسرع بعض المفتين دون أن يستوعب السؤال.

عدّ النووي رحمه الله التسرع في الفتوى، وعدم التثبت من التساهل، وهذا من سلبيات الفتوى الفضائية، وليست كل المسائل المستفتى فيها يجاب عنها في بضع ثوان.

بل بعض المسائل تحتاج إلى النظر في الدليل، وأقوال من سبق من أهل العلم، وربما احتاج الأمر إلى تفصيل وتحليل، ولا يحسن فيه الإجمال، وربما كانت المسألة من النوازل الحادثة المستجدة مما تحتاج إلى عناية وتأمل، وإعمال فكر، ومراجعة من المفتي وبحث، وسؤال المختصين عن حقيقتها، ونحو ذلك، وكل هذا وغيره قد يتعارض مع طبيعة برامج الفضائيات التي تقوم على سرعة الأداء وأن تكون الإجابة في سرعة السؤال المطروح.

٢- اختلاف أحوال الناس، وصعوبة تنزيل الكلام على حال المستفتي.

من المقرر أن الحكم الشرعي لا يتغير، أما الفتوى– وهي تنزيل الحكم على الواقع– فتتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص والقدرة وغير ذلك، (وفي ذلك يقول العلماء: النصوص متناهية-أي: ثابتة محددة- والحوادث-أي: الواقع والمستجدات- غير متناهية)، فما ينزل فيه الحكم على شخص في مكان قد لا يصلح لغيره في مكان آخر، وما يفتى به في زمن يغايره زمن بعده، وفتوى المريض تختلف عن فتوى الصحيح، والصغير عن الكبير والمستهتر يختلف عن الجاد. والسائلون في البرامج الفضائية والإذاعية من دول وأماكن متفرقة متباينة العادات والأعراف والأحوال، وقد لا يكونون من بلد المفتي، وربما لا يحيط بأحوالهم ومقاصدهم ولغاتهم المحلية، مما يوقعه في الخطأ أو الحرج.

جاء رجل إلى ابن عباس فقال: لمن قتل مؤمناً توبة ؟ قال: لا إلا النار، فلما ذهب قال له جلساؤه: ما هكذا كنت تفتينا، كنت تفتينا أن لمن قتل مؤمناً توبة مقبولة، فما بال اليوم؟ قال: إني أحسبه رجلاً مغضباً، يريد أن يقتل مؤمناً، قال: فبعثوا في أثره فوجدوه كذلك، وعن ابْنِ عَبَّاس: أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ قَتَلَ لَهُ تَوْبَةٌ؟ فَقَالَ مَرَّةً: لا، وَقَالَ مَرَّةً: نَعَمْ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: رَأَيْت فِي عَيْنَيْ الْأَوَّلِ أَنَّهُ

This file was downloaded from QuranicThought.com

يَقصِدُ الْقَتْلَ فَقَمَعْته، وَكَانَ الثَّاني صَاحِبَ وَاقِعَةٍ يَطْلُبُ الْمَخْرَجَ.

٣- تحرّج بعضهم من قول: (لا أدري).

أو أن يحيل على متخصصين، ظاناً منه أن ذلك يعد منقصة في حقه.

عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع ابن عمر نمشي، فلحقنا أعرابي فقال: أنت عبد الله بن عمر؟ قال: نعم.

قال: سألت عنك فدللت عليك، فأخبرني أترث العمة؟

قال: لا أدري، قال: أنت لا تدري؟ قال: نعم. اذهب إلى العلماء بالمدينة فاسألهم؛ فلما أدبر قبل يديه، قال: نعمَّا قال أبو عبد الرحمن؛ سئل عما لا يدري فقال: لا أدري.

وقال ابن مسعود: من كان عنده علم فليقل به؛ ومن لم يكن عنده علم فليقل: « الله أعلم «؛ فإن الله قال لنبيه:

«قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين».

وقال مالك: من فقه العالم أن يقول: «لا أعلم» فإنه عسى أن يتهيأ له الخير.

وقال: سمعت ابن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلساءه من بعده «لا أدري»؛ حتى يكون ذلك أصلاً في أيديهم يفزعون إليه.

وقال الشعبي: « لا أدري « نصف العلم.

إن قول «لا أدري» يعني أخلاقياً: التواضع والبساطة ونفي التكبر، وعلمياً: احترام التخصص، واحتياج كل الناس لمزيد من العلم والبحث والدراسة، واتساع مساحة الجهل في الإنسان، وعملياً: إدراك أن هذا المفتي لا يتحدث عن كل شيء وأنه يتحدث عما يعرف، مما يقوّي قيمة المفتي فيما يتحدث عنه، ويبعث الثقة في حديثه وكلامه.

٤- اختلاف لهجات السائلين لاختلاف بلدانهم، وهذا قد يوقع المفتي في المحذور.

فكثير من المسميات تختلف من بلد لآخر حتى في نفس الدولة أحياناً، وكثيراً ما نرى السائل يسأل عن شيء، ويجيب المفتي عن شيء آخر.

ففي إحدى الحلقات سألت امرأة أحد المفتين عن حَلّ لإرضاء زوجها الغاضب منها!

فقال الشيخ: تلطفي له وتجملي له، ثم قال: «ساحريه» فقالت السائلة: (أعمل له سحر يا شيخ؟!)، فتفطن مقدم البرنامج ونبه الشيخ على فهمها، وأن مقصود الشيخ أن تسحره بأسلوبها، وكلامه العذب، لا أن تذهب إلى ساحر، ومثل ذلك كثير.

٥- دخول من ليس من أهل صناعة الفتوى في ميدانها.

بسبب كون البرامج الدينية منافسة لغيرها، أو لقلة البرامج الدينية وكثرة المشاهدين والمتابعين فيصعب معه تغطية الاحتياجات، مما يكون له أسوأ الأثر على المستفتي، فمنصب المفتي توقيع عن رب العالمين(أي استنباط حكم الله في الفتيا)، قال ابن القيم: ولما كان التبليغ عن الله سبحانه يعتمد العلم بما يبلغ، والصدق فيه، لم تصلح مرتبة التبليغ بالرواية والفتيا، إلا لمن اتصف بالعلم والصدق؛ فيكون عالماً بما يبلغ، صادقاً فيه، ويكون مع ذلك حسن الطريقة، مرضي السيرة، عدلاً في أقواله وأفعاله، متشابه السر والعلانية في مدخله ومخرجه وأحواله؛ وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟

٦- قضية الإيجاز في الفتوى. بسبب:

- وقت البرنامج.
- كثرة المتصلين.
- تعدد الأسئلة من نفس المتصل، ورغبته في إجابة المفتي عن كل أسئلته.

٧- اضطرار المفتي للخوض في قضايا الإثارة.

يحلو لبعض البرامج أن تستقطب أعداداً غفيرة من المتابعين على حساب الموضوع الشرعي المطروح، وقد تهمها «الإثارة» المزيفة على حساب «الإثراء» النافع ؛ ومن ذلك مناقشة القضايا المثيرة؛ كقضايا تعدد الزوجات والجن والسحر...، وفتح المجال على مصراعيه للمداخلين بالرد والمناقشة والإثارة والجدل، مع عدم التفريق بين ما هو شرع لا مزايدة فيه، وبين من يطبقون هذا الشرع بأساليب خاطئة، مما يجعل البرنامج والفتاوى المذاعة فيه هي من قبيل تضييع الوقت والجهد وعدم الفائدة، ومن مواطن الإثارة وجود فتاوى ذات متعلقات سياسية، أو لها حساسية اجتماعية، كقضايا التكافؤ النسبي في الزواج، أو ذات إشكالية علمية، كقضايا نقل الأعضاء، والتحكم بجنس المولود ونحو ذلك، وذلك كله يحول الفتوى من مجال تطبيق الحكم الشرعي فيها، والبحث

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن حكم الله المجرد إلى جدل، وذلك يفرض نوعاً من القوة الشخصية في استطاعة المفتي على الإجابة، وأخذ طرف النقاش، وعدم تعريض النص الشرعي للإشكال.

٨- سوء القصد من المستفتي.

نحن في عصر تشكلت فيه الطوائف والأحزاب والمذهبيات بحدة بالغة،

وكل يدعي وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذاكا والفضائيات –اليوم- ذوبت الحواجز والجدر، والأسوار الفاصلة بين الأفكار والاعتقادات؛ فأصبح من السهل في برنامج واحد أن يسأل أناس من مذاهب شتى، وفرق متباينة وكل منهم يجر المفتي، ويستنطقه بما يريد من حق ومن باطل، وكثير منهم لا يسألون رغبة في الصواب ومعرفة الدليل واتباعه، قال ابن القيم:» يحرم عليه إذا جاءته مسألة فيها تحيل على إسقاط واجب أو تحليل محرم أو مكر أو خداع أن يعين المستفتي فيها، ويرشده إلى مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده، بل ينبغي له أن يكون بصيراً بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذراً فطناً، فقيهاً بأحوال الناس وأمورهم، يوازره فقهه في الشرع، وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ».

٩- عدم تصور المفتي للمسألة كما ينبغي.

فيجيب بالخطأ أو بجواب بعيد عن السؤال، وهذا بسبب كثرة الأسئلة، وضيق وقت البرنامج، واستعجال المقدم، واختلاف لهجات السائلين وأعرافهم...، مما يربك المفتي في التصور الحقيقي لسؤال المستفتي.

ضوابط الافتاء في وسائل الاعلام:

١. مراعاة المفصد الشرعي للفتيا.

والمقصود من الفتيا هو البيان التام لحكم الله في المسألة حسب وسع وطاقة المفتي.

ولتحقيق ذلك ينبغي على المفتي أمران:

١- عام: وهو حث جمهور المسلمين على توحيد الصف.

٢- خاص: وهو وعظ الغافل وارشاده وزجره وترغيبه.

بيد أن معايير معظم البرامج الافتائية تسير عى نمط المعايير العالمية للبث منتركيزها على المادة والوهج الاعلامي والابهار وسرعة العرض وتبادل الادوار بين المشاهد والمقدم والمفتي، ولئن صلح هذا في البرامج العامة فقد لا يصلح لبرامج الفتيا التي لها نمط خاصة من التريث والتثبت والاستفصال وغير ذلك.

٢. مراعاة أحوال المستفتين واختلافاتهم أعراقاً وعادات.

(الحكم على الشيء فرع عن تصوره) وقديماً كان المستفتي مع المفتي وجهاً لوجه في دائرة ضيقة، فيستفصل المفتي ويحيط بظروف السائل، والفضائيات الآن قضت على هذه الخصوصية تقريباً، وبالرغم من هذا فينبغي للمفتي ان يحسن تصور المسألة من المستفتي، وليس الشأن في كثرة علوم المفتي الآن انما الشأن في تتريل علمه على الوقائع والنوازل، وتلك ملكة فقهية مطلوبة في المفتي عموماً وفي مفتي الفضائيات خاصة.

فثمنت فرق بين حافظ الفقه والفروع والجزئيات وأقوال الأئمة ولا يحسن تتريلها على الوقائع، وبين من يحسن التتريل والتأصيل وضبط الأمور بضوابطها.

قال الحطاب: (إنما الغرابة في استعمال كليات علم الفقه وانطباقها على جزئيات الوقائع بين الناس، وهو عسير على كثير من الناس فنجد الرجل يحفظ كثيراً من العلم ويفهم ويعلم غيره فاذا سئل عن واقعه ببعض العوام من مسائل الصلاة أو من مسائل الايمان لا يحسن الجواب بل لا يفهم مراد السائل عنها إلا بعد عسر. وللشيوخ في ذلك حكايات) مواهب الجليل (٨٧/٦).

دقة اختيار القناة للمفتي

الفضائيات وسيلة جماهيرية واسعة، تبرز فيها صناعة النجوم واستقطاب الجماهير بمن يظهر عليها بتلميعة أحياناً وجذب المشاهدين له، وما قد يصلح من ناحية المعايير الإعلامية من المفتين قد لا يصلح بالمعايير الشرعية.

فينبغي الحرص على المفتي ذي القدرة على مخاطبة الشرائح المختلفة، البارع في تفهيم العقول المتباينة، المؤصل لفتواه علماً وتعليماً وبثاً للخلق ومقاصد الشريعة.

فالكثير من المفتين يميلون الى التسطح والألفاظ العامة

This file was downloaded from QuranicThought.com

الخطابية والوعظ في وقت الحاجة للبيان بدعوى إظهار التسامح وعدم التعقيد.

الاحتياط في الفتيا

النوازل الحادثة قد تشبه بعض النوازل القديمة فيصبح إلحاقها لكن البعض الآخر يختلف باختلاف العصر الحديث فلا يتمحص الشبه بين القديم والحديث، و الواجب على المفتي التروي وعدم الاقدام على الفتيا في النازلة حتى لو استعجله المقدم بحسم الجواب فيها.

(قال الامام أحمد: اذا هاب الرجل شيئاً لا ينبغي أن يحمل على ما يقول) الانصاف للمرداوي ١١/١٨٥.

و الملاحظ توسع المفتين واطلاق الأحكام العامة ونادراً من يقول لا أدري مع أنها كانت ديدن السلف.

مراعاة أوجه التحريم والتحلي

فيفتي بالاجماعات وبما اتفق عليه الأئمة أو الجمهور ولا عبرة لما يسود في بعض البلدان من أعراف ومعتقدات لا مستند لها من الشرع ولو على قول مرجوح، ثم إن الفتي لا يحمل الناس ويشوش عليهم في مسألة اجتهادية.

قال ابن سراج: إذا جرى الناس على شيء له مستند صحيح وكان للإنسان مختار غيره لا ينبغي له أن يحمل الناس على مختاره فيدخل عليهم شغبا في أنفسهم وحيرة في دينهم: إذ من شرط التغيير أن يكون متفقا عليه، اهـ. التاج والاكليل ٢/٤٧٥.

التفصيل وليس التعميم

أغلب مسائل الفقه مبنية على التفصيل لا التعميم، وعلى هذا سار الأئمة المحققون في بحوثهم ومسائلهم.

وعليه فمن سئل مثلاً عن المنتجات الحضارية، كالأجهزة وغيرها فلا يحسن إطلاق الحكم، بل التفصيل والشرط فمن استعمله في محرم فهو محرم، ومن استعمله في مباح فهو مباح، فالمناط بالفعل وليس الحل.

عدم التقيد بمذهب خاص:

بل يراعى تنوع المستمعين، واللجوء الى الفقه المقارن وسياق الخلاف بأسلوب مبسط:

فإذا ذكر مذاهب الأئمة الفقهاء يقرب المفتي من الناس بتفرق ميولهم المذهبية الفقهية، وهذا الخلاف الفقهي الواسع يتيح للمفتي الترجيح بين هذه الأقوال، كما يعينه على مراعاة عوائد الشعوب واختياراتها الفقهية والتي أغلبها تلتزم مذهباً معيناً في الفقه والافتاء ولو على الصعيد الرسمي، وعلى أية حال فالفقه المقارن وذكر خلاف المذاهب يساعد المستمع والمشاهد على تقبل الحكم والوثوق به كما يعوّده على احترام الأئمة وحبهم وعدم التعصب للرأي أو المذهب.

عدم الدخول في التفصيلات:

والتي تختلف من بلد الى آخر كأنواع اللباس والعوائد فإن هذه التفصيلات قليلة الفائدة كما أنها تحجب الناس المختلفين عن الاهتمام بهذا المفتي بحكم أقليميته واهتمامه الخاص بهذا البلد.

التيسير المتوازن فيما لا نص فيه:

فان التيسير ليس مذهباً فقهياً أو رأياً خاصاً بل هو مقصد عظيم وأساس متين للشريعة الاسلامية (يسرا ولا تعسيرا) رواه البخاري ومسلم.

فهذا النص ليس خاصاً أو منسوخاً فهو محكم ثابت واضح الدلالة فلسنا نحتاج لاعتماده دليل أو رأي مع هذا البيان النبوي العظيم، وهذا التيسير الديني لا مجال فيه للعبث أو التساهل لأنه مضبوط بما ليس فيه نص واضح، فالتيسير مقصد مهم من مقاصد التشريع لتطبيق الأحكام ولفهم النصوص وتتريلها.

ليس كل المسائل يكون فيها حكم صريح بالحلال أو الحرام، فيحسن بالمفتي أن يسوق الفضائل ويحث عليها، أو المثالب ويحذر منها.

ذكر الدليل ما أمكن

ولو أن يذكر دليلاً واحداً: فالدليل يعلم المستمع والمشاهد ربط الحكم بالنص واحترام النص والالتجاء إليه وتحكيمه في الحياة الخاصة والعامة كما يقول ابن القيم (والعلم معرفة الهدى بدليله) فالدليل هو الحجة الثابته التي يقدمها المفتي أمام الله أولاً لقوله بهذا الرأي وأمام الناس لأن الله سيسأل الناس (ماذا أجبتم المرسلين).

This file was downloaded from QuranicThought.com

تجنب الدخول في صراعات مع مفتين آخرين

فان المفتي ينبغي أن يكون قدوة حسنة للناس في معرفة أدب الخلاف وحسن الظن وعدم التعصب والتعنيف على المخالف خصوصا على إخوانه الفقهاء والعلماء والمفتين.

تسويغ بعض الأحكام التي تبدو غريبة والاشارة الى حكمتها وبعض أسرارها والتأنق في عرضها:

فان استغراب الناس للحكم يفترض أن يبعث الفقيه للمزيد من التوضيح لهذا الحكم ولدليله ومأخذه من التشريع والدلالة والقوة والرأي وذكر من قال به، والأئمة الذين نصروا هذا القول، ومبررات القول به.

الحذر من التفريط

والانسياق وراء كل رأي، ونبذ الفتاوى المجافية للنصوص الواضحة والاجماع، مثل: جواز زواج المسلمة بكتابي، أو جواز الدعوة للنصرانية والمذاهب المنحرفة في أوساط المسلمين، فان المجتمع له ثوابت دينية لا يحق لأحد أن ينازع فيها أو يبث رأيه الخاص الذي يخالف هذه النصوص الجلية.

وتجنب الفتاوى الشاذة التي قد تقبل في نطاق خاص أو ظرف خاص، ولكن لا تصلح ولا تقبل للعامة، والفتوى المعلنة التي يطير الناس بها كل مطار.

الواقع وأسبابه ومقترحات الحل:

ثمت ضعف ظاهر، وتسرع في الفتوى، وتضارب شديد وظهور لمزاج المفتي أكثر من علمه.

عدم تدريب الشرعيين على الخطاب:

هناك شريحة واسعة من طلبة العلم الشرعي الذين يعرفون آحاد النصوص وربما يحفظونها وبعضهم يفهم مجملها وقليل منهم من يمتلك الفهم الناضج السليم والعقل الراجح المستوعب واللغة الجيدة التي تؤهله للخطاب العام وتعطيه المقدرة على نشر الرأي الشرعي والحديث عنه في وسائل الاعلام بشكل يرفع قيمة هذا الرأي ولا يغمطه حقه.

مقترحات الحل:

١- اختيار المؤهلين للفتوى كما نختار القضاة وغيرهم:

فالاختيار بين المؤهلين يفرض مزيد العناية والتأهيل، ويشيع نوعاً من التنافس المحمود على الخير والقوة العلمية والفكرية والمعرفية، ويعطي الناس تمييزاً بين القوي والأقوى.

٢- عقد دورات لإعداد المفتين وتدريبهم:

الدورات العلمية في المساجد شكل مهم من أشكال طلب العلم الشرعي غير أنها نوع واحد، وهناك أنواع أخرى في فرض دورات رسمية أو أهلية تعطي شهادات معتمدة مختومة على فهم هذه المواد العلمية المعينة أو على هذه العلوم المخصوصة وهذا يشجع على العلم الشرعي ويعطي ثقة بقوته وحضوره وبامتلاك هذا الطالب لمؤهلات أقرب لتحقيق شرط الافتاء.

٣- قيام المجامع الفقهية بدورها في العمل الاعلامي فضائياً أو إذاعياً أو صحفياً:

المجامع الفقهية قوة حاضرة في منتدياتها الخاصة وقليلة الحضور الإعلامي من فضائيات وصحف ومجلات وذلك خطأ من القنوات والصحف ومن أصحاب هذه المجامع التي يجب أن تقول صوتاً مسموعاً للناس في الفتاوى المهمة والعصرية.

٤- قيام جهات الإفتاء بدورها في ذلك:

وجهات الإفتاء كثيرة من التجمعات الخاصة والمؤسسات الإسلامية إلى الهيئات الشرعية في الدول إلى المجامع الكبيرة كمجامع الفقه الاسلامي.

٥- تأسيس جمعيات علمية مستقلة لغرض ضبط الفتوى، وتحقيق مصالح الناس فيها:

وذلك مطلب الشعوب والناس والشركات والأفراد فهذا صوت شرعي يراعي مصالحهم ويقوم على حل إشكالياتهم، ويناقش قضاياهم الدينية.

٦- تأسيس قنوات متخصصة:

واذاعات متخصصة للإفتاء واستقبال الأسئلة والفتوى طوال الوقت لحاجة الناس الماسة في الأوقات المختلفة للفتاوى الشرعية بل وأحياناً بشكل إضطراري وعاجل.

٧- التنسيق بين دوائر العمل الشرعي:

والتي تشارك في الفتوى كمواقع الانترنت وبين القنوات والصحف والإذاعات في نشر الفتاوى وصياغتها وهذا عمل المهتمين والمتابعين ويمكن تعيين إداريين لهذا الشأن ولدوام متابعة ذلك.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الإفتاء عبر الانترنت آفاق وعوائق

الأستاذ محمد ابراهيم زيدان
جمهورية مصر العربية

الفتوى منصب عظيم الأثر، بعيد الخطر، فإن المفتي ـ كما قال الإمام الشاطبي ـ قائم مقام النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فهو خليفته ووارثه «العلماء ورثة الأنبياء» وهو نائب عنه في تبليغ الأحكام، وتعليم الأنام، وإنذارهم بها لعلهم يحذرون، وهو إلى جوار تبليغه في المنقول عن صاحب الشريعة، قائم مقامه في إنشاء الأحكام في المستنبط منها بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه ـ كما قال الشاطبي ـ شارع، واجب اتباعه، والعمل على وفق ما قاله، وهذه هي الخلافة على التحقيق .

واعتبر الإمام أبو عبد الله بن القيم المفتي موقعا عن الله تعالى فيما يفتي به، وألف في ذلك كتابه القيم المشهور «إعلام الموقعين عن رب العالمين» الذي قال في فاتحته : «إذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذي لا ينكر فضله، ولا يجهل قدره، وهو من أعلى المراتب السنيات، فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات؟ !»

وكان بعضهم يتوقف عن الفتوى فلا يجيب ويحيل إلى غيره أو يقول: لا أدري. قال عتبة بن مسلم: صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرا، فكان كثيرا ما يسأل فيقول: لا أدري !

يقول الامام النووي – رحمه الله – في مقدمة كتاب المجموع شرح المهذب :

اعلم ان الافتاء عظيم الخطر كبير الموقع كثير الفضل لان المفتى وارث الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وقائم بفرض الكفاية لكنه معرض للخطأ ولهذا قالوا المفتى موقع عن الله تعالى: وروينا عن ابن المنكدر قال العالم بين الله تعالى وخلقه فينظر كيف يدخل بينهم. وروينا عن السلف وفضلاء الخلف من التوقف عن الفتيا أشياء كثيرة: معروفة نذكر منها أحرفا تبركا: وروينا عن عبد الرحمن ابن أبي ليلى قال ادركت عشرين ومائة من الانصار من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسئل أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الاول. وفي رواية ما منهم من يحديث بحديث الا ودان اخاه كفاه اياه ولا يستفتى عن شئ الا ودان اخاه كفاه الفتيا. وعن ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم من أفتى عن كل ما يسئل فهو مجنون. وعن الشعبى والحسن وابى حصين بفتح الحاء التابعين قالوا ان احدكم ليفتى في

This file was downloaded from QuranicThought.com

المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه لجمع لها أن أهل بدر: وعن عطاء بن السائب التابعي أدركت أقواما يسئل احدهم عن الشئ فيتكلم وهو يرعد: وعن ابن عباس ومحمد بن عجلان إذا اغفل العالم لا أدرى أصيبت مقاتله. وعن سفيان بن عيينة وسحنون أجسر الناس على الفتيا اقلهم علما. وعن الشافعي وقد سئل عن مسألة فلم يجب فقيل له فقال حتى ادري ان الفضل في السكوت أو في الجواب. وعن الاثرم سمعت احمد بن حنبل يكثر ان يقول لا ادري وذلك فيما عرف الاقاويل فيه. وعن الهيثم بن جميل شهدت مالكا سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في ثنتين وثلاثين منها لا ادرى. وعن مالك ايضا انه ربما كان يسئل عن خمسين مسألة فلا يجيب في واحدة منها وكان يقول من اجاب في مسألة فينبغي قبل الجواب ان يعرض نفسه على الجنة والنار وكيف خلاصه ثم يجيب: وسئل عن مسألة فقال لا ادرى فقيل هي مسألة خفيفة سهلة فغضب وقال ليس في العلم شئ خفيف. وقال الشافعي ما رأيت أحدا جمع الله تعالى فيه من آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة اسكت منه عن الفتيا: وقال أبو حنيفة لو لا الفرق من الله تعالى ان يضيع العلم ما افتيت يكون لهم المهنأ وعلى الوزر واقوالهم في هذا كثيرة معروفة .

هذا عن الافتاء بصفه عامة أما الافتاء في قضايا النوازل فانه أعظم خطراً ، وأشد أثراً ، فالمفتي يسير في طريق غير معبد ، وواقع يشتبك فيه السياسي والاجتماعي والاقتصادي مع الفقهي والشرعي ولا بد من التريث حيث أن العجلة مدمرة هنا بخاصة ان كان الأمر يتعلق بفتاوى الأمة لا بفتاوى الافراد ، فبهذه الفتوى تحل دماء او تحرم وتستباح حرمات أو تصان ، فعلى المفتي التأني والتدبر والتشاور للوقوف على الأمر بكافة جوانبه ، ومعرفة مآلات الفتوى ، وكثيراً ما نردد أن قضايا كثيرة من قضايا الأمة لا يجتمع عليها عدد من العلماء من تخصصات متعدده ينضجونها بالنقاش والحوار ، ثم يأتي فقيه أو مجموعة من الفقهاء بعد أن يعوا الواقع ويعلموه من كل جوانبه ليصدروا فتواهم في هذه المسألة .

منهج اسلام أون لاين في تقديم الفتوى

رصد خبرة الفتوى في الموقع

بدأت خدمة الفتوى مع بداية الموقع في أكتوبر ١٩٩٩، وقد تمت الإجابة عما يقرب من ٢٠٠٠٠٠ (مائتي ألف) فتوى خلال الأربع سنوات ونصف الماضية، تتقسم هذه الفتاوى إلى ما يلي:

أولا: فتاوى البنك الدائم: وفيه ١٢٠٠٠ فتوى مصنفة حسب الموضوع واسم المفتي، ويمكن للمستخدم أن يبحث بأي كلمة في العنوان أو النص، كما يمكنه البحث من خلال اسم المفتي.

ويستطيع الباحث الحصول على مادة متكاملة من خلال البحث الموضوعي؛ فلدينا عشرات الفتاوى عن السياسة الشرعية، وعشرات الفتاوى عن التربية الجنسية وآدابها وحدودها وعلاقة الرجل بالمرأة؛ سواء كانت أجنبية أو مخطوبة أو زوجة أو غير ذلك.

كما يستطيع الباحث الحصول على مجموعة متكاملة عن فتاوى الحرب الأمريكية وأثرها على الأمة الإسلامية، وكذلك فتاوى فلسطين والعراق وغيرها من القضايا المثارة في الوقت الحالي، بالإضافة لفتاوى العبادات والمعاملات وغيرها.

ثانيا: الفتاوى المباشرة: وقد عقدت ما يقرب من ٥٠٠ حلقة للفتاوى المباشرة، متوسط عدد الفتاوى في هذه الحلقات ٢٥ فتوى؛ فيكون مجموع الفتاوى ١٢٥٠٠ فتوى تقريبا، وتتميز الفتاوى في هذه الخدمة بسرعة الرد على المستفتي، لكنها ربما تفتقد إلى شيء من التأصيل والتفصيل لكنها تفي بحاجة المستفتي.

وتعقد الآن حوالي ٧ حلقات كل أسبوع (٤ حلقات لفريق الباحثين، و٣ حلقات للعلماء من داخل وخارج مصر)، ومتوسط عدد الفتاوى ٣٠ فتوى في الحلقة الواحدة، وما يميز هذه الفتاوى هو السرعة في تلقي الإجابة؛ حيث يتلقى السائل الإجابة خلال دقائق من إرسال السؤال، ويستطيع أن يتواصل مع المفتي بالاستيضاح أو التعقيب أو غير ذلك.

كما تتميز أيضا بوضع السائل على الحكم مباشرة دون الدخول في تفاصيل كثيرة قد تشغله في بعض الأحيان عن الوصول إلى الحكم الشرعي بوضوح.

وتتميز أيضا هذه الفتاوى بالتواصل مع عدد كبير من المفتين يغطون رقعة واسعة من العالم العربي والإسلامي؛ فلدينا أكثر من مائة عالم وفقيه يمثلون معظم الدول العربية

This file was downloaded from QuranicThought.com

والإسلامية.

ثالثا: فتاوى البنك المؤقت: وهذه تمثل النسبة الكبرى في الفتاوى الواردة، وهذه إما مكررة أو تحمل نوعا من الخصوصية يريد السائل أن تظل محفوظة له، وهي موجودة لدينا على قاعدة بيانات لكنها غير معلنة.

ما تقدمه صفحة الفتوى:

وتعنى صفحة الفتاوى بالرد على أسئلة المستفتين في كل ما يقابلهم من مسائل تعرض لهم في الفقه والعقيدة والتفسير والحديث، كما تعرض لما يقابلهم من مشاكل نفسية أو فكرية ولها مدخل شرعي، كما تتناول جانب الأخلاق والآداب من وجهة نظر الشرع أيضا.

كما تقوم الصفحة بإثارة القضايا الجديدة التي ربما لا يلتفت إليها المستفتون؛ فتقوم بعرضها على العلماء والمتخصصين لإبداء الرأي حولها، سواء كانت في جانب السياسة الشرعية أو في جانب المعاملات المالية الحديثة أو غير ذلك.

تتنوع الأسئلة الواردة إلى الصفحة؛ فبعضها يسأل عن المسائل الفقهية القديمة كالطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج والأحوال الشخصية وسائر المعاملات المالية وغيرها والحدود والجنايات، وبعضها يسأل عن الأمور المستجدة التي تقابل المسلم في البلاد (غير الإسلامية)، وبعضها يسأل عن المعاملات المالية الحديثة كسوق الأوراق المالية وغيرها.

وتأخذ قضايا الإنترنت حيزا معقولا في هذه الأسئلة الواردة كالمراسلة بين الرجل والمرأة عبر الإنترنت والزواج والبيع والشراء عن طريق الإنترنت، وغير ذلك من القضايا الحديثة التي أثيرت بسبب استعمال الناس للإنترنت في البيع والشراء والزواج والطلاق والتعامل المادي وغير ذلك.

كما تثار عبر الصفحة مسائل العلاقة الخاصة بين الزوجين وآداب المعاشرة، وبخاصة تلك التي عرفها المسلمون من خلال احتكاكهم بالغرب؛ سواء كان الاحتكاك مباشرا أم كان عن طريق وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

وسطية اسلام اون لاين . نت في تقديم الفتوى:

تقوم وسطية الفتوى على أربعة ركائز:

الأولى: قاعدة تغير الفتوى بتغير الجهات الأربعة:

وكان عمر – رضي الله عنه – ممن له نصيب في تأصيل هذه القاعدة ، فمن ذلك أنه لم يعط المؤلفة قلوبهم مع ورود ذلك في القرآن ورأى أن عز الإسلام موجب لحرمانهم. وكذلك إلغاؤه للنفي في حد الزاني البكر خوفاً من فتنة المحدود والتحاقه بدار الكفر لأن إيمان الناس يضعف مع الزمن.

ومن ذلك أمر عثمان بالتقاط ضالة الإبل ، مع ورود النهي عن هذا الفعل ؛ وذلك لما رأى من فساد الأخلاق وخراب الذمم وورث تماضر الأسدية لمّا طلقها عبد الرحمن في مرض موته..

وأمير المؤمنين علي رضي الله عنه يضمن الصناع بعد أن كانت يد الصانع أمانة قائلا : لا يصلح الناس إلا ذاك.

وقد وردت هذه القاعدة في مجلة الأحكام العدلية بعنوان : لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان».

غير أن هذه القاعدة ليست على إطلاقها ، فالمأموريات والمنهيات المعلومة من الدين بالضرورة لا تخضع لقاعدة التغير بسبب الزمان .

فالذي يتغير هو الأحكام الاجتهادية وأما القطعيات من الأحكام فلا تتغير فلا يمكن أن تتغير المواريث بدعوى أن المرأة أصبح لها شأن ولا يمكن أن يتغير تحريم ربا النسيئة في بلاد الإسلام ولا تحريم أكل الميتة والخنزير.

وتغير الفتوى لا يكون إلا لترجح مصلحة شرعية لم تكن راجحة في وقت من الأوقات أو لدرء مفسدة حادثة لم تكن قائمة في زمن من الأزمنة.

والأمثلة في المذاهب كثيرة ، منها ما نقله ابن عابدين في حاشيته من أن المتقدمين من فقهاء المذهب يرون بطلان الإجارة على الطاعات ، ولكن جاء المتأخرون ، وصححوها على تعليم القرآن ، ثم جاء من بعدهم وصححوها على الأذان والإمامة، وذلك للضرورة، والحفاظ على تعليم القرآن وإقامة الشعائر.

وفي مذهب الأحناف أيضا أن المرأة إذا قبضت معجل المهر ، فعليها اتباع زوجها حيث شاء ، ثم جاء المتأخرون وأفتوا بخلاف ذلك ، ورأوا بأن المرأة لا تجبر على السفر مع زوجها

This file was downloaded from QuranicThought.com

إلى مكان إذا لم يكن وطناً لها وذلك لفساد الزمان والأخلاق.

ثانياً: قاعدة العرف:

وهذا أصل هام من أصول الفتوى ، نطق به العلماء ، حيث قال ابن عابدين:» ليس للمفتي ولا للقاضي أن يحكما بظاهر الرواية ويتركا العرف، والله أعلم.

وقال الإمام القرافي في حديثه عن العرف :» وعلى هذا القانون تُراعى الفتاوى على طول الأيام فمهما تجدد في العرف اعتبره ومهما سقط أسقطه ، ولا تجمد على المسطور في الكتب طول عمرك، بل إذا جاءك رجل من غير أهل إقليمك يستفتيك لا تجره على عرف بلدك واسأله عن عرف بلده وأجره عليه وأفته به دون بلدك والمقرر في كتبك فهذا هو الحق الواضح، والجمود على المنقولات أبداً ضلال في الدين وجهل بمقاصد علماء المسلمين والسلف الماضين، وعلى هذه القاعدة تتخرج إيمان الطلاق والعتاق وصيغ الصرائح والكنايات، فقد يصير الصريح كناية يفتقر إلى النية، وقد تصير الكناية صريحاً مستغنية عن النيّة» .

ثالثاً: قاعدة النظر في المآلات:

ومما يصب في جداول المصلحة ويسير في دربها قاعدة النظر في المآلات في الأقوال والأفعال وقد نص الشاطبي على أن المفتى عليه أن ينظر في مآل فتواه. وقد فصل الإمام الشاطبي في هذا الأمر ، ورأى أن المفتي عليه أن يتمهل وأن ينظر ما يؤول الأمر في فتواه ، فقد يكون هناك شيء مشروع لجلب منفعة ، أو لدرء مفسدة ، ولكنه له مآل على خلاف ما قصد، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به ولكن له مآل على خلاف ذلك.

وتأصيل ذلك قوله تعالى: (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)، وقوله صلى الله عليه وسلم :» لولا قومك حديث عهد بكفر لأسست البيت على قواعد إبراهيم « وقوله في تعليل انصرافه عن قتل المنافقين:دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه ، أخاف أن يتحدث الناس أن محمد يقتل أصحابه». البخاري. والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يفهمون مقصد الشارع ، ويتصرفون وفقا لهذا الفهم ، فهذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يترك تغريب الزانى البكر مع وروده في الحديث حيث قضى عليه الصلاة والسلام بجلده مائة وتغريب سنة وذلك لما شاهد من كون التغريب قد يؤدي إلى مفسدة أكبر وهى اللحاق بأرض العدو وقال لا أغرب مسلماً. وقال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : كفى بالنفي فتنة. وأيضا فإن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لمّا تولى الملك أجل تطبيق بعض أحكام الشريعة فلمّا استعجله ابنه في ذلك أجابه بقوله : أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعونه جملة ويكون من ذا فتنة..

وهذا الإمام ابن تيمية – رحمه الله – حين رأى صاحبا له يكلمه عن التتار يشربون الخمر ، وأنه واجب عليه أن ينهاهم ، فقال له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذّرية وأخذ الأموال فدعهم .

وقد قال الشاطبي أنه ينبغي على المجتهد: النظر فيما يصلح بكل مكلف في نفسه بحسب وقت دون وقت وحال دون حال وشخص دون شخص إذ النفوس ليست في قبول الأعمال الخاصة على وزّان واحد. فهو يحمل كل نفس من أحكام النصوص ما يليق بها بناء على أن ذلك هو المقصود الشرعي في تلقي التكاليف.

وسد ذرائع الحرج والمشقة وقد يسميه البعض بفتح الذرائع لأنه ترك لبعض فضائل الأعمال خوفاً من إعنات المكلفين كما ترك عليه الصلاة والسلام تأخير صلاة العشاء قائلا: هذا وقتها لولا أن أشق على أمتي». ، وترك الأمر بالسواك عند كل صلاة ، وترك بناء البيت على قواعد إبراهيم، وترك قتل أهل النفاق ، خشية على صورة الإسلام .

وعلى هذا ينبني كثير من قرارات المجلس الأوربي حيث يمنع أئمة المساجد من عقد النكاح قبل أن يعقد عقداً مدنياً أمام السلطة لأن من شأن تلك العقود وإن كانت مستوفية الشروط أن تؤل إلى خصومات وربما حرمان المرأة من حقوقها وحرمان الأولاد من نسبهم لعدم توثيق العقد وهذا من باب النظر في المآلات. وليس في هذا تساهل ، و بهذا نقرر أن التسهيل غير التساهل فالتسهيل مطلوب ومرغوب لانبنائه على قاعدة التيسير أما التساهل فمبني على الهوى.

رابعاً: قاعدة تحقيق المناط في الأشخاص والأنواع:

This file was downloaded from QuranicThought.com

وتحقيقُ المناط في الأنواع واتفاقُ الناس عليه في الجملة مما يشهد له كثير من الأدلة، من ذلك : ما ورد عن ابن سيرين؛ قال: كان أبو بكر يُخافِت، وكان عمرُ يَجهر -يعني في الصلاة- فقيل لأبي بكر: كيف تفعل؟ قال: أناجي ربِّي وأتضرع إليه، وقيل لعمر: كيف تفعل؟ قال: أوقظُ الوَسْنانَ، وأُخِثُّ الشَّيطان، وأُرضي الرحمن. فقيل لأبي بكر: ارفعْ شيئاً، وقيل لعمر: اخْفِض شيئاً. وفي «الصحيح»: أن ناساً جاءوا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا: إنا نجدُ في أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلَّمَ به. قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم. قال: ذلك صريحُ الإيمان.

وقال عليٌّ: حدثوا الناس بما يفهمون، أتريدون أن يكذَّبَ اللهُ ورسوله؟» فجعل إلقاء العلم مقيداً؛ فَرُبَّ مسألة تصلُح لقوم دون قوم، وقد قالوا في الرَّباني: إنه الذي يُعلِّمُ بصغارِ العلم قبل كِباره؛ فهذا الترتيب من ذلك.

وقد فرَّع العلماء على هذا الأصل؛ كما قالوا في قوله تعالى (إنما جزاء الذي يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا) الآية إن الآية تقتضي مطلق التخيير، ثم رأوا أنه مقيَّدٌ بالاجتهاد؛

فالقتل في موضع، والصلب في موضع، والقطع في موضع، والنفي في موضع، وكذلك التخيير في الأساري من المَنِّ والفداء. وكذلك جاء في الشَّريعة الأمرُ بالنِّكاحِ وعدُّوه من السُّنن، ولكن قسَّموه إلى الأحكام الخمسة..

ونستطيع أن نلخص منهج تقديم الفتوى في الموقع في النقاط التالية :

أولا: التحرر من العصبية المذهبية، والتقليد الأعمى لزيد أو لعمرو من المتقدمين أو المتأخرين. فقد قيل: لا يقلد إلا عصبي أو غبي. وأنا لا أرضى لنفسي واحدا من الوصفين. هذا مع التوقير الكامل لأئمتنا وفقهائنا، فعدم تقليدهم ليس حطا من شأنهم، بل سيرا على نهجهم، وتنفيذا لوصاياهم بألا نقلدهم ولا نقلد غيرهم ونأخذ من حيث أخذوا. وهذا الموقف لا يتطلب من العالم المسلم المستقل في فهمه أن يكون قد بلغ درجة الاجتهاد المطلق كالأئمة الأولين، وإن كان هذا غير ممنوع شرعا ولا قدرا. ولكن حسب العالم المستقل في هذا الموقف أمور:

(أ) ألا يلتزم رأيا في قضية بدون دليل قوي، سالم من معارض معتبر، ولا يكون كبعض الناس الذين ينصرون رأيا معينا لأنه قول فلان، أو مذهب فلان، دون نظر إلى دليل أو برهان، مع أن الله تعالى يقول: (قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين) ولا يسمى العلم علما إذا كان ناشئا من غير دليل. ولقد قال الإمام علي -كرم الله وجهه-: (لا تعرف الحق بالرجال، بل اعرف الحق تعرف أهله).

(ب) أن يكون قادرا على الترجيح بين الأقوال المختلفة، والآراء المتعارضة بالموازنة بين أدلتها، والنظر في مستنداتها من النقل والعقل، ليختار منها ما كان أسعد بنصوص الشرع، وأقرب إلى مقاصده، وأولى بإقامة مصالح الخلق التي نزلت لتحقيقها شريعة الخالق.وهذا أمر ليس بالعسير على من ملك وسائله من دراسة العربية وعلومها، وفهم المقاصد الكلية للشريعة، بجانب الاطلاع على كتب التفسير والحديث والمقارنة.

(جـ) أن يكون أهلا للاجتهاد الجزئي: أي الاجتهاد في مسألة معينة من المسائل وإن لم يكن فيها حكم للمتقدمين، بحيث يستطيع أن يعطيها حكمها بإدخالها تحت عموم نص ثابت، أو بقياسها على مسألة مشابهة منصوص على حكمها، أو بإدراجها تحت الاستحسان أو المصالح المرسلة، أو غير ذلك من الاعتبارات والمآخذ الشرعية.

والقول بتجزئة الاجتهاد هو الصحيح الذي اتفق عليه المحققون.

ومن أبين العبارات في ذلك ما قاله ابن القيم:

«الاجتهاد حالة».

ثانياً: تغليب روح التيسير والتخفيف على التشديد والتعسير، وذلك لأمرين:

الأول: أن الشريعة مبنية على التيسير ورفع الحرج عن العباد، وهذا ما نطق به القرآن، وصرحت به السنة في مناسبات عديدة. ففي ختام آية الطهارة من سورة المائدة، وما ذكر فيها من تشريع التيمم، يقول تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج، ولكن يريد ليطهركم، وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون).

وفي ختام آية الصيام من سورة البقرة، وما ذكر

This file was downloaded from QuranicThought.com

فيها من الترخيص للمريض والمسافر بالإفطار، يقول سبحانه: (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر). وفي ختام آيات المحرمات في الزواج، وما رخص الله فيه من نكاح الإماء المؤمنات لمن عجز عن زواج الحرائر، يقول جل شأنه (يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفاً) وفي ختام سورة الحج، وما ذكر فيها من أحكام وأوامر، يقول عز وجل: (هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج). هذا إلى الآيات الأخرى التي حرمت الغلو في الدين، وأنكرت على من حرموا الطيبات، وهي كثيرة. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول:

(يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا).

ويقول: (إنما بعثتم ميسرين، ولم تبعثوا معسرين).

ويقول: (إنما بعثت بحنيفية سمحة).

وينكر على المتطرفين والمغالين في العبادة أو في تحريم الطيبات، ويعلن أن من فعل ذلك فقد رغب عن سنته (ومن رغب عن سنتي فليس مني).

ويوجه أصحاب هذه النزعة إلى التوسط والاعتدال، حتى لا يطغى حق على حق. ولهذا قال لبعضهم: (إن لبدنك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزوجك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه).

والأمر الثاني: طبيعة عصرنا الذي نعيش فيه، وكيف طغت فيه المادية على الروحية، والأنانية على الغيرية، والنفعية على الأخلاق، وكيف كثرت فيه المغريات بالشر، والمعوقات عن الخير، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر، حيث تواجهه التيارات الكافرة عن يمين وشمال، ومن بين يديه ومن خلفه، تريد أن تقتلعه من جذوره، وتأخذه إلى حيث لا يعود. وهي تيارات تحركها وتغذيها قوى ضخمة، تمدها بالتمويل والتخطيط والتوجيه، وتسهل لمن اتبعها طريق الشهوات، وربما طريق الوصول إلى المناصب والدرجات. والفرد المسلم في هذه المجتمعات يعيش في محنة قاسية، بل في معركة دائمة، فقلما يجد من يعينه، وإنما يجد من يعوقه. ولهذا ينبغي لأهل الفتوى أن ييسروا عليه ما استطاعوا، وأن يعرضوا عليه جانب الرخصة أكثر من جانب العزيمة. ترغيباً في الدين، وتثبيتاً لأقدامه على طريقه القويم. وقد نقل الإمام النووي في مقدمات «المجموع» كلمة حكيمة للإمام الكبير - إمام الفقه والحديث والورع- سفيان الثوري. قال فيها: «إنما العلم الرخصة من ثقة، أما التشديد فيحسنه كل أحد!». فالعالم حقاً -في نظر الثوري رحمه الله- من يراعي الرخص والتيسير على عباد الله، شرط أن يكون ثقة في علمه ودينه. وكان منهج الصحابة ومن تخرج على أيديهم هو التيسير والرفق بالناس، ثم بدأ التشديد يدخل على العلماء شيئاً فشيئاً، وعصراً بعد عصر، حتى أصبح هو طابع المتأخرين. روى الحافظ أبو الفضل بن طاهر في كتاب «السماع» بسنده عن عمر ابن إسحاق من التابعين قال: كان من أدركت من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أكثر من مائتين، لم أر قوماً أهدى سيرة، ولا أقل تشديداً منهم.

وهكذا كان علماء السلف: إذا شددوا فعلى أنفسهم، أما على الناس فييسرون ويخففون.

ولقد وصفوا الإمام المزني صاحب الشافعي في معرض الثناء عليه. بأنه «كان أشد الناس تضييقاً على نفسه في الورع، وأوسعه في ذلك على الناس».

وكذلك وصفوا الإمام التابعي الجليل محمد بن سيرين، قال تلميذه عون: كان محمد أرجى الناس لهذه الأمة. وأشدهم أزراً على نفسه.

هذا وزمنهم زمن الإقبال على الدين فكيف بزماننا والناس مدبرون عنه؟.

إننا أحوج ما نكون إلى التوسعة على الناس وهذا ما اخترته لنفسي أن أيسر الفروع، حين أشدد في الأصول وليس معنى هذا أن ألوي أعناق النصوص رغماً عنها، لأستخرج منها -كرهاً- معاني وأحكاماً تيسر على الناس. كلا، فالتيسير الذي أعنيه، هو الذي لا يصادم نصاً ثابتاً محكماً، ولا قاعدة شرعية قاطعة، بل يسير في ضوء النصوص والقواعد والروح العامة للإسلام. ولهذا لم أتساهل قط في تحريم الفوائد الربوية من البنوك وغيرها، لأني أجد النصوص في ذلك صريحة محكمة، تتحدى أي متهاون في شأنها. ولم أتساهل في أمر التدخين -رغم عموم البلوى به- لأني أجد قواعد الشرع تمنعه وتأباه. وتساهلت في موضوعات أخرى لأني لم أجد

This file was downloaded from QuranicThought.com

من النصوص الملزمة ما يدل على التحريم. وتبنيت رأي شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه في أمر الطلاق، لأني وجدته يعبر عن روح الإسلام، ومقاصد الشريعة، ويتمشى مع نصوص القرآن والسنة عند التحقيق. وعلى العموم: إذا كان هناك رأيان متكافئان: أحدهما أحوط، والثاني أيسر فإني أوثر الإفتاء بالأيسر، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم الذي ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً. أما الأحوط فيمكن أن يأخذ به المفتي في خاصة نفسه، أو يفتي به أهل العزائم والحريصين على الاحتياط، ما لم يخش عليهم الجنوح إلى الغلو.

مخاطبة الناس بلغة العصر:

ثالثاً: ومن القواعد التي التزمتها، أن أخاطب الناس بلغة عصرهم التي يفهمون، متجنباً وعورة المصطلحات الصعبة، وخشونة الألفاظ الغريبة، متوخياً السهولة والدقة. وقد جاء عن الإمام علي: (حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. أتريدون أن يكذب الله ورسوله؟!). وقال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) ولكل عصر لسان أو لغة تميزه وتعبر عن وجهته. فلا بد لمن يريد التحدث إلى الناس في عصرنا أن يفهم لغتهم ويحدثهم بها. ولا أعني باللغة مجرد ألفاظ يعبر بها قوم عن أغراضهم، بل ما هو أعمق من ذلك، مما يتصل بخصائص التفكير، وطرائق الفهم والإفهام. ولغة عصرنا تتطلب عدة أشياء، يجب على المفتي أن يراعيها:

(أ) أن يعتمد على مخاطبة العقول بالمنطق، لا على إثارة العواطف بالمبالغات. فمعجزة الإسلام الكبرى معجزة عقلية هي القرآن، الذي تحدى الله به. ولم يتحد بالخوارق مع وقوعها للنبي صلى الله عليه وسلم ولم تعرف البشرية ديناً يحترم العقل والعلم كما يحترمه الإسلام.

(ب) أن يدع التكلف والتقعر في استخدام العبارات والأساليب، ولهذا كنت استخدم اللغة السهلة القريبة المأنوسة، وربما استخدمت بعض الألفاظ أو الأمثال العامية لتوضيح ما أريد. إيماناً مني بأن جمهور المشاهدين والمستمعين ليسوا في مستوى واحد من الثقافة والفكر، فمنهم الأستاذ الكبير، ومنهم الطالب الصغير، ومنهم التاجر، ومنهم العامل، وكلهم يجب أن يفهم ويعي، وإفهام المستويات المتفاوتة أمر صعب، ولكني حرصت عليه قدر استطاعتي، وأنا مؤمن بالوسطية والاعتدال في كل الأمور، ولهذا كنت بين بين، لا أعلو كل العلو إلى مستوى الخواص فأفقد العوام، ولا أنزل كل النزول إلى العوام فأفقد الخواص. بل جعلت هدفي أن أرضي الخاصة وأفهم العامة معاً. وهذا نهجي طول حياتي، وأرجو أن أكون قد وفقت إليه أو قاربت.

(جـ) أن يذكر الحكم مقروناً بحكمته وعلته، مربوطاً بالفلسفة العامة للإسلام. وهذا ما التزمته في فتاواي وكتاباتي بصفة عامة، وذلك لأمرين: الأول: أن هذه هي طريقة القرآن والسنة. فالقرآن حين يفتي في المحيض -وقد سألوا عنه- يقول: (ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم أن علة الحكم -وهو الأذى- مقدمة للحكم نفسه، وهو الاعتزال. وفي تقسيم الفيء بين الفئات المستحقة له، ومنهم اليتامى والمساكين وابن السبيل، يذكر الله تعالى الحكمة في ذلك فيقول: (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أي حتى لا يكون المال متداولاً بين طبقة الأغنياء وحدهم، ويحرم منه سائر الطبقات. فهذا مصدر الشرور، وهو أبرز خصائص الرأسمالية الطاغية. حتى العبادات الشعائرية يأمر بها القرآن مقرونة بعلل وأحكام تقبلها الفطر السليمة، والعقول الرشيدة. ففي الصلاة يقول: (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر). وفي الصيام يقول: (لعلكم تتقون).

وفي الزكاة: (تطهرهم وتزكيهم بها).

وفي الحج: (ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات).

وأما في السنة، فإن من تأمل فتاوى النبي صلى الله عليه وسلم رآها مشتملة على حكمة الحكم ونظيرة ووجه مشروعيته. من هذا قوله لعمر حين جاءه منزعجاً، إذا قبل امرأته وهو صائم، فقال له: أرأيت لو تمضمضت ثم مجته، أكان يضر شيئاً؟ قال: لا، فنبه على أن مقدمة المحظور لا يلزم أن يكون دائماً محظورة. فإن غاية القبلة أن تكون مقدمة الجماع، فلا يلزم من تحريمه تحريم مقدمته، كما أن

This file was downloaded from QuranicThought.com

وضع الماء في الفم مقدمة شربه، وليست المقدمة محرمة. ومن هذا قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها، ولا على ابنة أخيها، ولا على ابنة أختها، فإنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) فذكر لهم الحكم، ونبههم على حكمة التحريم، وهو ما يترتب عليه من قطع ما أمر الله به أن يوصل نتيجة الاحتكاك الضروري بين الضرائر. ومثل ذلك قوله لبشير بن سعد، وقدخص بعض أولاده بعطية دون الآخرين: أيسرك أن يكونوا لك في البر سواء؟ قال: نعم. قال: (فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم). وهذا في القرآن والسنة كثير جداً، مع أن قول الله ورسوله حجة بنفسه، وإن لم تعرف له علة معينة، وحسبنا أنه لا يأمر إلا بخير.

الثاني: أن الشاكين والمشككين في عصرنا كثيرون، ولم يعد أغلب الناس يقبلون الحكم دون أن يعرفوا مأخذه ومغزاه، ويعوا حكمته وهدفه، وخاصة فيما لم يكن من التعبدات المحضة. ولابد أن نعرف طبيعة عصرنا، وطبيعة الناس فيه، ونزيل الحرج من صدورهم ببيان حكمة الله فيما شرع، وبذلك يتقبلون الحكم راضين منشرحين. فمن كان مرتاباً ذهب ريبه، ومن كان مؤمن ازداد إيماناً. ومع هذا لابد أن نؤكد للناس، أن من حق الله تعالى، أن يكلف عباده ما شاء، بحكم ربوبيته لهم، وعبوديتهم له، فهو وحده له الأمر، كما له الخلق. ولهذا لابد أن يطيعوه فيما أمر، ويصدقوه فيما أخبر، وإن لم يدركوا علة أمره، أو كنه خبره، وعليهم أن يقولوا في الأول: «سمعنا وأطعنا»، وفي الثاني: (آمنا به كل من عند ربنا). إن الله لا يأمر بشيء، ولا ينهى عن شيء، إلا لحكمة. هذه قضية ثابتة جازمة. ولكن لسنا دائما قادرين على أن نتبين حكمة الله بالتفصيل. وهذا مقتضى الابتلاء الذي قام عليه أمر التكليف، بل أمر الإنسان (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه).

الإعراض عما لا ينفع الناس:

ومن القواعد التي التزمتها: ألا أشغل نفسي ولا جمهوري إلا بما ينفع الناس، ويحتاجون إليه في واقع حياتهم. أما الأسئلة التي يريد بها أصحابها المراء والجدل، أو التعالم والتفاصح، أو امتحان المفتي وتعجيزه، أو الخوض فيما لا يحسنونه، أو إثارة الأحقاد والفتن بين الناس، أو نحو ذلك، فكنت أضرب عنها صفحا، ولا ألقي لها بالا، لأنها تضر ولا تنفع، وتهدم ولا تبني، وتفرق ولا تجمع. كان بعض الناس يبعثون بأسئلة تتضمن ألغازا شرعية يريدون حلها من مثل: "نوى ولا صلى، وصلى ولا نوى" و "قوم كذبوا ودخلوا الجنة، وقوم صدقوا ودخلوا النار" وأشباه ذلك، فكان ردي عليها الإلقاء في سلة المهملات لأن الاشتغال بمثل هذه المسائل من عمل الفارغين. ومثل ذلك الأسئلة التي تتعلق بالأمور الغيبية، مما لم يجيء بتحديده نص معصوم. ومثل ذلك غوامض المسائل الدينية والعقائدية التي لا تحتملها الطاقة العقلية المعتادة لجمهور الناس، ويخشى من الخوض فيها - سؤالا وجوابا - التشويش على الكثيرين. فهذا أيضا مما لا أعتني بالإجابة عنه إلا إزالة لشبهة، أو ردا لفرية، أو تنبيها على قاعدة، أو تصحيحا لفهم. أو نحو ذلك. ومما قاله في ذلك الإمام شهاب الدين القرافي: "ينبغي للمفتي إذا جاءته فتيا في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو فيما يتعلق بالربوبية، يسأل فيها عن أمور لا تصلح لذلك السائل لكونه من العوام الجلف، أو يسأل عن المعضلات، ودقائق الديانات، ومتشابه الآيات والأمور التي لا يخوض فيها إلا كبار العلماء، ويعلم أن الباعث له على ذلك إنما هو الفراغ والفضول والتصدي لما لا يصلح له، فلا يجيبه أصلا. ويظهر له الإنكار على مثل هذا ويقول له: اشتغل بما يعنيك من السؤال عن صلاتك وأمور معاملاتك، ولا تخض فيما عساه يهلكك، لعدم استعدادك له. وإن كان الباعث له شبهة عرضت له: فينبغي أن يقبل عليه، ويتلطف به في إزالتها عنه بما يصل إليه عقله. فهداية الخلق فرض على من سئل. قال: والأحسن أن يكون البيان له باللفظ دون الكتابة، فإن اللسان يفهم ما لا يفهم القلم، لأنه حي، والقلم موات. فإن الخلق عباد الله، وأقربهم إليه أنفعهم لعباده، ولا سيما في أمر الدين وما يرجع إلى العقائد. وكثيرا ما كنت أطلب من صاحب السؤال إذا أحسست جديته، وخشيت على جمهور المستمعين أو المشاهدين التشويش - أن يلقاني على انفراد، لأستطيع أن آخذ معه وأعطي، بلا حرج ولا خشية. ومن الأسئلة التي لم أكن أعبأ بها: ما يتعلق بالمفاضلة بين آل البيت والصحابة رضي الله عنهم وما شجر

This file was downloaded from QuranicThought.com

بينهم من خلاف، ونحو ذلك -مما لا طائل تحته. وقد أفضى الجميع إلى ربهم، وقضى الله ما كان. سئل الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين، فقال: تلك دماء كف الله عنها يدي، فلا أحب أن يلطخ بها لساني.

ومن الأسئلة التي يحرص بعض الناس على إثارتها، وتلقيت في شأنها أكثر من رسالة: أيهما أفضل عند الله: أبو بكر أم علي؟ وأيهما كان أحق بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أيهما أفضل: فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أم عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ومثل ذلك: المفاضلة بين الأنبياء، مثل إسماعيل واسحق، أو موسى وعيسى.

أسئلة لا يترتب على العلم بها، قوة في دين، ولا نهضة في دنيا، ومن جهل الجواب عنها فلا إثم عليه، ومن كون في كل منها رأيا فهيهات أن يتنازل عنه.

ولقد قلت في بعض إجاباتي عن مثلها: إنها أشبه بموضوعات الإنشاء التي كان معلمونا -ونحن تلاميذ صغار- يكلفوننا الكتابة فيها تدريبا للقلم، وشحذا للملكات، مثل: المفاضلة بين الليل والنهار، وبين الصيف والشتاء، وبين الأرض والسماء، وبين القطار والسفينة، وغير ذلك مما لا معنى للمفاضلة بين بعضها وبعض عند أهل البصر والبصيرة. إن الله تعالى ورسوله عابا على بني إسرائيل كثرة أسئلتهم، واختلافهم على أنبيائهم، وسؤالهم فيما لا ضرورة إليه، ولا فائدة منه إلا إعنات أنفسهم. وفي هذا ذكر الله تعالى لنا قصة ذبح البقرة وكثرة أسئلتهم فيها دون حاجة، ولو أخذوا أي بقرة فذبحوها لكانوا ممتثلين للأمر، ولكن شددوا، فشدد الله عليهم. وما ذكر الله لنا هذه القصة إلا لتكون لنا عظة وعبرة.

ومن الأسئلة التي أعرضت عنها: ما يتعلق بتفسير الرؤى والأحلام. وقد أعلنت غير مرة: أن مهمتي بيان الأحكام، لا تفسير الأحلام. وذلك أن الأحكام لها أصول يحتكم إليها، ومصادر يرجع إليها. أما الأحلام فلا ضابط لها ولا قاعدة، ويختلف تأويلها باختلاف الأشخاص والأحوال والأزمان. وعلى العموم هي تخمين وظن، إلا من وهبه الله الفراسة في ذلك، وعلمه تأويل الأحاديث (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين).

وطالما قلت للسائلين في ذلك: أنا لست يوسف الصديق. وإنما أنا يوسف القرضاوي. ويوسف الصديق قد خصه الله بذلك، وعلمه ما لم يعلمه غيره.

والحقيقة إني لا أحسن ذلك، ولست حريصا على أن أحسنه، فإن ذلك -لو كان- جدير أن يلتهم وقتي كله، لأن أحلام الناس لا تنتهي، واهتمامهم بتفسيرها لا يتوقف. وبخاصة النساء اللاتي تشغل الأحلام والرؤى من حياتهن وتفكيرهن حيزا غير ضئيل.

مزايا الفتوى عن طريق الإنترنت:

١- يتيح طرح السؤال عن طريق الإنترنت للمستفتي ببذل وسعه في طرح أبعاد القضية المطلوب الفتوى فيها، وتداعيات هذه القضية على الشأن الخاص أو العام، واستفراغ ما عنده في صياغة المسألة، بحيث لا يدع جانبا من جوانبها من وجهة نظره إلا وعرضه، ومثل هذا قد لا يتاح له عن طريق اللقاء المباشر بين المفتي والمستفتي، أو عن طريق الوسائل الأخرى، لضيق الوقت غالبا عن سماع أو تلقي هذه التفصيلات من قبل المفتي، أو الرغبة في الاختصار من قبل وسائل الإعلام التي تأخذ على عاتقها الإجابة عن أسئلة المستفتين.

٢- سرعة إيصال المسألة التي يستفتى فيها وسرعة إيصال الجواب عنها، ويسر ذلك على المستفتي والمفتي، وإن تباعدت المسافات بينهما، ومثل هذا لا يتيحه عرض المسألة عن طريق الرسالة البريدية أو عن طريق الفاكس أو المكالمة التليفونية، أو عن طريق التلفاز أو الراديو أو الوسائل الأخرى المسموعة أو المقروءة أو المرئية.

٣- ما توفره الفتوى عن طريق المواقع المختلفة من إحالات على فتاوى سابقة فيها إفاضة في معالجة المسألة المطلوب الفتوى فيها، مما يتيح للسائل نوعا من الثقافة الشرعية في موضع مسألته، قد لا تتيحه الوسائل الأخرى المقروءة أو المسموعة أو المرئية.

٤- توفر الفتوى عن طريق الإنترنت وسيلة لا يتحرج منها المستفتي عند طرح مسألته رجلا كان أو امرأة، ويمكنه حفظها عمن لا يريد إطلاعه عليها، وهذا لا تتيحه الوسائل الأخرى.

٥- تتيح الفتوى عن طريق الإنترنت تصنيف الفتاوى بنوعها، بحيث يكون لصاحب مسألة ما أن يطلع على الجواب

This file was downloaded from QuranicThought.com

عن نظير مسألته إن وجد لها نظيرا، وإلا سأل عن حكم ما لم يجد له نظيرا، كما يتيح له التعرف على أحكام كثير من النوازل، فيكون له بذلك ثقافة شرعية مبسطة قد لا تتيحها له بنفس اليسر المصادر التي استقيت منها هذه الأحكام.

٦- تعد الفتوى عن طريق الإنترنت البديل المشروع المتاح لكثير من الناس، بعد أن بدأ البعض يتخذ الفتوى طريقا للارتزاق، والذي بمقتضاه صنف المستفتون صنفين: صنف قادر على دفع نفقات الفتوى، فيكون له الحق في طرح مسألته أيا كان الوقت الذي يستغرقه السؤال والجواب عنه، وصنف غير قادر على دفع هذه النفقات، وهذا الصنف إن لم تتح له وسيلة مشروعة ميسرة في مقدوره لعرض مسألته ومعرفة الجواب عنها، حرم من معرفة الحكم الشرعي فيها، ولا تتاح له وسيلة هي في مقدوره تحقق له حاجته في معرفة الحكم الشرعي باستفاضة مثل الإنترنت.

٧- من المعروف أن أكثر الفتاوى التي ترد عن طريق وسائل الإعلام المقروءة أو المسموعة أو المرئية غير الإنترنت فتاوى مغرضة أراد بها أصحابها عرض الحياة الدنيا، والأمثلة الواقعية على هذا أكثر من أن تحصي، كما أن نماذج هذه الفتاوى أصبحت معلومة حتى لعوام المسلمين، والفتوى عن طريق الإنترنت ليست بهذه المثابة، فإن أكثر من يتولون الجواب على أسئلة المستفتين لا ينتهجون ذلك، ومن يتولون الإشراف على هذه المواقع لا يسمحون بتبعيتها؛ لأن الإنترنت لا يتبع دولة معينة، حتى لا يتم تسيس الفتاوى به؛ رغبة في عرض زائل. ولذا فإن الأصل في الفتاوى التي ترد بمواقع الإنترنت الموضوعية والحيدة وعدم الانحياز، والبعد عن الغلو والتطرف واسترضاء الآخرين.

عوائق على طريق الافتاء عن طريق الانترنت :

لا شك ان عملية الافتاء على الانترنت ليست كلها مزايا ، فهناك بعض المشكلات والعوائق التي تقابله ومنها :

١- بعض الأسئلة تحتاج إلى استيضاح من المستفتي في بعض الجوانب قبل الجواب عنها، وهذا وإن كان يتيحه الالتقاء المباشر بين المفتي والمستفتي عن طريق الهاتف أو الحضور أو نحوهما، إلا أنه لا يتيحه الاتصال عبر الإنترنت، ولهذا فلا يجد المفتي أمامه إلا أن يجيب عدة إجابات عن نفس السؤال وفقا لما يحتمله، وهذا يطيل من الجواب، ويثقل على المفتي ويضيع الكثير من الوقت والجهد عليه في سؤال واحد.

٢- قد يستغل البعض استتار شخصه عن طريق هذه الوسيلة، فيعمد إلى طرح أسئلة لا يفتقر إلى معرفة الجواب عنها، وإنما يقصد من طرحها أمرا آخر، ولذا فإنه ترد أحيانا أسئلة من بعض المستفتين لا يراد بها الجواب عن حكم شرعي يجهله السائل، وإنما يراد بها الجواب عن سؤال في مسابقة رصد لها جائزة، أو الإجابة عن جزئية في بحث علمي يعده السائل، ولا يريد أن يحمل نفسه عناء البحث في الكتب الحاوية لمحتواه، أو اختبار المفتي من بعض المتنطعين الجهال، لمعرفة مذهبه الفكري أو ميوله أو معتقده، أو لعقد مقارنة بين ما يفتي به وما يفتي به غيره، أو لمحاولة تخطئته إن أفتى بمذهب غير الذي يقلده السائل، أو نحو ذلك مما حدث ويحدث غالبا.

٣- استغلال بعض المستفتين سهولة طرح المسألة وجهالة أشخاصهم، لطرح المسألة عدة مرات على عدة مفتين، علّ السائل يجد عند أحدهم ما تهوى نفسه فيلتزم به، وهذا يضيع الكثير من الوقت والجهد على المفتين، وغالبا ما يكون الجواب عند جميعهم واحد.

٤- ورود أسئلة المستفتين ناقصة في بعض أجزائها، إما لعدم إجادتهم استخدام الإنترنت، أو لعدم مراجعتهم ما كتبوه في أسئلتهم، ومثل هذا النقص يؤثر في الجواب عن السؤال؛ لأنه لما كان الحكم على الشيء فرعا عن تصوره، فإن التصور الخاطئ لا ينتج إلا حكما خاطئا كذلك.

٥- بعض الأسئلة الواردة تكون من القصور والاختصار أحيانا؛ بحيث لا تعطي تصورا واضحا لدى من يجيب عنها، ولذا فإن الإنترنت أحيانا لا تكون هي الوسيلة المناسبة للجواب عن مثل هذه الأسئلة.

٦- من المعروف تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال والأشخاص، فما يكون سائغا من الفتاوى في زمان أو مكان معينين لا يكون بهذه المثابة في غيرهما، وما يكون سائغا في حال أو لشخص معين لا يكون كذلك في حال غيره، أو لشخص آخر. وأسئلة المستفتين عن طريق الإنترنت ترِد مجردة، لا يُعرف منها أحيانا شخص المستفتي إن كان مريضا أو مسافرا أو يقيم بين مسلمين أو بين كفار، كما لا يعرف منها

This file was downloaded from QuranicThought.com

ظروف البيئة التي يعيش فيها، ولا حاله إن كان به ما يقتضي الترخص أو لا، وكل هذا يضع المفتي في حيرة أحيانا بحيث لا يجد أمامه إلا أن يجيب عن السؤال وفقا لهذه الاحتمالات التي تستوحى من السؤال.

٧- من المعاملات ما يشيع في بلد بعينه دون غيره، أو يكون له مسمى يختلف مسماه في بلد آخر، أو يكون له قواعد أو نظم يطبق بها في بلد بخلاف تلك التي يطبق بها في بلد آخر، وكثيرا ما يفتقر المفتي إلى استيضاح ذلك من قبل السائل، حتى يكون الجواب واقعا على التكييف الشرعي للمسألة وفقا لما تصوره المفتي.

٨- بعض الأسئلة الواردة عبر الإنترنت تكون من الوضوح والبدهية المعرفية، بحيث لا يسع أدنى المثقفين ثقافة عامة أن يجهلها، وربما كانت سهولة إيصال السؤال عن طريق الإنترنت مدعاة لمثل هذه الأسئلة التي لا يمكن لأحد أن يسأل عنها لو كلفه إيصالها إلى من يستفتيه بعض النفقات.

٩- ترد بعض الأسئلة في صيغة قصة مطولة، كأنما أراد صاحبها أن ينفث عن نفسه ويوصل بثه وما يعتمل في نفسه إلى غيره ليستريح، ثم لا تنتهي قصته بسؤال بل بنصح له أو لغيره، أو قد تنتهي بسؤال لا يفتقر إيصاله إلى كل هذه المطولة، وفي هذا إضاعة للجهد في القراءة والتركيز ومحاولة معرفة المطلوب من هذا العرض المسهب.

١٠- عدم الاحتكاك المباشر بين المفتي والمستفتي ربما يؤدي الى عدم فهم السؤال بشكل كامل ، صحيح يستطيع المفتي أن يراجع المستفتي ، لكنه لن يصل الى درجة المباشرة ، ويظهر هذا بصورة أعمق في : فتاوى الطلاق والأحوال الشخصية ، وفتاوى الشركات والمعاملات المالية المستحدثة ، وغير ذلك .

اقتراحات لتفعيل دور الفتاوى في العالم الالكتروني

١- إيجاد ميثاق شرف للإفتاء على الإنترنت، وقد قامت شبكة "إسلام أون لاين.نت" بمحاولة مع بعض العلماء للخروج بميثاق شرف للمفتين على الإنترنت، بحيث يكون مرجعا يلتزم به - قدر المستطاع- في عملية الإفتاء على الإنترنت؛ فيمكن تفعيل هذا الميثاق مع بعض جهات الإفتاء المهتمة بالإفتاء على الإنترنت، بحيث يكون موثقا من عدة جهات.

٢- تخصيص موقع خاص بالفتوى على الإنترنت، يجمع غالب المواقع التي تقوم بالإفتاء، مثل : إسلام أون لاين. نت، وهيئة الفتوى بالكويت، ودار الإفتاء بمصر، وموقع الإسلام اليوم، والشبكة الإسلامية لوزارة الأوقاف القطرية، وغيرها من الهيئات والمؤسسات ودور الإفتاء في العالم العربي والإسلامي، بحيث يكون هذا الموقع بوابة الإفتاء على الإنترنت؛ ونسعى في المركز العالمي للوسطية أن نقوم بهذا الدور.

٣- تبادل الخبرات بين الجهات المعنية بالفتوى على الإنترنت، من خلال الزيارات وعمل ندوات وورش عمل ومؤتمرات خاصة بالفتوى على الإنترنت، ولا سيما مواقع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.

٤- إنشاء مركز يهتم بالفتاوى عبر وسائل الاتصال الحديثة، ومن أهمها الفتوى على الإنترنت، بحيث يهتم بمستوى الفتاوى ويخرج بقرارات وتوصيات للجهات المعنية بالفتاوى الإلكترونية.

٥- إنشاء معهد عالمي للفتوى، يقوم برفع مستوى المفتين، وتأهيل الباحثين الشرعيين الذين يعملون في الفتوى من خلال الدورات والدراسة المؤهلة للعمل في مجال الفتوى، وتزويد المفتين وطلاب العلم الشرعي بالدراسات الحديثة والقرارات والبحوث المجمعية الخاصة بمجال الفتوى.

٦- إنشاء صفحات للمفتين على موقع الفتوى المقترح، بحيث يضم هذا الموقع أكبر عدد من المفتين في العالم الإسلامي، فيضم صفحات المفتين، وصفحات مواقع الإفتاء، وصفحات الهيئات وغيرها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوسطية
فصلية - إسلامية - مستقلة

انسانية النبي

-صلى الله عليهِ وسلم -في معاملة الأسرى

د٠ عطاالله المعايطة
الجامعة الأردنية

بعث الله محمد صلى الله عليه وسلم والعالم تتقاسمه أديان ووثنيات شتى تهيمن فيها قوى الظلم على هذا الإنسان الذي كان بأمس الحاجة إلى بزوغ فجر جديد يريحه من تعسف قياصرة الرومان وأكاسرة الفرس والأديان المحرفة والوثنيات الظالمة في عقائدها وتصوراتها وشرائعها ومسالك حياتها ولعل جوانب العناء البشري كانت تشمل حياة الإنسان كلها ٠

وكانت صور الظلم والاعتداء على امن هذا الإنسان تتم من خلال الحروب والنزاعات التي تخلو من أخلاقيات تحترم وجود الإنسان وأمنه وخاصة في حقوق الأسرى في الحروب التي كانت الصفة الغالبة لحال البشرية قبل بعثة الهادي البشير عليه الصلاة والسلام،وسوف أتناول في هذا البحث الموجز صورة الواقع البشري الذي سبق بعثته عليه الصلاة والسلام في الأسرى والمنهجية الحضارية الجديدة التي جاء بها عليه الصلاة والسلام في رعاية الأسير وحمايته وفدائه وغيرها من الأحكام التي لم تعهدها البشرية من قبل ٠

١- تعريف الأسير:- هو الأخيذ والمقيد والمسجون وجمعه أسراء واسارى واسارى)(١) (وهو المأخوذ بالحرب)(٢)

٢-حالة الأسرى في الديانات والدول قبل الإسلام:-إن إلقاء نظرة موجزة على واقع الأسير في الملل السابقة للإسلام يبرز الحاجة الماسة التي كانت تنتظرها البشرية ببعثته عليه الصلاة والسلام،فان صورة الشقاء الإنساني في الحروب لا يمكن تصورها إذا عرضت مقارنه مع النقلة الحضارية السامقة التي أنارت هذا الوجود ببزوغ فجر الإسلام الذي هيمن على الأديان والحضارات السابقة

فالأسير عند اليهود ومن خلال نصوص التوراة المحرفة لا وجود له بل هناك صورة بشعة من صور الإبادة الجماعية، ونحن لا نرى هذه الصورة هي من أفعال وأخلاقيات الأنبياء الكرام الذين بعثهم الله لهداية بني إسرائيل بل هي صورة محرفة أو وقائع لحكامهم الذين ابتعدوا عن الهدي الرباني واتخذوا هذه النصوص ذريعة لجرائمهم قديما وحديثا

ففي سفر التثنية نرى هذه الصورة المفزعة من التعامل مع المخالفين حيث يقول كاتب السفر:- (حين تقترب من مدينة لكي تحاربها استدعها للصلح فان أجابتك للصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويستعبد لك،وان لم تسألك الصلح بل عملت معك حربا فحاصرها وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف- هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا أما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها بل تحرمها تحريما (أي تبيدها إبادة)الحثيين والاموريين والكنعانيين)(٣)ولما غزو مدينة أريحا اخذوا المدينة وحرموا (أي أبادوا)كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف)(٤)، ولما دخلوا مدينة عاي(احرقوا المدينة بالنار وضربوها حتى لم يبق منهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

شاردا ولا منفلت،وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع السكان وسقطوا جميعا بحد السيف حتى فنوا.فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من الرجال والنساء اثني عشرا لفا) (٥) أما الرومان الذين سيطروا على المسيحية وأخضعوها لمجامع متعددة لا صلة لها بدعوة السيد المسيح عليه السلام فقد كانوا في حروبهم ابعد ما يكونون عن تعاليم هذا النبي الكريم. فانك لاتكاد تجد في حروبهم أي حق للأسير أو النساء والاطفال فهم عرضة للقتل والإبادة والاستعباد كما يقول ابن العبري ت ١٢٨٦م ((عندما افتتح طيطوس مدينة أورشليم قتل فيها ستين ألف نفس وسبى نيفا ومائة ألف نفس ومات فيها من الجوع خلق كثير والباقون تشتتوا في البلاد)) (٦) وعندما ظهر بالقدس (رجل يقال له ابن الكوكب مدعيا انه يخلص اليهود من العبودية للرومان وجه له اذريانس جيوشا فقتلوه واهلكوا اليهود وخربوا أورشليم غاية الخراب وأمر اذريانس بصرم أذان اليهود الذين تخلفوا) (٧) ((وأمر تيتوس بالقبض على خمسين ألفا من الحيوانات المتوحشة ثم ترك معها عدة آلاف من الأسرى اليهود داخل سياج واحد في العاب بشعة. كان هناك عشرة آلاف رجل يتصارعون مع إحد عشر الفا من الوحوش الضارية وقال أغسطس في ذكرياته الجميلة كما يرى هو:-انه شاهد مباريات بين ثمانية آلاف جندي مع ٣٥١٠ من الحيوانات المفترسة وكانت هذه المباريات تتم باستخدام أسرى الحروب)) (٨)

أما الفرس عباد النيران فالصورة اشد بشاعة من أندادهم ومعاصريهم من الرومان فقد ذكر ابن الأثير رحمه الله:-(إن سابور بن هرمز لما غزا العرب أمر بعدم الإبقاء على احد منهم

فقتل منهم حتى أباد عبدا لقيس وقصد اليمامة وأكثر في أهلها القتل وغور مياه العرب وقصد بكرا وتغلب وسار إلى قرب المدينة فقتل كذلك وكان ينزع أكتاف رؤسائهم ويقتلهم وقيل انه أمر بصف الأسرى معا وخرق أكتافهم وربطهم معا ولهذا سمي بذي الأكتاف) (٩)

وروى المقريزي عن همجية الفرس في الإبادة والتخريب فقال:-(وفي أيام فوقا ملك الروم بعث كسرى ملك فارس جيوشه إلى بلاد الشام ومصر فخربوا كنائس القدس وفلسطين وعامة بلاد الشام وقتلوا النصارى اجمعهم واتوا على مصر في طلبهم فقتلوا منهم امة كبيرة،وسبوا منهم سبيا لا يدخل تحت الحصر وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ثم مضى كسرى بنفسه إلى العراق ثم توجه لغزو قسطنطينية تحت ملك الروم فحاصرها أربع عشر سنه) (١٠) أما مشركي العرب قبل الإسلام فحالهم في الحروب وبواعثها ونتائجها يبعث على الأسى والألم فقد (قامت حرب البسوس التي استمرت أربعين عاما بسبب ناقة اسمها سراب(١١)وفي حرب الاوارة التي كانت بين المنذر ابن امرئ القيس وبين بكر بن وائل وكان سببها إن تغلب لما أخرجت سلمه ابن الحرث عنها التجأ إلى بكر بن وائل فلما صار عند بكر أذعنت له وحشدت عليه وقالت لايملكنا غيرك فبعث إليهم المنذر يدعوهم إلى طاعته فأبو ذلك فحلف المنذر ليسيرن إليهم فان ظفر بهم فليذبحنهم على قمة جبل اوارة حتى يبلغ الدم الحضيض وسار إليهم في جموعه فاقتتلوا قتالا شديدا وانجلت الواقعة عن هزيمة بكر.وقتل بشر كثير واسر المنذر من بكر اسرى كثيرة فأمر بهم فذبحوا على جبل اوارة فجعل الدم يجمد.فقيل له:أبيت اللعن لو ذبحت كل بكري على وجه الأرض لم تبلغ دماؤهم الحضيض، ولكن لو صببت عليه الماء ففعل فسال الدم إلى الحضيض،وأمر بالنساء أن يحرقن بالنار) (١٢).

٣- إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الأسرى:

في خضم هذا الواقع الأليم الذي عرضنا جزئيات بسيطة منه انبثق نور جديد هدفه الأسمى (إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة) (١٣) إن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كان طابعها الأسمى هو الحفاظ على الإنسان و الرغبة النبوية في دخول الناس في دين الله ولم تكن هذه الغزوات تهدف إلى القتل والتدمير والإذلال أو النهب والسلب كما هي السمة الغالبة على حروب الأولين والآخرين وإنما اوجد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المنهج الحضاري و والنقلة الجديدة في حياة البشر التي لا يرقى إلى مستواها الأسمى إلا نبي مرسل مكلف بتطبيق شريعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

الله على هذه البشرية فهوا لرحمة المهداة التي قال عنها ربه جل جلاله في محكم تنزيله(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) الأنبياء (١٠٧)وكل حياته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ومع مخالفيه كانت رحمة تسموفوق الأحقاد والضغائن والإحن حتى وهو يضرب وجهه الشريف ويسيل الدم منه عليه الصلاة والسلام يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم) (١٤) (وعندما رجع من الطائف وجاء ملك الجبال وقال:-أن شئت أطبقت عليهم الاخشبين قال:- أرجو الله أن يخرج من أصلابهم من يوحد الله) (١٥) .بهذه الروح الحانية قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤوس الشرك وانتصر عليهم وكان عامة أحواله الصفح والرحمة وهذا ما سنلاحظه في هذه الوقائع المؤثرة مسيرته صلى الله عليه وسلم وهديه في الأسرى الذي يفيض رحمة ورغبة في هداية الناس وإسلامهم وليس إراقة دمائهم وإذلالهم.

١-عدم ضرب الأسيروإذلاله :- فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن ضرب الأسير الذي قبض عليه قبل غزوة بدر الكبرى(عندما ذهب عليا و الزبير وسعدا رضوان الله عليهم يلتمسون له الخبر ببدر فأصابوا راوية لقريش فيهم اسلم غلام بني الحجاج وأبو يسار غلام بني العاص فاتوا بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي فسألوهما فقالوا:- نحن سقاة قريش بعثونا نسقيهم من الماء فكره القوم خبرهما وضربوهما ليخبروهما عن أبي سفيان فقالا نحن لأبي سفيان فتركوهما ولما فرغ النبي من صلاته قال:-إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكما تركتموهما صدقا إنهما لقريش اخبراني أين قريش قالا:-هم وراء الكثيب) (١٦)

٢-إطعام الأسرى والوصية بهم:-فقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالأسرى خيرا متبعا التوجيه القرآني في قوله تعالى:- (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا،إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) (الإنسان -٨-٩).وقال عليه الصلاة والسلام: (استوصوا بالاسارى خيرا) (١٧) . وقد طبق هذا الأمر واقعا مشهودا فقد روى ابن إسحاق عن نبيه ابن وهب قال(كان أبو عزيز بن عمير بن هاشم اخو مصعب بن عمير فقال أبو عزيز مر بي أخي مصعب بن عمير ورجل من الأنصار يأسرني فقال: شد يديك به،فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك، قال:- وكنت في رهط من الأنصار حين اقبلوا

بي من بدر،فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاؤهم خصوني بالخبز(١٨) ،وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم بنا، ما تقع في يد رجل منهم كسرة خبز إلا نفحني بها، قال:-فاستحي فأردها على احدهم، فيردها علي ما يمسها) (١٩)

٣-قبول الشفاعة في الأسرى:- وهذه الشفاعة ترجع إلى تقدير مواقف سابقة للأسرى ووقوفهم مع المسلمين في مكة المكرمة. قال:- عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (لما كان يوم بدر وجي بالاسارى، قال:- رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما تقولون في هؤلاء الاسارى، فذكر في الحديث قصة، فقال:- رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا ينفلتن أحدا منهم إلا بفداء أو ضرب عنق، قال عبد الله:- فقلت يا رسول الله:-إلا سهيل بن البيضاء، فاني سمعته يذكر الإسلام. قال:-فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:-فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي حجارة من السماء مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:-الا سهيل بن البيضاء) (٢٠)وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم:- بعدم قتل أبا البختري بن هشام لأنه كان اخف القوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة وكان ممن اهتم بنقض الصحيفة) (٢١)

٤- إعطاء حرية الاختيار للأسيروإخلاء سبيله إذا اسلم : فلم يؤثر أن أسيرا اكره على تغيير معتقده بل كان يترك له الاختيار المطلق في ذلك فعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم (اتى بعين للمشركين اسمه فرات بن حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الأنصار اقتل وانأ اشهد أن لااله إلا الله وان محمد رسول الله، فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال إن منكم من أكله إلى إيمانه منهم فرات بن حيان) (٢٢) ولقد صدق يقين النبي صلى الله عليه وسلم فيه حيث أصبح من خيار الصحابة المجاهدين وكان يغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي سيره النبي صلى الله عليه وسلم إلى ثمامة بن اثال في قتال مسيلمة الكذاب) (٢٣) ومن شواهد هذا المنهج قصة ثمامة

This file was downloaded from QuranicThought.com

بن اثال – سيد بني حنيفة عندما أسرته خيل المسلمين فجاءوا به أسيرا وربطوه في سارية من سواري المسجد فخرج الرسول صلى الله عليه وسلم فقال:-(ماذا عندك ياثمامه)فقال:- عندي يامحمد خيرا إن تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى عاد إليه السؤال وعاد عليه ثمامة نفس الجواب –ثم جاءه الثالثة فقال:- عليه الصلاة والسلام أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال:-اشهد ان لااله إلا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا محمد والله ما كان على الأرض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه كلها الي والله ما كان من دين ابغض الي من دينك فأصبح دينك أحب الدين كله إلي والله ما كان من بلد ابغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي) (٢٤)

٥- المرأة الأسيرة وصور من تكريمها:- لقد ابرز النبي صلى الله عليه وسلم صورة رائعة من صور صيانة المرأة في الحروب مغايرة تماما لممارسات الأمم السابقة للإسلام حيث كانت عرضة للاغتصاب والاهانة والاسترقاق، وهذه الممارسات عادت الى الوجود في حروب العصر الحديث فراينا امتهانها واغتصابها في حروب البوسنة والهرسك والعراق وفلسطين وأفغانستان، ما لا يحتاج إلى توثيق. أما الرسول الإنسان عليه الصلاة والسلام، فقد نهى عن الاعتداء على أعراض مخالفيه من المشركين كما هي صورة الحروب السابقة والمعاصرة. فقد أكرم ابنة حاتم الطائي واسمها سفانة بنت حاتم عندما رآها في السبي ومن عليها وأعطاها العطايا وأمرها باللحاق بأخيها عدي وكان ذلك سببا في عودة عدي ابن حاتم مسلما وأصبح له شان في فتوح الإسلام الأول) (٢٥) وأسرت جويرية بنت الحارث بن ضرار ثم تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأطلق المسلون الأسرى كرامة لهذا الزواج التي ارتقت بسببه جويرية رضي الله عنها الى مستوى امهات المؤمنين رضوان الله عليهم،

عن عائشة رضي الله عنها قالت (لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق، وقعت جويرية بنت الحارث في سهم لثابت بن قيس بن شماس او لابن عم له فكاتبته على نفسها، وكانت امراة حلوة ملاحة لايراها احد الا اخذت بنفسه، فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها، قالت عائشة:- فو الله ما هو الا ان رايتها على باب حجرتي، فكرهتها، وعرفت انه سيرى منها ما رايت فدخلت عليه، فقالت: يا رسول الله:- انا جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار سيد قومه، وقد اصابني من البلاء ما لم يخف عليك فوقعت في سهم لثابت بن قيس بن شماس او لابن عمه فكاتبته على نفسي فجئتك استعينك على كتابتي. قال:- فهل لك في خير من ذلك قالت:- وما هو يارسول الله، اقضي عنك كتابتك وأتزوجك قالت:- نعم يارسول الله قال:- قد فعلت، قالت:- وخرج الخبر للناس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث. فقال الناس:- أصهار رسول الله صلى الله علي وسلم وارسلو ما بأيديهم، قالت:- فلقد اعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق فما اعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها) (٢٦) وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيه بنت حيي بن اخطب حيث وقعت في السبي في غزوة خيبر في سهم دحية الكلبي رضي الله عنه.(فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:- يا نبي الله أعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك، قال:- دعوه بها – فجاء بها فلما نظر إليها النبي صلى الله عليه وسلم قال:-خذ جارية من السبي غيرها، قال:- فاعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وتزوجها) (٢٧) ورفعها الى مستوى امهات المؤمنين وهي مازالت قريبه العهد باليهودية حيث قالت:- (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض الناس الي قتل زوجي وأخي وأبي فما زال يعتذر ويقول:- ان أباك ألب علي العرب وفعل وفعل حتى ذهب ذلك من نفسي) (٢٨) ومما يجب العلم به ان هذه السبايا لا يمسها احد اذا كانت متزوجة قبل ان تستبرا الارحام الا اذا كانت بكرا فانها تصبح ملك يمين مالم تعتق بمكاتبة او من عليها ممن وقعت في سهمه ويشهد لهذا مارواه مسلم في صحيحه عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال:- غزونا فزارة وعلينا ابو بكر، امره رسول الله صلى الله عليه وسلم،فلما كان بيننا وبين الماء ساعة امرنا ابو بكر. فعرسنا ثم شن الغارة، فورد الماء فقتل من قتل وسبى من سبى وانظر الى عنق الناس فيهم الذراري،فخشيت ان يسبقوني الى الجبل فرميت بسهم بينهم

This file was downloaded from QuranicThought.com

وبين الجبل، فلما راوا السهم وقفوا وجئت بهم اسوقهم وفيهم امراة من بني فزارة، عليها قشع من ادم قال:- القشع (٢٩) النطع – معها ابنة لها من احسن العرب، فقدمنا المدينة وما كشفت لها ثوبا، فلقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق فقال:- يا سلمة هب لي المراة، فقلت:- يا رسول الله لقد اعجبتني وما كشفت لها ثوبا، ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد في السوق، فقال:- يا سلمة هب لي المراة، لله ابوك – فقلت:- هي لك يا رسول الله، فوالله ما كشفت لها ثوبا، فبعث بها نبي الله صلى الله عليه وسلم الى رجل من اهل مكة، ففدى بها ناسا من المسلمين كانوا اسروا بمكة) (٣٠) ولم تكن حروبه صلى الله عليه وسلم مثل حروب هذا العصر تشهد همجية الاعتداء على النساء واغتصابهن، بل كانت هذه الممارسة ابعد ما تكون عن مجتمع يقوده رسول الله صلى الله عليه وسلم غايته الطهر والعفة والبعد عن كل ما يمس دينهم وطاعتهم وتقواهم، فلذلك اباح لهم النبي صلى الله عليه وسلم في مواطن متعددة زواج المتعة عند الحاجة اليه ثم حرمه النبي صلى الله عليه وسلم تحريما قطعيا في اخر غزواته وهي اوطاس.

٦-اسر الملوك وطريقته عليه الصلاة والسلام في التعامل معهم:- لم يكن من مقاصد هذا النبي الكريم اذلال ملك او رئيس قبيلة او انتزاع ملك احد او سلب اموالهم او سبي نسائهم. انما كان القصد الاسمى الذي يبدو من مجموع سيرته هو الرغبة الكبرى في اسلام الناس ودخولهم في دين الله طواعية لا كراهية وحبا وقناعة، وهذا هو سر استقرار هذا الدين وامتداده في مشارق الارض ومغاربها با لرغم من الاهوال التي صبت على اتباعه في كل مكان.

وهذه شواهد تدل على هذا المنهج:- حيث بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى اكيدر بن عبد الملك الكندي ملك دومة الجندل فاخذه اسيرا وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وكتب له ولاهل دومة الجندل كتابا) (٣١)

ومن شواهد هذا المنهج واصالته في دعوة النبي صلى الله عليه وسلم:- عودة عدي بن حاتم حيث تكلم عن نفسه فقال:- (كنت ملك طئ اخذ منهم المرباع (٣٢) وانا نصراني فلما قدمت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هربت الى الشام من الإسلام وقلت:- أكون عند اهل ديني فبينما أنا بالشام اذ جاءت أختي وأخذت تلومني على تركها وهربي بأهلي دونها، ثم قالت لي:- أرى أن تلحق محمد سريعا، فان كان نبيا كان للسابق فضله، وان كان ملكا كنت في عز وأنت أنت قال:- فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه وعرفته بنفسي فانطلق بي الى بيته فلقيته امرأة ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه في حاجتها – فقلت:-ما هذا بملك، ثم دخلت بيته فاجلسني على وسادة وجلس على الارض – فقلت في نفسي:- ماهذا ملك فقال لي:- يا عدي انك تاخذ المرباع وهو لايحل لك في دينك، ولعلك انما يمنعك من الاسلام ماترى من حاجتنا وكثرة عيوننا، والله ليفيض المال فيهم حتى لا يوجد من ياخذه، ووالله لتسمعن بالمرأة تسير من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت لا تخاف الاالله، ووالله لتسمعن بالقصور البيض من بابل وقد فتحت، قال:- فاسلمت فقد رايت القصور البيض وقد فتحت، ورايت المراة تخرج الى البيت لا تخاف الا الله، ووالله لتكونن الثالثة ليفيضن المال حتى لايقبله احد) (٣٣)

٧-العفو الجماعي عن الاسرى:- وهذا هو المنهج المسيطر على غزواته صلى الله عليه وسلم – الميل لجانب العفو و المسارعة إلى التئام جروح مخالفيه طمعا في اسلامهم وايمانهم بعيدا عن التمتع العاجل بسباياهم و اموالهم وارضهم.

ومن الشواهد على هذا – ما حدث في غزوة بني المصطلق لما سمع الناس بزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم من جويرية بنت الحارث قام الناس برد الاسرى والغنائم لاصحابها، وتبع ذلك اسلام ابيها الحارث بن ضرار وقومه وهذا هو الهدف الاسمى الذي سعى اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي غزوة حنين و الطائف عفا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ستة الالاف اسير من النساء والاطفال والرجال فقد روى البخاري عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه قال:- إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه إن يرد اليهم اموالهم وسبيهم فقال:- لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (معي من ترون، واحب الحديث الي اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين، اما السبي واما المال.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقد كنت استانيت بكم) وكان انظرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف، فلما تبين لهم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ر ا د اليهم إلا احدى الطائفتين قالوا:- فانا نختار سببنا، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال:- ((اما بعد، فان اخوانكم قد جاؤنا تائبين، واني قد رايت إن ارد اليهم سبيهم. فمن احب منكم إن يطيب ذلك فليفعل، ومن احب منكم إن يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول ما يفئ الله علينا فليفعل)). فقال الناس:- قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- ((انا لا ندري من اذن في ذلك ممن لم ياذن، فارجعوا حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم. ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا. هذا الذي بلغني عن سبي هوازن)) (٣٤) وفي رواية لابو داود قال:- عليه الصلاة والسلام (ردوا عليهم نساءهم وابناءهم)وفي صورة من صور الرحمة والمودة يستعطفون قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فيقولون:- (يا رسول الله انا اهل وعشيرة وقد اصابنا ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام زهير ابو صرد من بني سعد بن بكر وهم الذين ارضعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:- يا رسول الله انما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك)فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:- (ردوا عليهم نسائهم وابنائهم فمن مسك بشئ من هذاالفئ فان له علينا به ست فرائض من اول شئ يفيئه الله علينا) واصبح رئيس هذا السبي الذي حارب رسول الله عليه وسلم يقاتل في سبيل الله وينافح عنه فقد بعث النبي عليه الصلاة والسلام إلى مالك بن عوف رئيس هوازن قائلا (إن اتاني مسلما رددت عليه اهله وماله واعطيته مئة بعير فاخبر مالك بذلك فخرج من الطائف سرا ولحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم وحسن اسلامه واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه فاعطاه اهله وماله ومئة بعير وكان يقاتل بمن اسلم معه من ثمالة وفهم وسلمه وثقيف

٨- فداء الأسرى:- إن هذا المنهج هو سلسلة مترابطة تعبر عن تاسيس حالة جديدة تبرز جوانب الرحمة والانسانية فما كان الفداء لقصد مغنم دنيوي ابدا وكان الحادي الاكبر في مقاصده صلى الله عليه وسلم هو استبقاء الرجال حتى يكرمهم الله بالاسلام والايمان. واول فداء حدث في تاريخ الاسلام كان قبل غزوة بدر الكبرى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها عمرو بن الحضرمي و اسروا عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان --- وبعثت قريش في فدائهما و قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الفداء فاسلم الحكم بن كيسان، واما عثمان بن عبد الله فمات بمكة كافرا ثم حدثت معركة بدر الكبرى التي اسر فيها عدد كبير من المشركين وكان الفداء ومن ضمن تفصيلاته جوانب انسانية عميقة تعبر عن سمو هذا النبي الكريم عن بواعث الانتقام والقتل كما يفعل في الحروب القديمة والحديثة. وكان في الاسارى ابو العاص بن الربيع زوج زينب بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وكان من اكثر رجال مكة مالا وامانة وتجارة وهو ابن اخت السيدة خديجة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما بعثت قريش في فداء الاسارى بعثت زينب في فداء ابي العاص زوجها بقلادة لها كانت خديجة ادخلتها معها فلما راها الرسول صلى الله عليه وسلم. رق لها رقة شديدة وقال:- إن رايتم إن تطلقوا لها اسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا فاطلقوا لها اسيرها وردوا القلادة).

الخاتمة:

هذه صور مشرقة من جوانب انسانيته عليه الصلاة والسلام في تعامله مع االاسرى، حيث كان نور الرحمة والمحبة هو الذي ساد ذلك العصر وامتد ذلك الخير في فتوح الخلفاء الراشدين وفتوح دول الاسلام كلها حتى القى الاسلام بجرانه في الارض واصبح مشعل هداية للبشرية ثم لما ضعف المسلمون وغابت عنهم معالم المنهج النبوي حيث وقعوا فريسة لتناحرهم الداخلي والفتن القاتلة وتسلط عليهم اعدائهم وعاد الشقاءللبشرية من جديد كما نرى ونشاهد في حروب الغزاة الجدد القادمين من وراء البحار ينشرون القتل والدمار والانحلال الخلقي بكل صوره واشكاله واننا لنامل من خلال الكشفعن هذه الجوانب الانسانية، اعطاء صورة مضادة لما يعيشه العالم الان لعل امتنا تنهض من جديد والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

This file was downloaded from QuranicThought.com

الهوامش:

١-الفيروز أبادي –القاموس المحيط ص٤٣٧وانظر الأصفهاني – معجم مفردات القران ص١٢
٢- المعجم الوسيط ج٢ص١٧
٣- التوراة – سفر التثنية –الإصحاح ٢٠-فقرة ١٠-١٧
٤- سفر يشوع – الإصحاح ٦- ٢٠-٢١ ٣- ابن العبري -تاريخ مختصر الدول ص١١٧
٥- يشوع ٨-١٩-٢٩ ٤-المرجع السابق ص١٢١ ٥- المودودي –الجهاد ص١٦٤
٦- ابن الأثير- الكامل في التاريخ ج١-ص ٢٢٩ –وابن كثير- البداية والنهاية ج٢-ص١٨١
٧- المقريزي- كتاب المواعظ والاعتبار المعروف بالخطط ج٤ص٤٠٦
٨- ابن الأثير –ج١-ص٣١٣
٩- ابن الأثير – ج١-ص٣٣٤
١٠-عبارات للقائد ربعي بن عامر قالها أمام رستم – ابن كثير- البداية والنهاية ج٧ص٣٩
١١-ابن هشام السيرة النبوية ج٢-ص٣٠
١٢-مسلم -١٧٩١
١٣-- ابن الأثير –الكامل –ج٢ –ص٨٣ ٢- الطبراني – المعجم الصغير رقم ٤٠٩-والمعجم الكبير رقم ٩٧٧- والطبري –تاريخ الأمم والملوك ج٢ص٣٩
١٤- يبدو من النص أن الخبز أهم من التمر لندرته وتوفر التمر ٢- ابن هشام – السيرة ج٢-ص١٨٩
١٥- الترمذي –ك السير –باب ما جاء بالمشورة رقم ١٧١٤ ٤- ابن الاثير الكامل ج٢ص٨٩
١٦-القرطبي – أحكام القران ج١٨ – ص٤٦-وابن كثير- البداية والنهاية ج٤-ص٥
١٧-اسد الغابة- ج١- ص٨٩٣
١٨-البخاري ومسلم واللفظ له ١٧٦٤
١٩-ابن الاثير –الكامل ج٢ص١٩٤- اسد الغابة ج١ص١٣٦
٢٠-البخاري-كتاب العتق-باب من ملك من العرب رقيقا – ومسلم في الجهاد (باب جواز الاغارة على الكفار)
٢١-البخاري –رقم ٣٦٤ – ومسلم ١٣٦٥
٢٢-البلاذري – فتوح البلدان – ص ٣٨
٢٣- القشع- الجلد اليابس
٢٤- مسلم- كتاب الجهاد- باب التنفيل وفداء المسلمين الاسارى رقم ١٧٥٥
٢٥-- البلاذري- فتوح ا البلدان – ص٧٢ – وابن هشام ج٤ ص١١٣ – والاصابة ج١-ص٢٤٤
٢٦- المرباع:- ربع الغنيمة يكون لرئيس القوم –لسان العرب ج٧- ص ٤١٣ –تاج العروس ج١- ص ٥٢٠٥ –ا او جزء من الغنيمة ياخذها ا لملك ا لنصر ا ني – لسان ا لعرب ج٥- ص ٩٥
٢٧- ابن الاثير – الكامل- ج٢- ص١٩٥- وانظر سيرة ابن هشام ج٤- ص١٥٤- واسد الغابةج١- ص٣٩٥
٢٨- صحيح البخاري – كتاب المغازي –باب قوله تعالى (ويوم حنين ---) رقم الحديث ٤٣١٨-٤٣١٩
٢٩-سنن ابي داود- كتاب الجهاد – باب فداء الاسرى ح- رقم ٢٦٩٤
٣٠-ابن الاثير – الكامل- ج٢- ص١٨٢
٣١-ابو داود- ا لسنن- حديث رقم ٢٦٩٤
٣٢-ابن الاثير ج٢ص١٨٣
٣٣-ابن الاثير – الكامل – ج٢ ص٩٣-٩٤
٣٤- المرجع السابق ج٢ ص٩٤

This file was downloaded from QuranicThought.com

إنسانية النبي

- صلى الله عليه وسلم -

مع غير المسلمين في السلم والحرب- من خلال ساحة المعركة

د. عدنان آل شلش
المملكة الأردنية الهاشمية

الحرب شر لا بد منه، ولا يقدم الإسلام عليه إلا مضطرا. الحرب شر لا بد منه ! قضية آمن بها الناس جميعا، ويزدادون إيمانا بها كلما اتسع العمران، وتنافس الناس في هذه الحياة. وأخرى آمن بها الناس كذلك -مسلمهم وكافرهم-إلا أعمى أو مكابرا، يدمغه الحق، فيولي صاغرا، ويدير مستكبرا، وقد ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة! تلك هي: أن الإسلام لا يشتهي الحرب ولا يتمناها، ولا يقدم عليها إلا مضطرا؛ فهو دين الهدى والرحمة والسلام والطمأنينة، والوقار والسكينة؛ فإذا اعتدى معتد على كرامته، أو بغى على حرمته، رد العدوان بمثله، لا يحيف ولا يجوز، ولا يغدر ولا يخون؛ فإذا كف الظالم، وثاب الآثم،ورجع المعتدي، صافحه الإسلام وعفا عنه، وأعاشه في كنفه وادعا آمنا مطمئنا على نفسه وماله وعرضه ودينه، يدافع عنه ويقاتل دونه، ويرعى له من الحرمة والكرامة ما لا يرعاه أهل ملته، ولا يزال كذلك في بحبوحة الأمن والطمأنينة، حتى يغدر أو يفجر فيعلنها الإسلام حربا عوانا !

هنالك لا يجد الإسلام بدا من الأخذ بالحزم والعزم في معاقبة الباغين، وتأديب الطاغين، وإلا كانت رحمته ضعفا، وعزته ذلا، وشجاعته جبنا! وتلك بعض الرذائل التي جاء لمحوها والقضاء عليها.

وهل يستطيع منصف أن يقول أن الإسلام يشتهي الحرب أو يدعوا إليها في غير الضرورة التي لا محيص عنها، وهذه إحدى غزوات رسول الله -صلى الله عليه وسلم- التي نهى فيها عن تمنى لقاء العدو والاشتباك معه؟!.

لم تعرف على وجه التحديد هذه الغزوة، ولكن الذي عرف من سيرته صلوات الله عليه، حتى أضحى الجدل فيه عنادا ومكابرة، انه ما خرج لملاقاة قوم إلا بعد أن سقطت الأدلة على غدرهم ومكرهم، وعملهم سرا أو جهرا على هدم دعوته، ووضع العقبات والعراقيل في طريقها!.

إيثار السلم على الحرب

وكم احتمل هو وأصحابه صابرين مصابرين من أذى لا يحتمل، واعنات لا يطاق، في إيثار السلم على الحرب، والعفو على العقوبة، واللين على البطش والقوة.

وفي موادعة اليهود، وصلح الحديبية، وفتح مكة وكثير غير ذلك، شواهد صدق لما نقول.

وإذا كان الإسلام يجنح للسلم أن جنح للسلم أن جنح

This file was downloaded from QuranicThought.com

العدو لها- ولو كان في جنوحه هذا مخادعا – فمن العناد والمكابرة، بل من السخف والمهاترة، أن يرمي الإسلام افاك أثيم ، بأنه متعطش للدماء، أو معتد على الأبرياء!

في الطريق الى البيت الحرام :

لما أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الفتح(يوم الحديبية) وقال:﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧)

سلسة من الأحداث المتلاحقة والحاسمة،بدأت يوم (الحديبية)، وانتهت بالفتح المبين-فتح مكة- وكأنها متماسكة! الشاهد الأول: أخرج البخاري في صحيحه حديثا جميلا يبين ما نذهب إليه؛ فقال:

حدثنا عبيد بن إسماعيل: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، قال: لما سار رسول – صلى الله عليه وسلم- عام الفتح، فبلغ ذلك قريشا،خرج أبو سفيان بن حرب،وحكيم بن حزام،وبديل بن ورقاء، يلتمسون الخبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه، لكأنها نيران عرفة؟ فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو اقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأدركوهم فأخذوهم، فاتوا بهم رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فاسلم أبو سفيان ، فلما سار قال للعباس: (احبس أبا سفيان عند حطم الخيل، حتى ينظر إلى المسلمين). فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي – صلى الله عليه وسلم- تمر كتيبة كتيبة على أبو سفيان، فمرت كتيبة، قال: يا عباس من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة،قال مثل ذلك،ثم مرت سعد بن هذيم، فقال مثل ذلك، ومرت سليم، فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عباس حبذا يوم الذمار، ثم جاءت كتيبة، وهي أقل الكتائب، فيهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وراية النبي – صلى الله عليه وسلم- مع الزبير بن العوام، فلما مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بابي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال:(ما قال) ؟ قال: كذا وكذا، فقال: (كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة). قال: وأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن تركز رايته بالحجون.

الشاهد الثاني: قال ابن كثير: ودخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو راكب على ناقته وعلى رأسه المغفر، ورأسه يكاد يمس مقدمة الرحل من تواضعه لربه عزوجل... وكان الفتح لعشر بقين من رمضان...

الشاهد الثالث: ثم سألوه الأمان لقريش فقال رسول الله : (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن أغلق الباب على نفسه فهو آمن) .وإنما أعطى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أبا سفيان هذه الميزة إرضاء لعاطفة الفخر في نفسه، وقد أرضاه بما لا يضر أحدا ولا يكلف جهداً ، ولا عليه أن يتحبب إلى نفس بمثل هذا الثمن الميسور. ولما دخل رسول الله – صلى الله عليه وسلم-البيت العتيق أخذ يكسر الأصنام فتقع على الأرض مهشمة متناثرة،يقول محمد الغزالي:

«كانت هذه الحجارة – قبل ساعة- آلهة مقدسة- وهي الآن – جص وتراب وأنقاض ! يهدمها نبي التوحيد وهو يقول :»وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا « الإسراء ٨١. ثم أمر بالكعبة ففتحت. فرأى الصور تملؤها ، وفيها صورتان لإبراهيم وإسماعيل يستقسمان بالأزلام ؟ فقال- ساخطاً على المشركين – (قاتلهم الله والله ما استقسما بهذا قط) ومحا ذلك كله. حتى إذا طهر المسجد من الأوثان أقبل على قريش وهم صفوف صفوف ، يرقبون قضاءه فيهم، فأمسك بعضادتي الباب - باب الكعبة- وهم تحته، فقال: (لا اله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده،وهزم الأحزاب وحده).

الشاهد الرابع: ثم قال : (يا معشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم) ؟ قالوا: خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال: (فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: اذهبوا فأنتم الطلقاء)».

وقبل أن يسير الرسول-صلى الله عليه وسلم- بجيشه

This file was downloaded from QuranicThought.com

العرمرم إلى مكة فاتحا ومؤدبا لصناديد وكفار قريش على نقضهم عهدهم معه بالإغارة والمساعدة ماديا ومعنويا على بني خزاعة من قبل بني بكر، وقع في هذه الفترة الدقيقة حادث مستغرب.فإن رجلاً من أهل السابقة في جهاد المشركين تطوع بإرسال كتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً سائلا إليهم بجيشه..!! وقد عرف من كتب السير أن المسلمين كانوا حريصين على إخفاء خطة الغزو؟أليس مما يقرب نجاحهم ويخفف خسائرهم ؟ ولعله يدفع قريشاً إلى التسليم دون أن تسفك الدماء عبثاً وما معنى الكتابة إليهم إلا التحريض على حرب الله ورسوله، والاستكثار من أسباب المقاومة؟

أخلاقيات الجهاد:

حين تشتعل نار الحرب يجب أن يذكر الجيش المحارب أنه يخوض حربا دفاعية لتحرير الضعفاء والمضطهدين،فليضيق حدودها حتى لا يصطلي بنارها إلا من حمل السيف وبدأ بالعدوان فلا تؤخذ أمة العدو كلها بجريرة جيشها أو فريق منها اعتدوا على أمتنا: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ (البقرة١٩٠)

وهنا يسمو الإسلام الى منتهى ذروة الإنسانية حين يحرم قتل الشيخ الكبير والعاجز والمرأة والصبي ورجل الدين المنقطع للعبادة والفلاح والمسالم الذي لم يشترك في القتال،وحسبنا أن نذكر وصية أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – لأول جيش خرج من الجزيرة العربية ليرد عدوان الروم المبيت على دولة الإسلام الفتية،وهي وصايا تجعل أبي بكر على قمة الخلود بين رجال التاريخ وقادة الأمم مدنيين وعسكريين،إذ يقول: ((لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلا صغيرا ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ولا تعقروا نخلا ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا لمأكله،وسوف تمرون بأقوام فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له)) ،هذه هي وصايا الأمة التي تحارب بروح مسالمة،وتأبى أن تنقلب إلى أمة معتدية تنطلق وراء غرائزها وثاراتها تخرب وتنتقم.

فالحرب عند أمة محمد الوسطية ليست ضررا ولا ضرارا ، ولا همجية وتعسفية ، ولم تكن أبدا للدنيا وملذاتها أو شهواتها ، لماذا ؟ لأنها كانت إنسانية الطابع والوجهة.. لا لمصلحة قوم ولا أمة ولا جنس بل كانت لمصلحة أمم العالم كلها،فاتسع صدرها-بعد النصر- لجميع شعوب العالم،واستفادت من كل حضارات العالم،وأظلت للوائها أمما وشعوبا متباينة اللغات والعادات،مختلفة الأعراق والديانات،ولعل الحروب الإسلامية هي الحروب الوحيدة التي أقامت بعد انتصارها حضارة اشترك في بنائها كل شعوب الأرض...وهل كانت الإنسانية تنعم بثمار الفكر العبقري لعظماء الإسلام الخالدين،كأبي حنيفة وابن رشد والطبري والبخاري ومسلم وجل المحدثين والفقهاء وأهل الكلام والفلاسفة كالغزالي والفارابي والرازي والكندي ومن لف لفهم – وهم من أصل غير عربي- لولا حروب الإسلام وفتوحاته؟!..

ما أحوجنا لهذا المنهج الوسطي:

هذه هي أهم ما تتميز به الحروب الإسلامية في واقعها التاريخي،وبذلك استطاع الإسلام لأول مرة في التاريخ،أن ينشىء جيلا ممتازا في حب السلم والعمل له،وكره الحرب والابتعاد عنها إلا أن لا يكون منها مفر،وحينئذ لاينسى أخلاقيته وإنسانيته ولا روحه المسالمة المتسامحة مع اشد أعدائه لددا وخصومه،إن نجاح الإسلام في ذلك نجاح منقطع النظير،وسر هذا فيما اعتقد انه أحاط المسلم بجو سلمي في نفسه وفي بيته وفي جواره وفي مجتمعه،وانتزع من نفسه كل عوامل الشر ومطامع الغلبة والاستعلاء،وجعل العبادة هي المدرسة الأولى التي تربيه على حب السلم والتعاون مع الناس،حتى إذا اضطر الى خوض غمار الحرب دفاعا عن عقيدة،أو ذودا عن حرمة،أو تحريرا لجماعة من طغيان الظالمين واستبداد المتكبرين،رأى الناس فيه أسدا لا يعبأ بالموت ولا يبالي بالجراح ،وله مع هذا رقة المواعدين وهدوء السالمين،وسماحة المترفعين عن الأحقاد والضغائن..

وما أحوج الإنسانية اليوم الى مثل هذه التربية التي ربي عليها الإسلام أبناءه،فكان لهم طهر الأنبياء،وبراءة الملائكة،وحمية الإبطال! ذلك أن الذين ينادون بالسلم من كلا المعسكرين المتحاربين اليوم،قد فقدوا السلم في أنفسهم وفي بيوتهم،وفي أنفسهم معركة قائمة بين الأطماع والشهوات،وبين العقل والقلب،وفي بيوتهم نار مشتعلة تشب من اختلال التوازن بين الحقوق والواجبات:بين الرجل وبين المرأة،وبين الوالد والولد،وفي مجتمعاتهم أحقاد موروثة،وضغائن موروثة،ومظالم اجتماعية تعمل عملها في إثارة الأعصاب واشتجار العداوات..

This file was downloaded from QuranicThought.com

توجهات الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في ميزان الإسلام

الدكتور ياسين المقوسي
عضو منتدى الوسطية للفكر والثقافة

تحظى قضية حقوق الإنسان في القرن الحادي والعشرين باهتمام متزايد لدى الباحثين، وغدت القضية الأهم بين القضايا التربوية والاجتماعية والسياسية، فحقوق الإنسان قضية حضارية، وأداة ضغط سياسي، وأضحى مفهوم حقوق الإنسان من المفاهيم الشائعة في الأدبيات السياسية والتربوية الحديثة، ومن هنا اتجهت كثير من الدول إلى زيادة الاهتمام بحقوق الإنسان.

والعالم اليوم أصبح قرية إنسانية واحدة، تحطمت بينها كل الحواجز الجغرافية والثقافية والاقتصادية والسياسية، وفي غمرة حركة حقوق الإنسان لم يعُد أمام المفكرين المسلمين من خيار سوى طرح حقوق الإنسان والقضايا المتعلقة بها، مستندين إلى أصول الفكر الإسلامي وأساسياته، معتمدين مبدأ الاجتهاد في فهم النصوص، وفهم الواقع المعاش.

وفي ظل نظام عالمي مضطرب تحاول فيه دولة عظمى واحدة أن تفرض قوانينها على العالم، كما تحاول تسييد مفاهيم عولمتها، وتستغل قضية حقوق الإنسان لأغراض سياسية هي أبعد ما تكون عن القيم الحقيقية لحقوق الإنسان، وبالتالي يتوقع كثير من الباحثين أن يفرز هذا النظام مجموعة من القيم والمبادئ والمفاهيم المرتبطة بمفاهيم حقوق الإنسان، وستحاول إدخالها في الكتب والمناهج المدرسية للدول دون مراعاة لخصوصيتها الدينية والثقافية والاجتماعية. ويظهر ذلك من خلال غايات حقوق الإنسان في العالم الغربي القائمة على القيم والمبادئ التي انتهى إليها الفكر الأوروبي والرأسمالي، وهو نموذج للمفاهيم التي يحاول الغرب فرض عالميتها على الشعوب الأخرى من خلال النظام العالمي الجديد، القائم على مبدأ الرفض المطلق للتباين والتعددية في الثقافات والخصوصيات الحضارية للأمم والشعوب.

« وأمام اشتداد وطأة الغزو الفكري في العالم الإسلامي ممهِّداً وتالياً للغزو العسكري والاقتصادي، كان لا بدّ للفكر الإسلامي من النهوض من غفوته، ليدافع عن الإسلام، متسلحاً بسلاح العقل ومكتسبات العلوم، محاولاً بلورة نظرية إسلامية سياسية واجتماعية للدولة المعاصرة ». (الغنوشي،

This file was downloaded from QuranicThought.com

١٩٩٣، ص٧٤) وبخاصة أنّ أساس حقوق الإنسان في الخطاب الإسلامي يستند إلى التكريم الإلهي، وأن هذه الحقوق ضرورة من ضرورات إنسانية الإنسان، وهي واجبات مقدسة لا يجوز للإنسان أن يتنازل عنها أو يسمح بانتهاكها، وأن حقوق الإنسان جزء لا ينفصل عن العقيدة الإسلامية وعن التصوّر العام لعلاقة الإنسان بربّه ونفسه والناس والكون.

إنّ صورة الإسلام مرتبطة بواقع المسلمين، وأنّ تصحيحها مقرون بإصلاح أوضاع الشعوب في العالمين العربي والإسلامي، فتضاؤل تأثير القيم الدينية، والمفاهيم والمبادئ الأخلاقية الإنسانية في القضايا المتعلقة بحقوق الإنسان من ناحية، وكثير من السلوكيات السلبية والممارسات الفردية والجماعية المنتهكة لحقوق الإنسان من ناحية أخرى، أعطى صورة سلبية في كثير من الأحيان عن مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام.

إنّ حقوق الإنسان وحرياته في الإسلام ليست وليدة التطور الاجتماعي، أو مقتضيات الحياة المتغيرة، بل هي حقوق إنسانية ثابتة باعتبار إنسانية الإنسان، ومنسجمة مع فطرته الإنسانية، وهي حقوق ثابتة في التصور، مرتبطة بالغاية الكبرى لوجود الإنسان، ومراعية للمقاصد الشرعية للوجود الإنساني، ومُستمدة من إرادة الله تعالى وحكمته وتشريعه. ولذلك حقوق الإنسان في الإسلام بأوامر ونواهٍ شرعية، وأقام الضمانات التي تكفل ديمومتها، وتمنع تفسيرها على مصالح آنية، ورغبات فردية أو جماعية، فهي حقوق إنسانية لا ترتبط بجنس أو عنصر بشري أو مادي.

احترم الإسلام الإنسان، ورفع من قيمة النفس البشرية، وأوجب للإنسان حقوقاً وحريات فردية واجتماعية حين لم يكن للإنسان حق أو حرية، «وهذه الحقوق شرعها الله تعالى للإنسان هي واجبات شرعية، وفروض إجبارية مكفولة ومصانة بضمانات تشريعية وجزائية قضائية. فالأصل في الإسلام أن البشر متساوون من حيث كونهم بشراً، أصلهم واحد، وإن اختلفت أجناسهم وألوانهم وأنسابهم». (البغا، ١٩٩٠، ص ٢٨٦)

فالإنسان مخلوق ميّزه الله تعالى بالتكريم، وهو بهذه الصفة تُثبت له حقوق ليس لأحد أن ينتهكها حتى هو نفسه، فلا يحق له أن يهدرها أو يتنازل عنها، ولا حق لأحد أن يهدر حريته وحقوقه، فالناس أمام الحق سواء وحقوقهم متساوية، فالإسلام لا يُقرّ مطلقاً أي تمييز بين الناس إلا بالتقوى، فاختلاف الدين لا يُسبِّب انتقاصاً للحقوق أو التفاوت فيها، فللمسلم وغير المسلم نفس الحقوق الإنسانية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣)

إنّ حق المواطنة في الدولة الإسلامية مضمون لكل من رغب فيه، والتزم بمقتضياته بعيداً عن كل ضروب الظلم والتسلط. فعقد المواطنة يُثبت لكل مواطني الدولة حقوقاً إنسانية ومدنية حضارية، لا تمييز فيها بين مسلم وغير مسلم. ولذا فقد أوجبت الشريعة الإسلامية وعاملت غير المسلمين معاملة خاصة، ومنحتهم حقوقاً ذات مستوى أخلاقي وإنساني رفيع، فقد أرسى الإسلام قاعدة إنسانية في تعامله مع غير المسلمين قوامها العدل والسلام، والمودة والأمان، « لأنّ الإنسان هو مدني بالطبع لأنه لا تَمْكَن حياة المنفرد من البشر، ولا يتمّ وجوده إلا بالاجتماع مع أبناء جنسه « (ابن خلدون، ٢٠٠٤، ص ٥٦٣).

إنَّ الحقوق المدنية الثابتة للمسلمين ثابتة لغير المسلمين، ما داموا يحملون جنسية الدولة الإسلامية، ويلتزمون باحترام تشريعات الإسلام العامة، فقد منحهم الإسلام حقوق المواطنة كاملة، لأنّ حقوق الإنسان في الإسلام إنسانية الانتماء، فالإنسان هو الإنسان مسلماً كان أم غير مسلم، فلا فضل لجنس على جنس، ولا للون على لون، ولا لعنصر على عنصر، فالله تعالى يخاطب الإنسان دون أن يربطه بصفاته الطارئة كالوضعية أو القومية ونحو ذلك، فالناس كلهم عباد لله والله تعالى ربٌّ للناس جميعاً. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣)

إنَّ الحقوق الثابتة للمسلم هي حقوق ثابتة لكل من يقيم في الدولة الإسلامية، ويحمل جنسيتها، وينتمي لها، ويحافظ على حرماتها، ويحمي أمنها الداخلي والخارجي، فحق الإنسان في الحياة، وحقه في الحرية الدينية، وحرية التفكير وحرية الرأي والتعبير، وحقه في الحريات السياسية والعدالة، وكذلك حقه

This file was downloaded from QuranicThought.com

في الحرية الشخصية، وحُرمة المسكن وحريته فيه، وحق العمل والكفالة الاجتماعية، وحرية الانتماء والجنسية، وحرية التنقل والهجرة، وحقه الثابت في الملكية الفردية، وحق التعليم وغيرها من الحقوق هي حقوق إنسانية واجبة لكل من يقيم في الدولة الإسلامية من غير المسلمين، مع مراعاة القواعد والمبادئ الإسلامية العامة والخاصة في ذلك.

وقد أرسى الإسلام قاعدة من التوجيهات الأخلاقية التي تضبط معاملة المسلمين بغيرهم داخل المجتمع الإسلامي، فهو يُحرّم على المسلمين أن يتعاملوا مع غيرهم بأخلاق غير لائقة، فقد ساوى الإسلام بين المسلمين وغيرهم في التعامل الأخلاقي والكرامة الإنسانية. « فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء أو غيبة في عرض أحدهم، أو أي نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيّع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة دين الإسلام «. (القرافي، ٣/ ١٤)

وقد حظي الإعلان العالمي لحقوق الإنسان باهتمام العديد من دول العالم منذ إعلانه، فقد ظهرت فكرة إصدار إعلان عالمي لحقوق الإنسان بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، وأثناء توقيع ميثاق إنشاء الأمم المتحدة في مؤتمر سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٤٥م، فقد تقدّم أحد الأعضاء باقتراح بوضع إعلان يتضمّن الحقوق والحريات الأساسية للناس جميعاً، بلا تمييز بسب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين.

وصدر الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٤٨م، وهذا الإعلان يمثل التطوّر الأبرز في صياغة حقوق الإنسان في عالمنا المعاصر، وقد بيّن الإعلان أن حقوق الإنسان حقوق عالمية تمتلكها كل الكائنات البشرية، ووفق تعريف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان قسّمت إلى قسمين رئيسين : الحقوق السياسية والمدنية، والحقوق الاقتصادية والاجتماعية.

لقد تضمّن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حقوقاً للإنسان، واعترفت به دول العالم، ومن المفيد معرفة مدى اتفاق أو اختلاف ما جاء في الإعلان العالمي مع مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام، وهل ثمة مشتركات بين حقوق الإنسان في الإسلام وحقوق الإنسان في الإعلان العالمي، وهل هناك مساحة للتمايز أو التقارب بينهما.

ومنذ صدور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والجدل دائر في العالم الإسلامي حول مدى تقاطع أو تطابق مبادئ الإعلان مع المبادئ الأساسية للدين الإسلامي، ووصل الأمر أحياناً إلى الحد الذي يرى فيه البعض أن حركة حقوق الإنسان وجميع إعلاناتها مرفوضة، لأنها حركة كافرة، تستهدف الإسلام والمسلمين معتقدين أنها حركة تتولاها وتقوم بها دول تستغلها للعمل السياسي أكثر من اهتمامها بحقوق الإنسان، وأن الممارسة الخاطئة لموضوع حقوق الإنسان من قبل القوى المهيمنة دليل على فساد الفكرة. (المتوكل، ١٩٩٨، ص ٨٨-٨٩)

جاء الإعلان العالمي بمبادئ عامة لحقوق الإنسان، تميزت في كثير منها بتجاهل هموم الشعوب الأخرى، بل أصبحت هذه المبادئ في كثير من الأحيان سلاحاً يستخدمه المستعمرون الجدد وسيلة للضغط على الشعوب المستضعفة، وفي أحيان كثيرة نظر إلى معاناة الشعوب كأمر داخلي يجب عدم التدخل فيه، وترك للأنظمة الحاكمة مسؤولية تعريف مفاهيم حقوق الإنسان، ومن هنا تظهر الحاجة لإظهار مدى الاختلاف والتمييز بين مفاهيم حقوق الإنسان في الإسلام والإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

أولاً: ينطلق التصور الإسلامي لحقوق الإنسان من نظرته إلى الإنسان، حيث جعله الله تعالى خليفته في الأرض ليقوم بعمارتها، وإقامة العدل فيها، وكرم الإنسان على سائر المخلوقات، ويتساوى في هذا التكريم جميع البشر بصفتهم الإنسانية. ومن هنا يبرز الفرق واضحاً بين الإسلام وبين الفكر الغربي المنظر لحقوق الإنسان من حيث المصدر، فمصدر حقوق الإنسان في الإسلام الأوامر والنواهي التي جاء بها الوحي من الله تعالى، والثابتة في الأدلة الشرعية من القرآن والسنة، ويلتزم بها المسلمون بدافع الإيمان لإقامة تلك الحقوق في واقع الحياة.

إنّ الإسلام ينظر إلى حقوق الإنسان كحقوق مستمدة من إرادة الله تعالى وحكمته، فالمنطلق الرئيس لتلك الحقوق أساس عقدي، يلتزم به المسلم لأنها جزء لا يتجزأ من عقيدته، فالإسلام يُقدّم تصوراً ثابتاً لحقوق الإنسان في تشريعاته،

This file was downloaded from QuranicThought.com

حيث حدّد الحقوق بأوامره ونواهيه الشرعية، وحدّد الكيفية والضمانات التي يتمّ بها تأكيد تلك الحقوق.

أما الفكر الغربي فقد ربط مصدر الحقوق وتشريعاتها بمبدأ الحرية، وترك الأمر للناس لنيل حقوقهم بناء على مصلحتهم، ثم قيدها بقيود خيالية عند الاضطرار لذلك، كالتأكيد على أنّ الحقوق والحرية الفردية تنتهي حيث تبدأ حقوق الآخرين، أو التأكيد على عدم تدخل الدولة إلا عند انتهاك الحريات، وذلك لأنها لا تستند إلى عقيدة أو مبدأ، وبالتالي يتخلون عنها إذا تعارضت مع مصالحهم، مما يجعل الحقوق في الغالب أمراً نظرياً لا أثر له في الواقع، لعدم إمكانية الاتفاق بين المصلحة الفردية والجماعية، مما يؤدي في النهاية إلى سيطرة القوي على الضعيف، ووضع التشريعات الخاصة لخدمة مصالح طبقة دون مراعاة لحقوق المجتمع. ففي التشريعات الغربية الخاصة بالحقوق يرى بعضها حماية القاتل من عقوبة القصاص بالإعدام دفاعاً عن حقوق الإنسان دون اعتبار لحقوق إفراد المجتمع، كما ظهرت تشريعات أباحت للأفراد مزاولة كل ما يُحقق مصالحهم دون اعتبار أخلاقي فظهرت الإباحية الجنسية دون اعتبار لنتائجها المروعة على حاضر الإنسانية ومستقبلها.

ثانياً: ويظهر الاختلاف في تفصيلات حقوق الإنسان، فقد جاءت النصوص الشرعية واجتهادات العلماء وفصلت تلك الحقوق تفصيلاً دقيقاً، من خلال أحكام شرعية ملزمة لمنع تجاوزها أو انتهاكها، فإنّ الحقوق في الإسلام فصلت بغاية الوضوح، ولم تترك مفاهيم عامة، فقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية فحددت الحقوق والواجبات، ومنعت تجاوزها أو انتهاكها، ورتبت الشريعة الإسلامية على المخالفات التي يترتب عنها ضياع حق من حقوق الإنسان عقوبات زاجرة.

ولذلك فإنّ حق الإنسان في الحياة حق إنساني اتفقت عليه البشرية، ولكن الإسلام فصّل صور الحفاظ على هذا الحق، فقد حرّمت الشريعة الإسلامية الاعتداء على النفس بكل صوره، فحرمت الاعتداء على النفس من قبل الإنسان نفسه، كالانتحار وتعريض النفس للتهلكة أو تكليفها فوق طاقتها أو عدم إشباعها لحاجاتها الأساسية، وكذلك تحريم صور الاعتداء عليها من قبل الآخرين سواء أبالقتل أم الاستعباد، بل وشرعت أحكام القصاص والعقوبات حماية لحق حياة النفس البشرية. وكذلك حرمت الزنا والقذف وشرعت الحدود حماية لحق الإنسان في عرضه وكرامته، وغير ذلك من الأحكام.

أما الفكر الغربي فقد تعامل مع حقوق الإنسان كمبادئ عامة مجردة ، تستند إلى مفهوم الحرية والعدل والمساواة والكرامة دون تفصيل، فأطلقت الحقوق دون تقييد، وتوسعت الحريات المطلقة فكانت الإباحية والحرية الجنسية وحقوق المثليين (الشذوذ الجنسي) والإلحاد حقوقاً إنسانية، وهذا الاتساع في المفهوم لا تقبله القيم الأخلاقية الإنسانية، ويتعارض مع المفاهيم الدينية السماوية وخاصة الإسلامية. ولهذا يظهر التناقض في القوانين والتشريعات في الدول الغربية، فبعض الدول ترى حماية القاتل من عقوبة القصاص بالإعدام، دفاعاً عن حقه في الحياة. ومن هنا يظهر سمو الإسلام حينما أقرّ للإنسان حقوق إنسانيته وقدّسها من أربعة عشر قرناً، وجعل منها ديناً ودنيا، وأقامها على أسس أخلاقية وروحية وتشريعية إنسانية رفيعة، وضبطها بقيود شرعية تحفظها من شرور اللامبالة والتحرر من كل ضابط.

ثالثاً: غاية التشريع الإسلامي من حقوق الإنسان ترتبط بالغاية الأساسية لوجود الإنسان، وهي تحقيق العبودية المطلقة لله تعالى، وحفظ مقاصد الشريعة في الوجود الإنساني من حفظ الدين والنفس والعقل والعرض (النسل) والمال، فضلاً عن حفظ حاجيات هذا الوجود، وحفظ تحسينات الوجود الإنساني من مكارم الأخلاق ورفاهية الحياة المادية الكريمة.

أما مقصد الفكر الغربي لمفاهيم حقوق الإنسان فهو تقرير القيم الغربية للحياة، وصناعة الحضارة الإنسانية وفقاً لفلسفة الحضارة الغربية وقيمها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتعليمية. فهذه القيم والمبادئ التي وصل إليها الفكر الأوروبي الرأسمالي عبر التطورات التاريخية والتجربة الأوروبية مع الكنيسة ورجال الدين بل والدين نفسه ليست وليدة مبادئ قانونية أو تشريعية ثابتة، تتعامل مع الواقع الإنساني في عالم متساو، بل تعمل على تحقيق الأهداف الإنسانية للبشرية انطلاقاً من مبدأ فرز الشعوب وتصنيف الأمم وعنصرية اللغة والدين.

This file was downloaded from QuranicThought.com

رابعاً: ويرى الباحث أنّ الإسلام أثبت للإنسان حقوقاً شرعية، ودعا إلى احترامها وصانها بأحكام وضوابط شرعية، وسبق الإعلان العالمي في ذلك، ولأنّ الإسلام دين يتصف بالواقعية وتخليق الحياة الإنسانية، دين يجمع بين فقه الأصل وفقه العصر ضمن مرجعية فكرية إسلامية متجددة، فإنّ الباحث يرى أنّ الإسلام لا يُنكر كل ما تضمنه الإعلان العالمي من حقوق للإنسان، ومبادئ إنسانية فاضلة، فلا يمكن حرمان الإنسان من حقه في الحياة أو الكرامة الإنسانية، ولا حرمانه من الحق في الحرية، والحق في المساواة، والمشاركة الاجتماعية في المجتمع الذي يعيش فيه، وحماية حياته الخاصة من أي انتهاك أو تَعَدٍّ، وحق الإنسان في العمل والضمان الاجتماعي والتعليم ونحو ذلك، فهي حقوق إنسانية تمثّل مبادئ عامة وشعارات لا يمكن رفضها، ولكن الخلاف في الأساس الذي تقوم عليه تلك الحقوق، والمدى الذي تصل إليه، والمفاهيم والقيم التي تتضمنها، والأهداف والغايات التي تسعى للوصول إليها.

ولذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار أصول الفكر الإسلامي ومنطلقاته، والقيم والمبادئ الدينية والثقافية للأمة، عند تناول هذه مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، ومن هذه المنطلقات:

- اعتماد الفكر الإسلامي أساساً وحكماً وضابطاً لحقوق الإنسان.
- حقوق الإنسان وكرامته ثابتة باعتباره ادمياً يستحق الكرامة والحقوق الإنسانية.
- الكرامة الإنسانية تشمل كل متعلقات الإنسان جسماً وعقلاً وروحاً، في حياته وفي مماته.
- عدم التفريق بين الشعوب في الحقوق، بالقضاء على الطبقية الاجتماعية وجعل الناس متساوين في الكرامة الإنسانية.
- النظر لعقوبات الجرائم الخطرة على أمن الناس على أنها سياسية جنائية، لا تتنافى مع حقوق الإنسان.
- كفالة حقوق الإنسان بقوانين ضابطة للعدالة الإنسانية.

خامساً: ومن ناحية أخرى فقد تضمّن الإعلان العالمي مبادئ تعارضت مع الأسس الدينية عند المسلمين، يرفضها الإسلام ولا يعترف بها انطلاقاً من وجوب مراعاة الخصوصية الدينية والثقافية للأمم والشعوب الإسلامية، مثل الفقرة الأولى من المادة (١٦) والتي أعطت للرجل والمرأة حق الزواج دون أي قيد بسبب العرق أو الجنسية أو الدين. وكذلك ما ورد في المادة (١٨) والتي أعطت لكل إنسان الحق في حرية الفكر والوجدان والدين، ويشمل هذا الحق حريته في تغيير دينه أو معتقده..

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

«خطبة الجمعة بين الواقع والطموح»

المشاركون:

١- الدكتور عبد الرحمن إبداح، مساعد الأمين العام في وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية لشؤون الدعوة والتوجيه الإسلامي.

٢- الدكتور أحمد العوايشة مدير المركز الثقافي الإسلامي / الجامعة الأردنية.

٣- الدكتور مأمون جرار الأستاذ في جامعة العلوم التطبيقية.

٤- أدار الندوة الدكتور هايل عبد الحفيظ رئيس قسم الفقه وأصوله في كلية الشريعة / الجامعة الأردنية.

المقدمة:

خطبة الجمعة أداة إعلامية تربوية مهمة، لا بدّ من الإفادة منها في التوجيه والتربية، إلا أننا في أحيان كثيرة لا نستغلها بطريق صحيح، بل في بعض الأحيان قد تؤدي من خلالها رسالة سلبية.

ومن أجل الارتقاء بخطبة الجمعة وأداء الخطباء، ووضع اليد على بعض المشكلات، ووضع الحلول والمقترحات، والوقوف على وسائل النهوض بها كانت هذه الندوة، والتي قدمها وشارك فيها نخبة من العلماء والمختصين الذين قدموا خلاصة فكرهم وتجربتهم، كما حضرها جمع غفير من الأئمة والوعاظ والعلماء الذين أثروا الندوة بمداخلاتهم وتعقيباتهم.

ورقة الدكتور عبد الرحمن إبداح

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد فإن تطوير الخطبة من تطوير الخطيب، فعلى الخطيب أن يطور سلوكه نحو الأفضل، ويرى نفسه قدوة للآخرين في سلوكه وفي علاقاته وفي محبته وفي كرمه وحسن تعامله، كل هذه الصفات تجعله قريباً إلى قلوب الناس، والإنسان مفطور على محبة من يرى فيه الخير والتودد والقرب.

على الخطباء أن يراجعوا دائماً سلوكهم الشخصي، فالأعين مفتوحة عليهم، فلا بدَّ أن يزن الإنسان عمله في كل حركة بميزان الشريعة.

ثمَّ لا نقلل من أهمية السمت والمظهر وحسن الهيئة قال الله تعالى ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ على أنني أؤكد بأن المظهر أحياناً يغرينا فكم من إنسان يعجبنا مظهره ويسوؤنا مخبره، لكني أطمح أن ننجح في حسن المظهر وحسن المخبر.

السامع للخطبة يهمنا أن نجعله في جو مريح، بأن نعتني عناية خاصة في موضوع تكييف قاعة المسجد صيفاً وشتاء، فكيف يسمع منك إنسان يشعر بالحر أو بشدة البرد؟! هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

عامل مهم ومساعد.

ثم نظافة المسجد، وكل هذا له أثر على نفسية السامع، المكان النظيف يصفي النفس، ويحلّ السكينة.

ثم الاتصال الروحي بين الخطيب و السامعين، كان منبر النبي صلى الله عليه وسلم لا يزيد عن ثلاثة درجات، أنا سألت في نفسي ما الفائدة من ثلاث درجات؟ لماذا لا يكون ثلاثة عشرة درجة كما نفعل نحن؟ أنا شعرت صدقاً أن الخطيب يحس فيها؟ وأن ثلاث درجات على سبيل المثال يحس المتكلم أن الخطيب قريب منه، يحسّ بصلة روحية بين المتكلم والسامع، أحياناً أرى نفسي قريباً من السقف فلا أشعر بأن بيني وبين السامع صلة روحية.

يأتي الخطيب أحياناً وهو متضايق ومستاء ومهموم فينعكس همه وغمه على الجمهور، أو على الأداء لهذا يُحسن بالخطيب أن يكون قدوة، يقرأ سورة الكهف، يأتي متعطراً نظيفاً لأهمية صفاء النفس وطمأنينة البال في التفاعل مع المستمعين، أما إذا جاء مهموماً مغموماً؛ فلا يتفاعل مع الناس.

يجب أن يكون الخطيب واعياً لما يريد أن يقوله، محدداً لموضوعه، وأن يكون الموضوع مشوقاً واضحاً في نفسه؛ حتى يلملم أطرافه فلا يزيد ولا ينقص منها ويعرف من يخاطب؟ هذا الجمهور ما هي خلفيته وما هو مستواه الثقافي، وما هي همومه وما هي ظروفه؟

يختار الخطيب موضوعه حسب الجمهور، فالكلام في وسط جمهور من كبار العلماء غير جمهور من كبار التجار، أو الطلاب وهكذا نعطي لكل وسط ما يناسبه.

قد يكون لديك الكثير من العلم لكن أنت ماذا تختار لهم من هذا العلم؟ إقطف من هذا الروض باقة زهور وقدمها لجمهورك على حسب معرفتك فيهم، هذا فن لا بدّ من اتقانه.

ثم إذا بدأنا في الخطبة فلا بدَّ أن نراعي براعة الاستهلال، منذ البداية يحكم السامع على خطبتك بأنها ناجحة أم غير ذلك، فنستفيد من كلام الله في القرآن، في الإثارة والتشويق، انظر إلى قوله تبارك تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾. وقوله تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾. وقوله تعالى: ﴿اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾. وقوله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾.

كل هذه بدايات مثيرة للغاية يجب أن نتعلم كيف نثير اهتمام السامع منذ البداية، لكن قد يشاغب على هذه البداية أن بعض الخطباء قد يبدأ بالمقدمة الروتينية للخطبة حتى يصل امتدادها إلى نهاية الخطبة وهو روتين كل أسبوع، السامع يكمل الجملة من عنده فلا يغير ولا يبدل، تأخذ سبع دقائق، ويملّ المستمع قبل أن يفهم ماذا يريد الخطيب؟

ما أحسن أن يبدأ الخطيب بتحديد الموضوع رأساً، من خلال مقدمة الخطبة، كأن يبدأ بـ «الحمد لله الذي جعل الحج ركناً من أركان الإسلام» أو «الحمد لله الذي فرض علينا الصيام وأنعم علينا بنعمة الإسلام»، لكن أحياناً تجد الخطيب يطيل في المقدمة كثيراً بحجة أنه يريد أن يأتي بالمقدمة على أسلوب الرسول عليه السلام، لكننا نجد أن النبي عليه السلام كان يُنوّع في الأساليب، وكل مرة يأتينا بلون جديد، فلا نطيل المقدمة، طمأن السامع وقل له حديثنا اليوم عن الإسراء والمعراج على سبيل المثال.

كثير من الخطباء يثيرون الخلافات، إن موضوع الخطبة يجب أن يكون موضوع إجماع وليس موضوع خلاف؛ حتى لا نختلف وننقسم في المسجد هذا مؤيد وهذا معارض، نتكلم في المواضيع الجامعة ونترك الأمور الخلافية إلى المجالس العلمية المتخصصة، لأنها مجالس تتسع للخلاف والرد وتقبّل الرأي الآخر، ومن هذه المواضيع مثلاً: هل يوجد للجمعة سنة قبلية؟ أو هل ينزل المصلي على ركبتيه أم على يديه؟ أو كأن يقول الخطيب: أحدثكم أيها الأخوة عن موضوع بات يُشكل تهديداً وخطراً عظيماً وهو الخطر الشيعي.....، هذا الموضوع تختلف فيه الآراء لذلك نتركه إلى الجلسات العلمية المتخصصة، أما الموضوعات الاجتماعية فنتحدث بها لأن الكل يُجمع عليها.

ثم إنّ بعض الخطباء يزيد الطين بله، فيتحدث عن أمراض الأمة فيزيدها سوء وهو يريد أن يصلح، فمثلاً يقول: أرأيتم ماذا يفعل أبناء المسلمين في منطقة كذا وكذا؟ اذهبوا وانظروا ماذا يفعلون في منطقة كذا وكذا، حيث هناك الاختلاط والشرب والسمر واللهو، مثل هذه الأمور لا تصح «أميتوا الباطل بعدم ذكره»، لا نذكر مثل هذه الأمور ولكن نحرص على تربية أولادنا وعلى تنشأتهم النشأة الصحيحة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

أيضا هناك بعض الخطباء يعرض القضايا الصغيرة ويهتم بها، ويثير حولها ملحمة بطولية للجدل، ورفع الصوت والصخب وهي كلها زوبعة كموضوع حلق اللحى أو ترك الدخان.

من المهم أن لا نعيب على صاحب فكرة فكرته، أو نجرح جماعة معينة، أو أناس سواء جماعة أو عشيرة أو قبيلة أو غير ذلك، فهذا كله نوع من تفريق الصف وتشتيت كلمة المسلمين وإيجاد الضغائن بينهم، بل يجب أن نذكّر المسلمين بكل بخير، حتى لو أن أحدهم عنده نقطة من الخير نقول ما شاء الله، فمثلاً إذا توفي أحدهم فلم يجد الإمام ما يذكره فيه من الخير إلا أن شاهده مرة في صلاة العيد فيقول: «رحمه الله رحمة واسعة، لقد رأيته في بعض مواقفه يسابق الناس في مصلى العيد ويحمل سجادته ويحرص على أن يكون في الصف الأول، أسأل الله أن يكتب له أجر هذه الصلاة»، وهكذا نشجع الخير.

ثم يجب أن نتأكد من صحة المقولات التي نقولها، فبعض الخطباء يقول: «إن الوزارات تنفق على الراقصين والراقصات والمطربين والمطربات مئات الألوف من الدنانير». فلو جاء مستمع لهذا الحطيب وقال له: إذا سمحت ممكن تعطيني اسم وزارة واحدة أنفقت ذلك على الراقصين، وعليه لا بدَّ أن تكون الكلمة موثقة فالكلمة مسؤولية ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً﴾.

ثم يجب أن نحافظ على اللغة بحيث نتجنب اللحن، كثيراً من الجمهور أعلم من بعض الخطباء، وأقرب إلى الله وأعلم، والذي يجلس أمامك قد يكون أعلم منك بكثير؛ لذلك يجب الانتباه للمعلومة، وأن يكون كل شيء حاضراً في ذهنك، فبمقدار ما تحضّر لخطبتك بمقدار ما تؤثر في جمهورك.

أهمية نبرة الصوت، ففي بعض الأحيان تكون الخطبة جيدة، ولكن نبرة الخطيب في كل الخطبة نبرة واحدة لا تتغير، والأولى للخطيب أن ينوع نبراته حسب المواقف، وحسب ما تقتضيه طبيعة الخطبة، ومن الشواهد في هذا المقام الشيخ كشك رحمه الله فقد كان يتفاعل مع الموقف فمثلاً كان يتحدث مرة حول حديث (دخلت امرأة النار في هرة) فعندما يقول: «حبستها» يقوم بتقطيع نفسه ليوضح للمستمع أن الحبس فيه انقطاع عن الدنيا، وعندما يقول: «حتى ماتت» يهبط بنرة صوته، هذا التنوع وهذا التذوق للخطابة مهم جيداً، وحريّ بالخطيب أن يراعيها، ويكون في الخطبة نوع من السؤال؛ لأن السؤال يُثير عوامل الإثارة كقوله تعالى: ﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾.

أيضا فن التوقف، أحياناً أنت في الخطبة تنفعل ويكون الموقف فعلاً مثير للانفعال وتريد من الناس أن ينظروا للمشهد، قف قليلاً في خطبتك ليتأمل المستمع ذلك المشهد.

إضافة إلى ذلك، فإن تكرار بعض الكلمات في الخطبة يشعر المستمع بالملل، فمثلاً بعض الخطباء لا يعرف من صفات الله إلا عز وجل، فيقول: «يأمر الله عز وجل، وينهى الله عز وجل، وتبارك الله عز وجل»، مع أن الله سبحانه وتعالى له أسماء وصفات كثيرة، فمثلاً مرة يقول « سبحانه وتعالى، ومرة تبارك الله تعالى لا إله غيره تقدست أسماؤه وتعددت آلاءه».

ونجد كذلك أمر التكرار في الصلاة على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم، فبعض الخطباء لا يعرف إلا وجهاً واحداً للصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام، فيقول: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «، والأجدر بالخطيب هنا حتى لا يملّ السامع أن ينوّع في الصلاة على النبي كأن يقول مرة «صلوات ربي و سلامه عليه»، أو أن يقول «صلى الله عليه ما اتصلت عين بنظر، وما سمعت أذن بخبر»، أو «صلى الله عليك يا سيدي يا رسول الله ما هبت النسائم، ولاحت الغمائم».

وهكذا نختار أيضاً العبارات البسيطة والمفهومة من قبل المستمعين، ونتجنب الألفاظ الصعبة، لأنّ البلاغة ليست بتعقيد الألفاظ بل في تبسيطها.

وألفت النظر في هذا المقام إلى نقطة هامة، وهي: مناسبة الحركة والإشارة لموضوع الخطبة، فعلى الخطيب أن يوظّف حركاته لتتناسب مع الموضوع، فمثلاً يتقدم إلى الأمام أو يرجع إلى الخلف، أو يميل يمنة ويسرة بشكل مدروس يتناسب مع المقام، ونجد أن بعض الخطباء يقف وكأن الله خلقه من جلمود صخر، فعلى الخطيب أن يتحرك الحركة المناسبة في الوقت المناسب، وهذا من أكثر عوامل التشويق في الخطبة.

ثم تجنب جلد الذات، فبعض الخطباء وهو يرى الواقع

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأليم والحالة المريرة التي تعيشها الأمة، يقول في خطبته: « إن الأمة اليوم في أذل حال، في أسفل السافلين، أمة متفرقة، أمة نائمة، أمة.....» وكان الأولى بهذا الخطيب أن يشيع الأمل كأن يقول: «إنّ بيارق الخير موجودة رغم كآبة اليأس والإحباط». لأن اليأس لا يستقيم مع الإيمان، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان محاصراً وكان الجيش حوله لكنه كان يقول: «فُتحت لي اليوم من كذا وكذا» «ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه». فالأمة تعرضت لأكثر من ذلك حيث هاجمها الصليبيون وهاجمها المغول التتار، والأمة ستبقى واقفة وستبقى قائمة، «ولا يزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق» كل هذه يشيع الأمل.

نتجنب جلد الذات وبنفس الوقت، نشيع الأمل ونتجنب التيئيس، ونقدم للناس نماذج من الماضي فلا يمكن أن يستمر الظلام لا بدَّ للفجر أن يطلع قال الله تعالى: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، وإذا الواردة في الآية تعني أن الذي بعدها أكيد الحصول، أما متى نصر الله؟؟ فهو بعد أن نقدم الثمن، فنحن نردد حي على الصلاة وبعدها حي على الفلاح، والعربة دائماً يسبقها الحصان.

وهكذا دائماً نظن بالله خيراً ونترقب الفجر الطالع وهو طالع إن شاء الله، هذه بعض الوصايا أوصي بها نفسي وأوصيكم بها.

ورقة الدكتور أحمد العوايشة

إن خطبة الجمعة من شعائر الإسلام الكبرى، ومعانيها تنساب إلى النفوس في لحظات انعطاف إلى الله تعالى وتقبل لوصاياه، ومن ثم كان موضوعها جليلَ الأثر كبيرَ الخطر.

والخطيب الذي يدرس موضوعه، ويجيد عرضه، يقوم بنصيب ضخم في تثقيف الأمة وترشيد نهضتها، ودعم كيانها المادي والأدبي، ووصل غدها المأمول بماضيها المجيد.

ولما كان هدف هذا اللقاء الوصول بمستوى الخطابة في المسجد إلى مكانته اللائقة به، وجعل المنبر أداة للمعرفه الصالحة، والتربية الواعية أضع هذه الملاحظات الموجزة لما ينبغي أن يتوافر في خطبة الجمعة من زاد روحي وثقافي:

١. لا يجوز أن تتعرض الخطبة للأمور الخلافية، ولا أن تكون تعصباً لوجهة نظر محدودة، فإن المسجد يجمع ولا يفرق، ويلم شمل الأمة بشعب الإيمان التي يلتقي عندها الكل دون خوض في المسائل التي يتفاوت تقديرها، وما أكثر العزائم والفضائل التي تصلح موضوعاً لنصائح جديدة وخطب موفقة وقد شقي المسلمون بالفرقة أياماً طويلة، وجدير بهم أن يجدوا في المساجد ما يوحد الصفوف ويطفىء الخصومات.

٢. بين الخطبة والأحداث العابرة والملابسات المحيطة والمسلمين المستمعين، علاقة لا يمكن تجاهلها ومما يزري بالخطيب ويضيع موعظته أن يكون الخطيب في واد والناس والزمان والمكان في واد آخر.

٣. على الخطيب أن يُشخّص الداء الذي يواجهه وأن يتعرف على حقيقته بدقة، فإذا عرفه واستبانت أعراضه وأخطاره رجع إلى الكتاب والسنة فنقل الدواء إلى موضع المرض، وذلك يحتاج إلى بصيرة لأن الخطيب القاصر قد يجيء بدواء غير مناسب فلا يوفق في علاج، وربما أخطأ ابتداء في تحديد العلة فجاءت خطبته لغواً وإن كانت تتضمن مختلف النصوص الصحيحة.

٤. من المعلوم أن خطبة الجمعة نسيج من المعاني الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح المشهود لهم بالخيرية، ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم»، فإن لُحمة الخطبة وسداها يجب أن يكونا من الحقائق المقبولة، وفي الكتاب والسنة متسع يغني في الوعظ والإرشاد، ولذلك لا يليق البتة أن تتضمن الخطبة الأخبار الواهية والموضوعة، وإذا كان بعض العلماء قد تجاوزوا في الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة في فضائل الأعمال، فقد اشترطوا لذلك ألا تخالف قواعد الإسلام الكلية ولا أصوله العامة، وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة مجال رحب للخطيب الناجح وفي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين والأئمة المتبوعين ما يُغني عن الأساطير والأوهام.

٥. تجنب الإطالة في الخطبة: لأن الإطالة تحدث مللاً في

This file was downloaded from QuranicThought.com

نفوس الناس، فلا يجوز أن يكون الخطيب منفراً؛ لأن في الناس المريض والضعيف وذا الحاجة، وقد تنشأ الإطالة عن سوء التقدير للوقت والمواقف، فيظن الخطيب أن عليه أن يقول كل ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً أو كرهاً وهذا خطأ بيّن، ومما يحكى في قيمة الإيجاز أن أحد الرؤساء طلب منه إلقاء خطبة في بضع دقائق فقال: أمهلوني أسبوعاً، فقيل له: نريدها في ربع ساعة قال: أستطيع بعد يومين، قيل له: فإذا طلبناها في ساعة قال: فأنا مستعد الآن.

٦. إن الكلام الكثير ينسي بعضه بعضاً، وقد تضيع أهم أهداف الخطبة في زحام الإطناب والإضافة، فالأرض تحتاج إلى قدر محدد من البذور كي تنبت، فإذا كثر النبات بها؛ تخللها الفلاح بإجتثاث الزائد حتى يعطي البقية فرصة النماء والإثمار بإذن الله تعالى. وكذلك النفس البشرية لا تزكوا فيها المعاني إلا إذا تمكن من تحديدها وتقديمها، أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى إناء مغلق تسيل من حوله الكلمات مهما بلغت نفاستها، وللإطناب الممل أسباب معروفة منها: سوء التحضير فإن الخطيب الذي يلقي الناس بالجزاف من الأحكام والتوجهات لا يدري بالضبط أين بلغ قوله، وهل وصل إلى حد الإقناع أم لا فيحمله ذلك على التكرار والإطالة وما يزداد من الناس إلا بعداً.

٧. إن مدار الخطبة الناجحة يدور على التثبت من الأدلة والشواهد يسوقها الخطيب في خطبته، فإن كان قرآناً حفظه جيداً، وإن كان أثراً أدبياً أو خبراً تاريخياً فإن توقيته يكون بحسب مطابقته أو اقترابه من الأصل المنقول عنه، وإن التحضير الجيد دلالة احترام الخطيب لنفسه ولسامعيه. والواقع أن القدرة على الارتجال تجيء بعد أوقات طويلة من التدريب على التحضير الجيد، وعلى تكوين حصيلة علمية جيدة مواتية لكل موقف، ومع ذلك فإن المهارة في الارتجال لا تغني عن حسن التحضير للعالم الذي يريد أداء واجبة بأمانة وصدق، فالذي يقدر إنصات الناس له واحتفاءهم بما يقول لا بدّ أن يكون قوله عن دراية وعلم.

٨. يحسن أن يكون لخطبة الجمعة موضوع واحد غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا، فإن الخطيب الذي يخوض في أحاديث كثيرة يشتت الأذهان، وينتقل بالسامعين في أودية تتخللها فجوات نفسية وفكرية بعيدة، ومهما كانت عباراته بليغة ومهما كان مسترسلاً متدفقاً فإنه لن ينجح في تكوين صورة عقلية واضحة الملامح لتعاليم الإسلام، والوضوح أساس لا بدّ منه في التربية والتعميم، والغموض لا ينتهيان بشيء طائل، وخطبة الجمعة ليست درساً نظرياً بقدر ما هي حقيقة لنشرح ونغرس.

٩. عناصر الخطبة يجب أن يُسَلَم أحدها إلى الآخر في تسلسل منطقي مقبول دون عناء بحيث إذا انتهى الخطيب من إلقاء خطبته كان السامعون قد وصلوا معه إلى النتيجة التي يريد بُلوغها، وعليه أن ينتقي من النصوص و الآثار ما يمهد طريقه إلى هذه الغاية.

١٠. تتميز المنابر الدينية عن جميع وسائل الأعلام الأخرى سواء ذات الانتشار الجماهيري أو ذات الانتشار المحدود، ففي حين يتلقى المرسل له الرسالة التي تنقلها له وسائل الإعلام الأخرى دون أن تكون له خلفية متأثرة بهذه الرسالة، فإن المرسل له من رواد المنابر الدينية يتلقى الرسالة وهو يملك خلفية مسبقة مستعدة للاقتناع بأية رسالة ينقلها له منبره الديني.

١١. لو حاولنا وضع رقم تقديري لعدد المساجد في العالم الإسلامي التي تقام فيها صلاة الجمعة لبلغت عشرات الألوف، وبعدد تقديري يبلغ روادها عشرات الملايين، وهذا عدد لا يمكن أن يجتمع في وقت واحد على أية وسيلة إعلام أخرى مهما بلغت جماهيريتها ومهما بلغت أهمية الحدث الذي تنقله.

١٢. التلقي من وسائل الإعلام اختياري لا يجبر عليه المتلقي، فلا تستطيع أية سلطة أن تجبر الناس على قراءة صحيفة معينة أو على ارتياد دار سينما، أو على مشاهدة برنامج تلفزيوني ولو أنها أصدرت أمراً بذلك فأنى لها أن تراقب مدى انصياع الناس لهذه الأوامر، بينما يذهب المسلمون إلى صلاة الجمعة بأمر رباني لا يجرؤ مسلم يؤمن بالله عز وجل ويخشاه أن يتخلف عن أدائه، فهي أداة إعلامية

This file was downloaded from QuranicThought.com

يقبل عليها الناس أداء لفريضة دينية، الأمر الذي يسبغ عليها صبغة القداسة بخلاف أية عملية إعلامية أخرى.

١٣. لخطبة الجمعة ميزة إعلامية أخرى لا تتوفر لأية عملية أو وسيلة إعلامية أخرى، فعلى خطبة الجمعة تلتقي كل قطاعات المجتمع الرجل والمرأة والطفل مثلما تلتقي كل شرائح المجتمع النخبة المثقفة من علماء وأطباء وأدباء ومهندسين ومحامين وغيرهم من ذوي التخصصات العلمية المهنية مثلما يلتقي عليها التجار والصناع والزرّاع والاقتصاديون والرياضيون والإعلاميون والعمال على اختلاف مهنهم، الأغنياء، ومتوسطو الدخل والفقراء، مثلما يلتقي عليها المسئولون في الدولة على حد سواء.

ورقة الدكتور مأمون جرار

أشكر الإخوة القائمين على منتدى الوسطية على دعوتي لهذا اللقاء.

ما سأتحدث عنه هنا من وحي الهدي النبوي في الخطابة، وقد يوافق ما أقوله هنا ما تحدّث عنه الأخوين الكريمين.

قبل الحديث عن الخطبة أقول: خطيب الجمعة في محنة، وأعان الله خطباء الجمعة؛ لأن الخطيب يريد أن يقدم بضاعة، وهذه البضاعة كثيراً ما تلقى الإعراض من الشارين أو المستمعين؛ لأنه لا يُرضي كل الناس، وهو بين خوف ومحاذير؛ لأنه قد لا يستمع إليه الناس مرة أخرى وإذا تجاوز الخطوط الحمراء أيضاً سيقع في مشاكل.

وأيضا أقول خطبة الجمعة فرصة يضيعها كثير من الخطباء، إذ لا يجتمع هذا الحشد من الناس إلا أسبوعياً و هو أمر يتكرر على مدار العام، السؤال هو: هل يأخذ الناس من هذه الاجتماعات الفائدة المرجوة ؟

إنه كما يُحضّر الأستاذ في الجامعة أو في المدرسة يجب أن يُحضّر الخطيب، فيضع خطة وموضوعات وأهداف، عليه أن يتقي الله في نفسه وفي الناس الذين يستمعون إليه، ويسأل نفسه ماذا يريد أن يقول؟ وما الفائدة التي سيخرج بها الناس بعد صلاة الجمعة؟ وهل حصل كل منهم على معلومة جديدة أو فكرة جديدة؟.

أولاً: لا بدَّ للنظر إلى خطبة الجمعة من سياق منظومات العبادات، ومعلوم أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يدرّس أصحابه، وكان الناس على مدار الأسبوع يجلسون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن جلوسهم أمامه يوم الجمعة كان له شكل آخر ومعنى آخر.

ومن الأسئلة الشائعة: ما الفرق بين الدرس والخطبة ؟ الدرس فيه تعليم والخطبة فيها تعليم، لكن إذا أخذنا حال النبي صلى الله عليه وسلم عندما كان يخطب؛ نُدرك الفرق بين الدرس والخطبة، يقول ابن القيم رحمه الله في وصف الحال: «إذا خطب احمرّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم»، هنا كأنما يريد بخطبة الجمعة أن تكون نوعاً من الشحن، أما الدرس ففيه تعليم وإعطاء معلومات. لكن في الخطبة مع المعلومة هناك شحنة وهذا يدل على أن الإنفعال والصوت العالي يؤدي إلى تحريك أمور ساكنة في الإنسان؛ لأن الإنسان يسمع ولكن السمع لا يكفي، لا بدَّ أن تُحرّك و تزوّد.

إنّ خطبة الجمعة موسم لتحريك همم المسلمين نحو شحن عاطفي ايجابي بحسب الحال، ومما يُلفت النظر أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب بالقرآن أحياناً وهذا قلما يفعله الخطباء، تروي أم هاشم بنت حارثة قالت: ما أخذت ﴿ق والقرآن المجيد﴾ إلا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب. ويكون مدار خطبته على ما يشتق منها من حمد الله، و الثناء عليه بنعمه وأوصاف كماله ومحامده وصفاته، وتجليات أسمائه الحسنى في هذا الوجود، الإيمان هو المحرك والأساس للناس وتعليم قواعد الإسلام تعليم مع حيوية؛ لأنه يراد. التحريك بذكر الجنة والنار ومواقع رضاه وغضبه وعلى هذا كان مدار خطبهم بشكل عام وخطب الجمعة بشكل خاص.

قضية موقع الخطيب التي ذكرها الدكتور عبد الرحمن فإن من هدي النبي صلى الله عليه وسلم أنه خطب على الأرض والمنبر والناقة، وهناك توصيف جميل يقول كان يخطب في كل وقت بما تقتضيه حاجة المُخاطبين ومصلحتهم.

لا يجوز أن يخرج المسلمون من المسجد ولسانهم يغتاب الخطيب، لذا يجب على الخطيب أن يؤدي الرسالة دون أن يقع

This file was downloaded from QuranicThought.com

في المطبات إذا كان هناك مطبات، وبعض الخطباء للأسف يغيبون عن واقع حال المسلمين، ولا بدَّ للخطيب أن يُراعي حالة الناس؛ لأن ذلك يُولِّد محبة الخطيب لدى الناس.

كان النبي صلى الله عليه وسلم يقصر الخطبة، ويطيل الصلاة، ويطيل الذكر، ويقصد الكلمات الجوامع، و يكون لها الأثر في حياة الناس ومنهجهم بشكل عام، وكان يأمرهم بمقتضى الحال في خطبته وهذا بعض هدي النبي في خطبته لعلنا نستفيد منها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURANIC THOUGHT

رسالة عمان

الأمل والطموح والانجاز

أ.د. محمد أحمد حسن القضاة
الجامعة الاردنية / كلية الشريعة

تتجلى أهمية رسالة عمان انها عنيت بالاصلاح وفق المنهج الإسلامي المعتدل حيث حذرت العالم من المخاطر المحيطة بها داخليا وخارجيا ومن أبرزها الفهم الخاطئ للاسلام فكرا وممارسة ومحاولة تشويه صورته النقية وابعاده أن يكون مرجعا لحياة الملتزمين به لانه يشكل في النهاية الحضارة الإنسانية الراقية والتي تدعو إلى العدالة والمساواة والإنسانية دون غلو أو تطرف.

لقد دعت رسالة عمان القوة الخيرة في العالم إلى تحمل المسؤوليات وأكدت على ابراز الصورة الحقيقية المشرقة للإسلام والتصدي للهجمات الحاقدة، ودحض التجني عليه وعلى اتباعه الشرفاء في العالم، وهذا يتطلب من المسلمين أنيركزوا جهدهم على الفهم الصحيح النابع من جوهر الدين الحنيف لكي يتصدوا للذين ينخرون في بنية الإسلام من الداخل لأسباب من أبرزها الجهل بحقائق الدين ومبادئه، ولعلها لأغراض وقتية تفتقر إلى الحكمة وبعد النظر.

لقد ابرزت رسالة عمان رحمة الإسلام بالعالم، سواء باسلوب دعوته للآخرين أو بالمحافظة على معتقداتهم، فهو عندما يدعو إلى مبادئه، فإن دعوته مملوءة بالحب والاحترام والشفقة على الآخر، والحرص على مصلحته سواءً اختار الإسلام أم آثر البقاء على دينه، وقد قرر الله هذه الرحمة في قوله عز وجل ﴿وماأرسلناك إلى رحمة للعالمين﴾ وفي قول الرسول عليه الصلاة والسلام «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء»(سنن الترمذي رقم ١٩٢٤)، ودعت رسالة عمان إلى اشاعة ثقافة المحبة والمودة بين افراد المجتمع العربي والإسلامي، وبين جميع العالم، وهذ لايتحقق بصورة واضحة مؤثرة إلا إذا رافقه خلق عظيم دعا إليه الإسلام، ألا وهو الصفح والتسامح وحب الخير، مع ترسيخ قيم العدل في النفوس حتى يكون الانسان متوزنا مع نفسه والاخرين.

رسالة عمان نزعتها إنسانية عالمية لاتعرف الحدود المصطنعة ولا البعد الزماني والمكاني، وأنما هي دعوة تملأ

This file was downloaded from QuranicThought.com

الفضاء الرحب، وتحاكي الفكر الاصيل الناقد، دعوة لاتعرف اللون أو العرق أو الجنس، هدفهامخاطبة الانسان المعاصر خطابا دينيا عقلانيا علمياً يجمع بين الاصالة والمعاصرة، ويرفض التطرف الديني والعنف والغلو، وتدعو إلى تكريم الأنسان واحترام آدميته وتقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة، وتبعد الانسان عن الإفساد في الأرض، وتؤكد على عمارتها المادية والمعنوية بكافة الوسائل الممكنة لأن الانسان يقطف ثمرة العمل الصالح في الدنيا والآخرة، إن احسن التوفيق والموازنة بين متطلبات الجسد والروح فنجد ذلك في قوله عز وجل: ﴿وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولاتنس نصيبك من الدنيا واحسن كما أحسن الله إليك ولاتبغ الفساد في الأرض إن الله لايحب المفسدين في الأرض﴾(القصص ٧٧).

لقد استنكرت رسالة عمان المفهوم المعاصر للإرهاب، والذي يراد به الممارسات الخاطئة أياً كان مصدرها وشكلها، والمتمثلة في التعدي على الحياة الإنسانية التي كرمها الله بصورة باغية متجاوزة لأحكام الإسلام العظيمة، تروع الآمنين وتستخدم الوسائل الغير أخلاقية من سفك الدماء، وهدم للعمران، واستباحة للمحرمات، وقد قال الله عز وجل ﴿ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلاّ بالحق﴾(سورة الانعام:١٥١).

وتؤكد رسالة عمان أن وسائل مقاومة الظلم، واقرار العدل مشروعة بوسائل مشروعة، وتدعوا الأمة إلى الأخذ بأسباب القوة لبناء الذات والمحافظة على الحقوق، وتبين للناس جميعا أن التطرف بكل صورة المقيتة، غريب عن الإسلام الذي يقوم على الإعتدال والتسامح ولا يمكن لإنسان أنار الله بصيرته بنور العلم والمعرفة والحكمة أن يكون فعالياً في نظرته أوسلوكه أو تعامله،لأنه تعلم من دينه النبل واليماحة والاعتدال، يفرز ذلك حديث النبي الكريم «ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق».

ومن منظومة رسالة عمان أن تعاليم الإسلام العظيم الذي نتشرف في الانتساب اليه تدعونا إلى الانخراط والمشاركة الفاعلة الايجابية في المجتمع الانساني المعاصر، والإسهام في رقيه وتقدمه وصدق توجهنا، كما تدعونا إبى أن نعمل على تجديد وصياغة مشروعنا الحضاري القائم على هدي الدين القويم. وفق خطط علمية عملية مدروسة محكمة حتى نتمكن أ، نتجاوز المرحاة الشاقة التي تمر بها أمتنا العربية والإسلامية مدركين تماماً روح الإسلام ومنهجه في بناء الحياة الإنسانية، بالإضافة إلى اطلاعنا على الثقافات المعاصرة ليكون التلاقي الفكري والمعرفي على أسس منظمة، لرد الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام بطريقة علمية سليمة دون ضعف أو انفعال، وبأسلوب يجذب القارئ والمستمع والمشاهد، وهذا كله يؤدي إلى ترسيخ البناء التربوي للفرد المسلم القائم على الثوابت المؤسسة للثقة في الذات، والعاملة على تشكيل الشخصية المتكاملة المحصنة ضد المفاسد مع الاهتمام بالبحث العلمي، والتعامل مع العلوم المعاصرة على أساس نظرة الإسلام المتميزة للكون والحياة والإنسان، والاستفادة من انجازات العصر في مجالات العلوم والتكنولوجيا وتبني المنهج الإسلامي في تحقيق التنمية الشاملة الذي يقوم على العناية المتوازنة بالجوانب الروحية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية، مع الاهتمام بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية، وتأكيد حقه في الحياة.

This file was downloaded from QuranicThought.com

رسالة عمان

«مضامين وتوجهات»

م. مروان الفاعوري
رئيس منتدى الوسطية للفكر والثقافة

إن التمسك بمنهج الوسطية والعدل أكبر مساعد على معرفة سنن الله الثابتة في الكون، لما لهذه المعرفة من أثر في سلوك الطريق القويم للتغيير والتصحيح والإصلاح، بعيداً عن التخبط والفوضى والاضطراب والضلال. ولذلك فإن بناء الفكر الوسطي ينطلق بداية من مناقشة القضايا الفكرية، وأحداث الساعة الملحة، لا أن يواريها أو يناقشها بحياء لأننا في عصر الانفتاح، وثورة المعلوماتية، فما لا نوصله للعامة ونقنعهم به يستقونه من مصادر أخرى قد لا يكون فيه الفهم الصحيح، والنص الصريح بل التشوش والأفكار المغلوطة.

ولأنّ أمل الأمة في علمائها، فهم الأقدر على التفكير في معالجة مشاكل أمتهم ووضع الحلول للتحديات المعاصرة، ومن أهمها ما أُلبس به الإسلام المعاصر من أنه منبع للعنف والتطرف. ولذلك عقد منتدى الوسطية للفكر والثقافة تحت الرعاية الملكية السامية مؤتمر الوسطية بين الفكر والممارسة في عمان، بهدف تصحيح الصورة المشوهة للإسلام، ولنشر المنهجية السليمة التي تضمنتها وسطية الاسلام لتحصين الداخل وصولاً إلى نهضة الأمة المبنية على احترام الإنسان، بإسلوب حضاري إنساني.

ومهدت هذه الخطوة إطلاق «رسالة عمان» السامية ضمن توجّه جلالة الملك عبدالله الثاني بعد لقائه مجموعة من العلماء الأردنيين ووضعوا صيغة رسالة عمان التي قُرأت ليلة القدر في شهر رمضان ١٤٢٥هـ (في التاسع من تشرين الثاني ٢٠٠٤) والمتمثلة في مصارحة الأمة «في هذا المنعطف الصعب من مسيرتها، بما يحيق بها من أخطار، مدركين ما تتعرض له من تحديات تهدد هويتها وتفرق كلمتها وتعمل على تشويه دينها والنيل من مقدساتها، ذلك أن رسالة الإسلام السمحة تتعرض اليوم لهجمة شرسة ممن يحاولون أن يصوروها عدواً لهم، بالتشويه والافتراء، ومن بعض الذين يدعون الانتساب للإسلام ويقومون بأفعال غير مسؤولة باسمه»، وهي التحديات التي تزداد عمقاً وخطورة يوماً بعد يوم، بالنظر إلى كل ذلك فإنّ رسالة عمان دعوة إلى التعريف بالإسلام، وإبراز الوسطية

This file was downloaded from QuranicThought.com

كروح للدين الإسلامي، والسعي إلى إبراز هذه الروح المغيبة قصداً من قبل أعدائها، سواء أكانوا من الداخل أم الخارج، أو بغير قصد نابع من الجهالة بقيم الدين الإسلامي، أو من باب التعصب الأعمى الذي لا يمتّ للإسلام بصلة.

إنّ جهود المسلمين ومنهجهم في محاولات التعريف بديننا الحنيف، والكشف عن مضامينه السمحة والإنسانية في مواجهة حملات الجهل والتجهيل التي قام ويقوم بها أعداؤنا، مع ذلك فإن هذه المحاولات كانت تنطلق من حالة الشعور المستبد بالخوف والاضطهاد بل وحتى الدونية، ومن ثم فقد كنا في تعريفنا بديننا أقرب إلى استجداء عطف الآخرين ورحمتهم. هكذا، وآل هذا الموقف الدفاعي الضعيف إلى خسارة المعركة تلو الأخرى. فكان عماد «رسالة عمان» يتمثل في حقيقة « ردّ الاعتبار للإسلام في المجتمع المسلم كما في العالم أجمع»

ولهذا فان «رسالة عمان» تستحق من وجهة نظرنا، باعتبارها تشكل تحولاً جذرياً، لا على صعيد علاقتنا بالآخر ومواجهة التحديات التي تفرضها علينا هذه العلاقة وحسب، وإنما أيضاً على صعيد نظرتنا كمسلمين وعرب، إلى ذواتنا كما إلى علاقتنا ببعضنا في إطار الوطن الواحد أو لمجموع الأمة الإسلامية. ذلك أنّ محور «رسالة عمان» يتمثل في الانطلاق من مفاهيم القوة والندية والقدرة في التعاطي والتفاعل مع الآخر، النابعة من الثقة بالنفس القائمة على أساس المساهمة في البناء الحضاري الإنساني، المنطلقة من حقيقة وحدة الخالق وأصل الخليقة الواحد المفضي إلى المساواة. وكذلك التأكيد على الأسس الراسخة للحضارة الإسلامية و» التي كانت حلقة مهمة انتقل بها الغرب إلى أبواب العلم الحديث»، فإن «رسالة عمان» لا تتخذ من هذا الماضي نقطة للركون والاستكانة، بل هو نقطة مركزية للانطلاق نحو استشراق المستقبل، لإعادة بعث المشروع الإسلامي الحضاري، القائم على «الاهتمام بالبحث العلمي والتعامل مع العلوم المعاصرة والاستفادة من إنجازات العصر في مجالات العلوم والتكنولوجيا».

إنّ الإسلام الواثق من نفسه منفتح على الآخر، ولا يدّعي احتكار الدين المبني على التطرف والانغلاق، أو الخوف وانعدام الثقة بالنفس، ولذلك جاءت «رسالة عمان» لتؤسس سبيلاً لنهضة الأمة من خلال ردّ الاعتبار للدين الإسلامي على أرض الواقع والممارسة، بإبراز وسطية الاسلام ومبادئه ومضامينه السمحة.

وردّ الاعتبار هذا لا يرتبط بممارسة العبادات فقط، وهو الأمر الذي ما زال الأكثر حضوراً في مجتمعاتنا، بل يظهر من خلال التأكيد على حقيقة أنّ «هدي هذا الإسلام العظيم الذي نتشرف بالانتساب إليه يدعونا إلى الانخراط والمشاركة في المجتمع الإنساني المعاصر، والإسهام في رُقيه وتقدمه، متعاونين مع كل قوى الخير والتعقل، ومحبي العدل عند الشعوب كافة»، وكذلك ضرورة «تبني المنهج الإسلامي في تحقيق التنمية الشاملة الذي يقوم على العناية المتوازنة بالجوانب الروحية والاقتصادية والاجتماعية، والاهتمام بحقوق الإنسان وحرياته الأساسية».

«رسالة عمان» ليست خطاباً موجهاً إلى الخارج من العالم الغربي فقط، بل إلى داخل الأمة الإسلامية ولذلك تبنى منتدى الوسطية للفكر والثقافة رسالة عمان لتعميق معانيها في الأردن، بهدف الدفاع عن الإسلام وتحصين الداخل للتغلب على التحديات التي تواجه الأمة، من خلال تبني منهج الوسطية ذي المرجعية الإسلامية لتقديم الرؤية الشاملة والحضارية لحقيقة الإسلام المعاصر، وعناوين المشروع الحضاري الإسلامي القادم.

ولذلك ينطلق منتدى الوسطية للفكر والثقافة من أهداف رئيسة منها المحافظة على صورة الاسلام المشرقة. وردّ الشبهات التي تحاول الإساءة لهذه الصورة المشرقة، والكشف عن الممارسات الخاطئة التي ترتكب باسم الإسلام التي يستخدمها البعض لتشويه صورة الاسلام الإنسانية.

واستجابة للتوجّهات الملكية السامية وانطلاقاً من مسوليتنا كمؤسسة ثقافيه أردنية نحرص في أدبياتنا وأهدافنا ونشاطاتنا على نقل معاني رسالة عمان إلى أوسع القطاعات وبشتى الوسائل، لأنّ واجب العلماء توضيح صورة الإسلام الحقة، وإنارة الطريق أمام الأمة شيبها وشبابها بمشاعل الحقيقة، ونور الإسلام، ورفع الصوت عالياً وعدم السكوت خوفاً من صوت جاهل أو فكر منحرف.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوسطية
فصلية - إسلامية - مستقلة

لماذا رسالة عمّان

إبراهيم شبّوح
مدير عام مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي

وَطَّأَتْ لرسالة عَمّان أحداثٌ كبرَى عَرّضت الوجودَ الكونيَّ للمسلمين إلى عواصف إثارة وتشكيك وتدمير وتَطاوُل على أصول الأمّة في عقائدها ومقوّمات ذاتها.

ووُضِعَ المسلمُ ضمْنَ حَيّز صُنِّفَ فيه بما لا يناسبُ منزلتَهُ وحضارتَه، وأُخضِعَ لحملات خارجيَّة ضُبطَتْ بُؤَرُ رُؤيتها على مثالبَ مصطنعة، وكأنّه كائنٌ اكتُشف حديثاً على الأرض ولا عَهْد له بالوُجود والتّعامل مع الأجْناس الأخرى، ومجرّدٌ من كلّ نوازع الخير.

وتتداعى المشاهدُ يَجرُّ بعضُها بعضاً بالفعْل وردّ الفعْل، وأخذت الشّواهدُ تتَبَلْورُ في أذهان بعض المنظّرين ليُبَرهنوا على أنظار مختلّة، لعلّ من أشدّها بلاءً علينا ما اصْطلحوا عليها بنظريَّة «صراع الحضارات»، التي أصبَحْنا بعدَها مَرْمىً مستَهْدَفاً لا تمرُّ النّوائب إلاّ على سَمْته.

وهذه الإثارات وما ساوَقَها من وقائع حُسبت على المسلمين وعلى تربية دينهم، عمّت بها البَلْوى، وحدّدت واقعَ المسلم المعاصر بين قطبيْن ظالمين:

أ – الأوّل: أنّ خطّة التعدّي الخارجي عليه وعلى مقوّماته صيغَتْ في حركة منتظمة ومنظّمة تقوم على قواعد فنّية من الإعلام النافذ الحاقد والمتسَلّل إلى العقول والقلوب بفعْل التّكرار والإثارة، ليصوّرونا من خلاله كما يُراد بنا في مظنّ البشاعَة وضَحالة الرّوح والتلبّس بكراهية الأجناس، وكأنهم يكشفون كوائنَ جديدةً مجهولةً لديهم ولدى العالم، وهم الأعرفُ بنا عندما تمكنوا من مصائرنا يومَ دارتْ علينا الدّوائرُ ووقعتْ شعوبُنا في ربْقة المستعمر، فدرسوا كلّ مقوماتنا ومكوّناتنا وتَوّجوا مَعْرفتَهم العميقةَ بنا بتصْنيف «دائرة المعارف الإسلاميّة» الّتي اشتملت على ثوابتنا وثقافتنا وأخلاقنا ودَوْرنا الحضاريِّ الكبير في تاريخ الإنسانيّة. لقد تُوسيَ كلّ ذلك وأصبحنا لدَيْهم من غُثاء التاريخ، ولكل هذا العداء السّافر والكامن أسبابٌ مدروسةٌ ومعروفة.

٢- والثّاني أنّ هذه الفتنةَ المسلّطة علينا والدّائرة رحاها بيننا أحدَثَتْ خللاً في بعض العُقول التي انطلقت بوهم القُدْرة على التصدّي وردّ التحدّي والإصلاح وتغيير واقع الأمّة، من غير أن يكونَ لها من مقوّمات الفَهْم والتّحليل وشروط القيادة ما يهيّؤها لأيّ مسؤوليّة، فانغَلقت على ذاتها وأساءت فهم دينها، ونصّبت نفسَها مسؤولةً عن الأمّة، فأخذت تصنّفها بمقاييسها المرتبكة، وتقدّمت في هذا الخَطَل بجرأة لتكفّر – على هواها – من ترى تكفيرَه. ثمّ تعاطت الفُتْيا في مصير الخَلْق، تحاكم الأبرياءَ وتجرّ ظالمةً على إيقاف الحياة، وقَتْل النّفس التي حَرّم الله بغير حقّ، وأصبَحت الفتاوَى العمياءُ من سمات هذه الحقْبة، وشاعَ إرهابُ النّاس، وانعدَم الشّعورُ بالأمْن والأمان، حذَرًا من مجهولٍ يطرق في كلّ حين وفي كل مكان على غيْر معياد.

وقدّمتْ هذه الأحداثُ الظلاميّةُ صورةً مشوّهة عن ديننا الحنيف، وأُخذَتْ علينا حيث أمدّت المناوئينَ بحُجج وشواهدَ على ما يَفْترونَ ويُروّجونَ له. واختلطت المفاهيمُ، وضاعت أصداءُ الأصْوات المدركة المخْلصة في رياح هذه المحْنَة العاتية. وهكذا أصبحَ المسلمُ بين قوىً مناوئة، تصوّره ودينَه وقِيَمَهُ على أقبح الصّور من جانب، وبين قُوًى فوْضويّة من داخل عالَمه الإسلامي، اختلّت موازينُها، ونزغَ بها الشّيطان

This file was downloaded from QuranicThought.com

إلى المُغالاة والتّطرّف، فاصطنعَتْ لنَفْسها قوانينَها، وأخذت تحاكم وتحكُم، وتضعُ لنَفْسها ضوابطَ عَشوائيّة للتكفير والقَتْل. ودخل في حضيرة المرجعيّة الدينيّة عنْدهم من لا مداخل له تؤهّله أن يكون من أهل الذّكر. فضيّقوا دائرةَ الإسلام الواسعةَ برحمة الله، إلى حدود رُؤيتهم الضيّقة، واستَبْعدوا عنه أتباع أكثر المذاهب ممن يقولُ بالشّهادتين ولا يجْحد معلوماً من الدّين بالضرورة، وأصبحَتْ محنتنا منّا وفينا.

فـإذا رَمَيْـتُ أصابــني سهمي
قومـي هـم قتـلوا أُميـمَ أخـي

„وبحكم المسؤوليّة الروحيّة والتاريخيّة الموروثة التي تحملها القيادة الهاشميّة بشرعيّة موصولة بالمصطفى صلّى الله عليه وسلّم صاحب الرّسالة" انبرتْ الأردنُّ بقيادتها الحكيمة لصاحب الجلالة الهاشميّة الملك عبد الله الثاني ابن الحسين الّذي ورث تقاليد آبائه في الدّفاع عن الإسلام وقيَمه، فلم يدّخر وسعاً في الاتصال بالقيادات الدوليّة والمؤسّسات الجامعيّة فيها، متحدّثاً ومحاضراً ومناقشاً ومُعرّفاً بحقيقة الإسلام ومبادئه ودعوته الإنسانيّة، بما كان له الأثر الكبير.

وبرعايته السّامية – حفظه الله – أُنجزت „رسالة عمّان" في رمضان المبارك لسنة ١٤٢٥هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٤م بنصّها الموجز المحكم، مستنداً إلى النّصوص الثّابتة الواضحة من القرآن الكريم والسنّة الشّريفة، لتقدّم حقيقة الإسلام كما هو عليه في جوهره، فعرّفَتْ بالقواعد الخمْس التي يقوم عليها الدّين، وارتباط الإنسان الدّائم بالخالق، وبتربية النّفس، وبالتكافل، وبتحقيق وحدة الأمّة. ثمّ عرّفت بما يحقّق خيرَ الإنسانيّة من النّظر لوحدة الجنْس البشري، وتساوي النّاس في الحقوق والواجبات والسّلام والعدل، ومراعاة الجوار، وحفظ الأموال، والوفاء بالعهود. وهي مبادىء تكوّن قواسم مشتركة بين أتباع الدّيانات، والمسلم لا يفرّق بين الرُّسل، ويلتقي مع المؤمنين بالدّيانات الأخرى في كثير من الصّعُد المشتركة التي تتلاقى على خدمة المجتمع الإنساني.

وفي رسالة عمّان، تذكير بنظرة الإسلام للإنسان الّذي كرّمه الله، وبمنهج الدّعوة الّتي ينبغي أن تقوم على الرّفق واللّين، والعمل على تحقيق الرّحمة والخير للنّاس، والحثّ على التّسامح والعفو، واعتبار مبدإ العدالة في معاملة الآخرين، والتأكيد على احترام المواثيق والحقوق. واحترام الحياة، ومقاومة نزعات الغلوّ والتطرّف والتّشدّد، فالإسلام دين أخلاقي الغايات والوسائل يسعى، لخير النّاس وسعادتهم في الدارين، والدّفاع عن الدّين لا يكون إلاّ بالوسائل الأخلاقيّة، لأنّ العلاقة بين المسلمين وغيرهم لا تقوم إلاّ على السّلم والعدل.

وتستنكر الرّسالة بحزم المفهومَ المعاصر للإرهاب الّذي يراد به الممارسات الخاطئة، والتعدّي على الحياة الإنسانيّة بغياً وتجاوزاً لأحكام الله، وهذا التطرّف غريب المنزع عن الإسلام الّذي يقوم على الاعتدال والتّسامح.

وتستنكر في الآن نفسه حملة التّشويه التي تصوّر الإسلام بأنّه يشجّع العنف ويؤسّس للإرهاب.

وتدعو الرّسالة المجتمع الدّولي لتطبيق القانون الدّولي بجدّ، واحترام المواثيق والقرارات الصّادرة عن الأمم المتحدة وتنفيذها من غير ازدواجيّة في المعايير، ليعود الحقّ إلى أصحابه وينتفي الظّلم، فهذا ممّا يساعد في القضاء على أسباب الغلوّ والعنف والتطرّف.

وتدعو الرّسالة بأنّ هَدْي الإسلام يدعونا للمشاركة في المجتمع الإنساني المعاصر والإسهام في رقيّه وتقدّمه، متعاونين مع كل قُوى الخير والتعقّل ومحبّي العدل، إبرازاً لحقيقتنا وتعبيراً عن سلامة إيماننا.

وتدعو للإفادة من ثورة الاتّصالات لردّ الشّبهات التي تُثار، وذلك بطرق علميّة دون ضعف أو انفعال، وترسيخ البناء التّربوي للفرد المسلم القائم على الثّوابت المؤسّسة للثقة في الذّات، والاهتمام بالبحث العلمي، والتّعامل مع العلوم المعاصرة. والأمل معقود على علمائنا ليقدّموا حقيقة الإسلام العظيمة وقيمه، لمدارك أجيالنا الشّابّة، لاجتناب مخاطر الانزلاق في سُبل الجهل والفساد، والانغلاق والتبعيّة، وحتى يتوخّوا السّيرَ في درب السّماحة والاعتدال والوسطيّة والخير.

وبهذا المتن المدروس لخّصت رسالة عمّان قواعد وقيم ديننا وثقافتنا وأنارت ما يتّصل بذلك من إشكالات مرتبطة به. ولا تزال محاور هذه الرّسالة التّاريخيّة من شواغل الفكر في الأردن، فقد عقدت مؤتمرات وندوات رسّخت ما ورد في رسالة عمّان، وناقشت القضايا التي أثارتها، نذكر منها المؤتمر الإسلامي الدّولي الّذي أقامته مؤسّسة آل البيت الملكية للفكر الإسلامي وشارك فيها نخبة علماء المسلمين، ثمّ المصنّف الوثائقي التّاريخي المهمّ الّذي أصدره صاحب السموّ الملكي الأمير غازي بن محمّد، باسم إجماع المسلمين على احترام المذاهب، وفيه فتاوى كبار علماء المذاهب للتدليل على وجهة الكتاب، وشروط من له حقّ الفتيا، وهي من العُقَد الّتي أسّست للفكر المتطرّف والمغالين.

والمسيرة مستمرّة بإذن الله بكلّ تعقّل ويقظة وتبصّر، حتّى تدرأ عوامل الشرّ المحدقة بالأمّة من خارجها وداخلها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

رؤية الواقع والعالم من خلال الآخر

د. وائل ميرزا
جامعة الشارقة-الإمارات العربية المتحدة

رؤية الواقع والعالم من خلال الآخر

إن من الحقائق المسلّم بها منطقياً أن كل حضارة تملك قدرةً على التحكّم بشؤونها الخاصّة، في داخل دائرتها الذاتية أكثر من قدرتها على التحكّم في شؤون الآخرين والتأثير فيها. فقبل البحث في مواقف الطرف الآخر وفي مدى خطئها أو صوابها، وفي درجة انسجامها مع مبادئه، وقبل توجيه الأنظار والأصابع إلى الطرف الآخر، لاتّهامه والشكوى منه. يجب أن تكون الأولوية للنظر إلى النفس ومراجعتها، وللتفكير في مجالات الخطأ والتقصير والإهمال فيها، ومحاولة العمل على معالجتها، لاستعادة الوزن الحضاري المطلوب الذي يجعلها تتمكّن من التعامل مع ذلك الطرف الآخر بعد ذلك بثقةٍ وقوة وموضوعيةٍ وتوازن.

إن طرح هذه الحقيقة ضروريٌ لأن لسان حال العرب والمسلمين كان يعبّر عن غيابها إلى درجة كبيرة في الأزمات السابقة، ولكن هذا الغياب بلغ أوجهُ مع أحداث سبتمبر وما تلاها. فالممارسات التي نراها على المستويين الرسمي والشعبي تكاد تنحصر بشكل عجيب في ملاحقة كل ما يتعلق بـ (الطرف الآخر) من الأحداث، إلى درجةٍ يمكن القول معها أن كثيراً من العرب والمسلمين يفهمون العالم ويشكلون صورةً للواقع في أذهانهم من خلال طبيعة مواقف وأفعال ذلك (الآخر)، وبشكلٍ أصبح فعلاً ظاهرةً تستحق الاهتمام والدراسة على أكثر من صعيد.

وإن نظرةً تحليليةً إلى الأدبيات التي نُشرت أو أُذيعت في العالم العربي، من المقالات والدراسات والتحليلات إلى المقابلات والتصريحات والبيانات، تُظهرُ أن هناك شبه إجماع على وضع كامل أوراق الأحداث في يد الغرب والولايات المتحدة على وجه الخصوص. فهناك من (يتهم) الولايات المتحدة بالتسلّط والطغيان، و(يشتمها) بأشنع النعوت

This file was downloaded from QuranicThought.com

والأوصاف، و(يُعدّد) خطاياها السابقة واللاحقة، و(يشكو) من ممارساتها السياسية والعسكرية، و(يستنكر) مواقفها. وهناك من (يستغرب) مقاييس أمريكا المزدوجة، التي تتناقض مع مبادئها المعلنة، و(يُعبّر عن الأسف) لأخطائها أو سوء حساباتها، و(يأمل) في تغيير تلك المقاييس. وهناك من (يوافق) على سياسات أمريكا، و(يدعو) إلى الانسجام معها والقبول بها بشكل كامل. وجميع هؤلاء يقولون أنهم يبحثون عن مصالح العرب والمسلمين، ولكن المفارقة تتمثل في أن لسان حالهم يوحي بأن تلك المصالح معلقةٌ أولا وأخيرا بموقف أمريكا.

وإن المشكلة لَتظهر في أجلى صورها عند ذلك الطرف الذي يتهم دوماً الغرب وأمريكا على وجه الخصوص بأنها استعماريةٌ وظالمةٌ ومتجبرة، ويستخدم في وصفها باستمرار أبشع النعوت والصفات التي تُجرّدها من أي أخلاقيات وأي مبادئ، ثم إنه عندما يصطدم معها بشكلٍ أو بآخر يغرق في الشكوى والتذمر والاستنكار من ظلمها وتجبّرها، ومن أنها لا تتحلّى بتلك الأخلاقيات والمبادئ وهي تتعامل معه!.

إنني أرفض رفضاً قاطعاً النظر إلى الغرب أو إلى أمريكا على أنهما (العَدوّ)، فهذا يتناقض جملةً وتفصيلاً مع رؤيتي وطريقة تفكيري، ولكنني لا أملك غير الاستغراب ممن يرى الغرب أو أمريكا أو غيرها على أنهم (العدو) ثم لا يتوقع منهم غير العداوة بكل مقتضياتها السلبية المعروفة. إن البحث عن التفسير الوحيد الممكن لهذا التناقض يعود إلى العجز الذي أصاب ويصيب الكثيرين من أبناء الحضارة العربية الإسلامية، وهو عجزٌ يؤدي أولاً إلى الخطأ في رؤية العالم وفهمه، وفي رؤية الآخر وفهمه بشكلٍ متوازن وموضوعي، ثم يؤدي ثانياً إلى افتقاد أي قدرةٍ على التعامل معه، حتى بعد فهمه بشكل خاطئ، إلا من خلال الاتهام والشكوى والاستنكار.

إن رؤية الواقع العالمي على أنه نتاجٌ لحركة مجموعات مختلفة من المجموعات البشرية يُعتبر أساساً من أسس النظرة الوسطية إلى الواقع، أما هذا الإفراط بلسان الحال في رؤية العالم من خلال الآخر، ولو تمَ نفيه بلسان المقال، فإنه يُعتبر مخالفةً أساسية للمنهج الوسطي في قراءة الواقع والتعامل معه، ظَهر ويظهر جلياً أنها سائدة في أوساط العرب والمسلمين إلى حدٍ كبير.

٨. عقلية تمثيل الإسلام والمسلمين من خلال فرد أو جماعة

إن الشعور بتمثيل فرد ما أو جماعة ما للإسلام يُعتبر عنصراً هاماً من عناصر منهج فقه الواقع والتعامل معه، لأن درجة وطبيعة مثل ذلك الشعور تؤثر إلى درجة كبيرة في تصور أصحابه للواقع وفي طريقة تعاطيهم معه. فالفرد الذي يتصور أنه يمثل الإسلام يرى أن كل ما يصيبهُ كشخص يؤثر على الإسلام نفسه، والجماعة التي ترى أنها تمثل الإسلام تعتقد أن الإسلام ومصيره سلباً أو إيجاباً منوطا بأفعالها وقراراتها وتصرفاتها.

والحقيقة أن ادّعاء فئة معينّة أياً كانت بأن فهمها للإسلام هو الفهم الأمثل له، على مستوى الكُلّيات وعلى مستوى التفاصيل والجزئيات، أمرٌ في غاية الخطورة عملياً في الواقع الراهن. لأن من الممكن لذلك الادّعاء في أحيان كثيرة أن يقود إلى ادّعاءٍ آخر بأحقّية تلك الفئة في تمثيل الإسلام، وبالتالي المسلمين، كلّما حصلت واقعةٌ للإسلام والمسلمين علاقة بها من قريب أو بعيد، كما هو حاصلٌ كثيراً في تاريخ العرب والمسلمين المعاصر، وكما حصل على وجه التحديد مع وقائع سبتمبر وما تلاها من أحداث.

صحيحٌ أن الانتماء لهذا الدين، والغيرة عليه وعلى أبنائه، والانشغال بحاضره ومستقبله، حقٌ لكل من ينتمي إليه بشكلٍ من الأشكال، بل ربما يمكن القول أن ذلك الأمر هو واجبٌ عليه. ولكن الإنسان العربي والمسلم يجب أن يتعامل مع هذه المسألة بنوعٍ من الحساسية والحذر والانتباه، خاصةً عندما تأخذ حركته ونشاطاته أبعاداً جماعيةً تخرج عن إطار دائرته الفردية، وخاصةً عندما يصبح لتلك الحركة وذلك النشاط تَبِعاتٌ جماعيّة، ويترتّبُ عليها نتائج تؤثر في مصائر مجموعات أخرى من البشر صغيرةً كانت أو كبيرة، من المسلمين أو من غير المسلمين.

وإن من أغرب الأمور وأكثرها مدعاةً للتساؤل والمراجعة، تلك السهولة البالغة التي يجدها بعض أبناء العرب والمسلمين في ادّعاء تمثيل الإسلام، وبالتالي الاجتهاد حول قضايا كبرى تمسُّ بتأثيراتها المتشعّبة كثيراً من الدول والشعوب، بل وربما

This file was downloaded from QuranicThought.com

الأمة بأسرها، مثلما هو الحال مع ذلك الاجتهاد الذي قاد إلى سبتمبر أو قاد إلى ما تلاها من الكوارث. كل هذا بدعوى الإخلاص والتفاني والغيرة على مصلحة البلاد والعباد، وإن المشكلة الأخرى الموازية تتمثل في قبول بعض من يُسمّون أنفسهم علماء ومشايخ ومثقفين وأكاديميين بتلك الدعاوى وإقرارهم لها، بل وفي التماس المزيد من الأعذار والتبريرات لمن يقوم بتلك الأعمال، ثم التغاضي عن النتائج الكارثية التي تنتج عنها، والقول ببساطة أن هذه النتائج الكارثية إنما تدخل في باب الفتنة والتمحيص والابتلاء والقَدَر المقدور، بدلاً من التصدي مبكراً وبشكل قاطع وحازم وحاسم، وبكل الوسائل والأساليب، لكلّ من يُدخلُ الأمّة والعالم بأسره في هذه الأنفاق الخطيرة والمجهولة.

ولهذا فقد بات مطلوباً بإلحاح تحرير مسألة فهم الإسلام وحصر تمثيله في جماعة معينة تنطلق من ظروفها الخاصة وأحوالها المُعيّنة ومن قراءتها الجزئية للواقع، وتتحرك بناءً على حدود علمها التي كثيراً ما تكون في غاية القصور، لتقوم بأفعال وتصرفات، ولتتصدى لقرارات ومخططات، تتجاوز بكثير قدرتها على الإحاطة وينتج عنها مستتبعات تؤثر على الآخرين. لأن هذا التحرير هو الكفيل بإعادة التصور الوسطي ليكون الضابط والموجه لمثل هذه القضايا الحساسة الخطيرة.

٩. درجة احترام معطيات العلم والتخصص!

يعرف كل من يفقه شيئاً عن هذا العصر دور العلوم والتخصصات المختلفة في عملية فقه الواقع البشري والتعامل معه، ففي هذه العلوم والتخصصات من أدوات البحث والتحليل ما لم يعد ممكنا الاستغناء عنه للقيام بتلك العملية، كما أن التراكم المعرفي الذي شهدته وتشهده البشرية في حقول المعرفة المتنوعة يساعد على إعطاء صورة أكثر شمولاً ودقة عن الواقع العالمي الراهن. من هنا، تعتبر درجة احترام تلك العلوم والتخصصات ودرجة استخدامها عنصراً رئيساً من عناصر فقه الواقع والتعامل معه في هذا الزمان.

ولقد كانت إحدى المشكلات الكبرى في طريقة فقه العرب والمسلمين للواقع وتعاملهم معه تتمثل في زهدهم الظاهر في قراءة الأحداث، بناءً على معطيات العقل والمنطق والتخصصات الأكاديمية المختلفة، وعلى وجه التحديد في غياب الرؤية التخصصية المنهجية للقضايا والمسائل التي ترتبت على تلك الأحداث.

إن أحداثاً بهذا التعقيد والشمول لا يمكن أن تُفهم من خلال النظرة التاريخية فقط أو النظرة الشرعية فقط أو حتى النظرة السياسية البحتة فقط، لأن أبعاد تلك الأحداث تتعلق بالتاريخ والشريعة والسياسة مجتمعةً وتتعلق أيضاً بغيرها من العلوم والتخصصات. وقد أشرنا سابقاً كيف كان التركيز على عامل واحد من العوامل يؤثر كثيراً في مواقف شرائح مختلفة من العرب والمسلمين، بينما النظرة الشمولية تقتضي أن تُستصحب على الأقل العوامل التالية: النص ودلالاته ومقاصده الكبرى. معطيات الواقع والرؤية التخصصية.. ظروف كل محلّة وخصوصياتها. الظروف العالمية وتوازناتها. الحاضر بكل معطياته. التاريخ والماضي ودلالاتهما. وأشرنا كذلك إلى ظاهرة البحث عن إجابات وحلول كبرى من خلال (فتوى شرعية) يمكن أن يتصدى لها على الدوام ناسٌ لا يملكون ذلك النصاب المحترم من العلم الشرعي، وإذا امتلكوا ذلك النِّصاب فإنهم ربما لا يمتلكون الرؤية التخصصية المطلوبة للإحاطة بالأحداث من خلال علوم السياسة والاقتصاد والاجتماع.

إن أحداً لا يستطيع أن ينكر حقّ الأفراد من العلماء والمثقفين والإعلاميين في القيام بما يعتقدون أنه دورهم، وفي إعلان مواقفهم وتحليلاتهم المعيّنة للأحداث، خاصةً مع حرارة الموقف في الفترة الأولى. وليس المُراد من الكلام السابق الحجر على مواقف البشر، أو مصادرة الآراء والتحليلات التي لا تستصحب كل العوامل التي دخلت في صناعة الأحداث. فهذا المنع والحَجْر مما لا يمكن لأحدٍ القيام به أصلاً، وهو ليس من طبائع الأشياء، ولكن المقصود هنا هو دعوة أولئك العلماء والمثقفين والإعلاميين إلى التحلّي بالحدّ الأدنى المطلوب من الموضوعية والهدوء والتوازن عند القيام بتلك الممارسات، خاصةً وأنها تصدر عمّن يتصدّون للعمل العام، وهؤلاء هم أولى الناس بالشعور بالمسؤولية الملقاة على عاتقهم، وهم أولى الناس بتوخّي الحذر عند كتابة تحليلاتهم وإصدار بياناتهم وإطلاق تصريحاتهم.

ومن هنا تأتي ضرورة احترام مسألة التخصص في واقعنا

This file was downloaded from QuranicThought.com

المعاصر، خاصةً في مثل هذه المنعطفات المصيرية في تاريخنا كعرب وكمسلمين. فلقد شاعت في حياتنا الفكرية والثقافية والإعلامية فوضى التحليلات والآراء، وبات كل إنسان يستسهل إلى درجةٍ كبيرة إطلاق الأحكام وإصدار التصنيفات في أي قضيةٍ من القضايا بغض النظر عن أهليّته وتخصّصه ومجال معرفته وعلمه.

وقد كانت أحداث سبتمبر وما تلاها مناسبةً كبرى لرؤية هذه المشكلة المتجذّرة في حياتنا المعاصرة، التي ملأت أرجاءَها تحليلات ونظرات وآراء واستنتاجات في غاية السّطحية والبساطة والاختزال، و بشكلٍ يتناقض تماماً مع أدنى مقتضيات العلم والتخصص، الأمر الذي جعل كثيراً من الناس يبتعدون عن الواقعية المطلوبة ويعيشون في عوالم خياليّة من الظنون والأوهام. والغريب أن استسهال هذه القضية لم يقتصر على من يُطلق تلك التحليلات، وإنما كان ينطبق على شرائح كبيرة من الشعوب العربية والإسلامية التي كانت تتلقّى مثل تلك الآراء والنظرات بالقبول دون تمحيص وتدقيق، وتسمح لأصحابها بالاستطراد في تلك الممارسات.

ولهذا، فإن الحلّ الوحيد للمشكلة يكمن في انتباه الطّرف الذي يُمارس تلك الممارسات، وانتباه الطرف الذي يتقبّلها، إلى خطورة ما يترتب عليها من شيوعٍ كبيرٍ للفوضى الفكرية والثقافية، وبالتالي في وجود مواقف عملية مشوّهة تضيف إلى رصيد الخسائر والهزائم المتضخّم في واقعنا المعاصر. لذلك، صار من الواجب أن تعمّ في هذا الواقع، وبين الشعوب العربية والإسلامية مواقف النقد والتمحيص والتدقيق لما يُطلق من آراء، وبات مطلوباً أن يتعوّد الناس على سؤال من يتصدّرُ للتحليل: من أين أتيتَ بهذه المعلومات؟ وما هي خلفيات هذا الرأي؟ وعلى ماذا بَنيتَ هذا التحليل؟ وكيف تُثبتُ بأن هذا الموقف صحيح؟ ولماذا يجب أن أصدّق ما تقول؟ وما هي وجهة النظر المضادّة لهذا الموقف؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تجبر الآخرين على احترام عقول البشر، وترغمهم على التأنّي والصبر والتفكير قبل إطلاق الآراء والتحليلات بسهولةٍ شديدة وبدون أي شعور بمسؤولية الكلمة.

إن هذا لا يمثل دعوةً للحدّ من حرية التعبير كما قد يعتقد بعض البسطاء، وإنما هو دعوةٌ إلى تنظيم حياتنا الثقافية والفكرية واحترام عقولنا وأوقاتنا وجهودنا، التي كثيراً ما تضيع عبثاً في مواقف وآراء يتبين في النهاية أنها لا تستحق الاعتبار. وإذا ما تمّ تنظيم حياتنا الفكرية والثقافية شيئاً فشيئاً بذلك الشكل الذي يحترم التخصص ويحترم معطيات العلم والعقل، فسيبقى المجال مفتوحاً دوماً لمن شاء أن يتحدث ويُطلق رأيه، ولكن حجم تأثير الآراء السطحية المختزلة في حياتنا سيصبح عندها محدوداً ومحاصراً ضمن دوائر ضيقة لا يخلو مجتمعٌ من وجودها مهما كان.

وبهذا يصبح العقل الجمعي للأمة قادراً في مرحلة من المراحل على رؤية الصورة بشموليتها وتوازنها من خلال تكامل الآراء والتحليلات التي تمتلك ذلك الحد الأدنى من الموضوعية والتوازن، وتستند إلى ما هو مطلوب من العلم والتخصص والمنهجية. وبهذا، وهذا هو المهمّ، تصبح القرارات العملية سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو الحكومات منبثقةً من ذلك العقل الجمعي المتوازن الواعي. لأن مثل تلك القرارات هي دوماً نتاجٌ للعقل الجمعي في الأمة، وتعبيرٌ صادقٌ عن خصائصها وملَكَاتها العقلية والفكرية والثقافية. ومن خلال ذلك كله تعود الوسطية في منهج رؤية الواقع والتعامل معه لتصبح الطريق الأمثل الذي يضمن حفظ طاقات العرب والمسلمين وأوقاتهم وعقولهم من الهدر والضياع.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوسطية في البناء الاجتماعي

أ. د / عبد الحليم عويس
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية / مصر

ليست الوسطية في البناء الاجتماعي أمراً قانونياً، بل نستطيع أن نقول: إنه خط فاصل واضح بين الإفراط والتفريط. إن هذا الخط الفاصل يستطيع الدارسون للشريعة أن يجدوه، لكنه لا يمثل الوسطية بمعناها الأعمق والأشمل؛ فالوسطية عملية نفسية، وروحية، وفكرية، تشبه الضمير الذي لا يمكن لمسه باليد، ولا التعامل معه بالميزان القانوني التشريعي البحت، فهو ملكة داخلية يفرق بها المرء بين المبالغة في الإفراط أو المبالغة في التفريط!!.

ومن البديهي أن هذا الميزان لا يعني الانسياب في كل الأعمال، وإنما يعني ضبط إيقاعات الإنسان بحيث لا يطغى جانب على جانب، وبحيث يأخذ كل ذي حق حقه، فنحن في أيام العيدين (الفطر والأضحى) نلتزم دينياً بالتكثيف في الفرح الاجتماعي، وبالتغليب في الجانب الترويحي، لكننا قبل عيد الفطر بعدة أيام، وخلال العشر الأواخر من رمضان نلتزم أيضاً بتكثيف العبادة حتى نفوز بليلة القدر وبمغفرة الله !!.

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يزعجهم أن يكونوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد أشباه ملائكة، قد انسلخوا من الدنيا، وصعدوا إلى أكبر درجة ممكنة من السمو البشري، لكنهم عندما يخرجون من المسجد ينزعجون لأنهم يجدون أنفسهم قد تحولوا إلى بشر يمازحون الأطفال والنساء، ويأكلون كما يأكل الناس، فلما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذا التباين الذي يقوم في أذهانهم، ويجعلهم يبدون متناقضين بين كفتي الإفراط والتفريط، طمأنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن هذا وضع طبيعي، وأنهم لو لم يكونوا كذلك لانخلعوا من بشريتهم ولصافحتهم الملائكة.

فالوسطية في البناء الاجتماعي الإسلامي لا تعني إلغاء التعددية في النشاط الاجتماعي، ولا تعني الالتزام بحد معين في كل حالة على حدة، وإن كان هذا وارداً بدرجة ما، لكنّ المهم هو الوسطية في مجموع الحالات، وفي وزن الأشياء بالميزان

This file was downloaded from QuranicThought.com

الصحيح في مجموعها.

مفهوم البناء الاجتماعي الإسلامي:

البناء الاجتماعي هو العمران الذي يحيا فيه الناس أفراداً وأسراً، خاضعين لعقد اجتماعي موروث ومكتوب يلزمهم بالقواعد الاجتماعية المعتبرة التي تحقق التماسك والتقدم والتكامل؛ سواء أكانت هذه القواعد عرفية أم تشريعية، وفي بعض الأحوال قد توجب بعض الحالات الارتفاع فوق هذه القواعد؛ وذلك مثلما فعل الأنصار مع المهاجرين عندما شاركوهم في دورهم وأموالهم، بل وقد عرض الأنصار على إخوانهم المهاجرين أن يقتسموا معهم هذه الأموال والعقارات مناصفة. فهذا نوع من الإيثار (والتكافل) لم يجعله الشرع فرضاً، وتَركَهُ للمستوى الأخلاقي للمسلمين في ظل معاني الرحمة والأخوة الإسلامية، ولربما بدون هذا الارتفاع (الإيثاري) لم يكن المجتمع الإسلامي الأول ليتكون، أو ليتكون على هذا النحو!!

ومن هذا السياق السابق نعلم أن التعامل مع الجوانب الاجتماعية في الإسلامي يقف فوق أرضية عقدية وفكرية ونفسية وأخلاقية معينة، وأن المسلم يعالج هذه القضايا في إطار مفاهيمه الإيمانية الكلية، فهو لا يقوم بها لأنها أوامر قانونية، ولا قضايا مصلحية عامة، يتبادل فيها الفرد والمجتمع الخدمات بطريقة جدلية تبادلية. وقد تنتهي هذه العلاقة بمجرد الشعور بانقضاء المصلحة، أو بالتحايل على القانون، فالأصل العقدي والتعبدي للقضايا الاجتماعية في الإسلام، والمنهج الذي يجعله جزءاً من كل لا تنفصل عنه. هذا الأصل وهذا المنهج يجعلان للتكافل الاجتماعي في المجتمع المسلم قسمات خاصة ينفرد بها عن كل النظريات الاجتماعية التي ظهرت في القديم وفي الحديث!!

ويؤكد لنا هذا، أن الأمة لم تكن تنظر إلى التكافل الاجتماعي على أنه مجرد تنظيم للعلاقة التي تربط الفرد بالمجتمع، وتمنع طغيان أحدهما على الآخر، وتضع الأسس التي تضمن تساند المجتمع أفراداً وطبقات، وتتيح للجميع قدراً متكافئاً من الفرص والحقوق، وتلزم الجميع بقدر عادل من الواجبات، بل نظرت إليه على أنه -إلى جانب ما سبق- معنى روحي وأخلاقي ووجداني يرتفع إلى درجة (المؤاخاة) التي تعلو فوق الأخوة الإيمانية العامة، وتجعل الأنصار يقدمون للمهاجرين ما لم يطالبهم به دينٌ ولا قانون ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وفي هذا الصدد نشير إلى أننا قد نجد الدول الإسلامية (عبر التاريخ الإسلامي) قد تعرضت لنكسات عجزت معها مؤسسات الدول في كثير من الظروف عن توفير الحاجات الأساسية للمجتمع من غذاء وكساء ودواء وتعليم، فقامت الأمة المسلمة بدوافع الإيمان والعقيدة بسدّ الاحتياجات التي عجزت عنها مؤسسة الدولة، حفاظاً على بناء المجتمع !!

ومن هذا المنطلق نشير إلى الربط العضوي القائم بين مصطلحات «الأمة» و«المجتمع» و«التكافل الاجتماعي». وأخيراً يأتي مصطلح «الدولة» الذي يقوم بدور خطير، لكن الأمة مع ذلك لا يجوز لها أن تيئس ولا أن تترك التكافل الاجتماعي في الحالات التي تعجز فيها الدول عن القيام بهذا التكافل، أو الحالات الأخرى التي تتنكر فيها الدولة لرسالاتها، وتخدم شرائح معينة، وتهمل الشرائح الاجتماعية الوسطى والضعيفة!!.

ونشير في هذا السبيل إلى حقيقة قيام البناء الاجتماعي في الإسلام على الجوانب المادية والروحية معاً؛ لأنه في النهاية يعني شعور الجميع بمسؤولية بعضهم عن بعض، وأن كل واحد منهم حامل لتبعات أخيه ومحمول على أخيه، يُسأل عن نفسه ويسأل عن غيره. ولهذا كان للتكافل الاجتماعي الذي يحفظ البناء الاجتماعي شعبتان:

شعبة مادية: وسبيلها مدّ يد المعونة في حاجة المحتاج وإغاثة الملهوف، وتفريج كربة المكروب، وتأمين الخائف، وإشباع الجائع، والإسهام العملي في إقامة المصالح العامة. وقد أطلق الإسلام على هذا النوع من التعاون المادي عناوين مختلفة تشمل أنواعاً مختلفة من العلاج والتكافل مثل (الإحسان - الزكاة - الصدقة - الحق المعلوم - الإنفاق في سبيل الله - كفالة اليتيم - صلة الأرحام.. الخ)، لكن هذه العناوين الدالة على أنواع من التكافل تتكامل كله لتقدم نسيجاً من التكافل المادي في الحياة الاجتماعية.

أما الشعبة الثانية فهي الشعبة الأدبية: ونعني بها تكافل المسلمين جميعاً وتعاونهم المعنوي بالتعليم والنصح والإرشاد والتوجيه. أو بإيجاز: التعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

المنكر قولاً وفعلاً. والإسلام يجعل هذا التكافل الأدبي فريضة لازمة على كل مسلم، بل جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم أنه الدين كله بالنسبة لجميع الطبقات. (الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

وهكذا يتضح لنا -بجلاء وتركيز شديدين- أن التكافل الاجتماعي في الإسلام لا يعني مجرد المساعدات المالية أياً كانت صورتها، كما تعني كلمات مثل الضمان الاجتماعي أو التأمين الاجتماعي... بل يمتدّ المضمون الإسلامي للتكافل ليصبح نظاماً لتربية روح الفرد وضميره وشخصيته وسلوكه الاجتماعي، ونظاماً لتكوين الأسرة وأساليب تكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات التي تربط الفرد بالدولة، وأن يكون في النهاية نظاماً للمعاملات المالية، والعلاقات الاقتصادية التي تسود المجتمع الإسلامي.

ومن الجدير بالذكر هنا أن البناء الاجتماعي الإسلامي يجعل التكافل المعنوي والأدبي والأخلاقي والروحي في الأهمية نفسها بالنسبة للتكافل المالي والاقتصادي.

بل إننا نرى في المنظور الاجتماعي الإسلامي أن التكافل المادي لا تتحقق أهدافه إلا بالوقوف فوق الأرضية المعنوية والأدبية. ونرى أيضاً أن التكافل المعنوي هو الذي يضمن فعالية التكافل المادي. فما معنى أن يتكافل المسلمون مادياً في بلاد الاغتراب مثل أمريكا وأوروبا مثلاً، والتي قد تُقدِّم فيها الدولة ألواناً من الضمان الاجتماعي المادي، بينما يترك بعضهم بعضاً ينحدر في عقيدته وعبادته وأخلاقه، بحيث يكاد يذوب في القيم الانحلالية والمادية واللا أخلاقية التي تطرحها -في الشارع والإعلام- المنظومة القيمية اللا دينية؟ !!

وهكذا فإنه على الرغم من أن الإسلام قد قدم إطاراً قانونياً متكاملاً لقيام البناء الاجتماعي على أساس الوسطية والعدالة الاجتماعية المادية، إلا أن الأساس المعنوي يقوم على مخاطبة الإنسان من داخله، وليس مجرد قيادته من ظاهره، وعلى تحريك ضميره بدل سوقه بالقوة القاهرة، واستجاشة مشاعر الفطرة النبيلة بدل تحويل الحياة إلى صراع كئيب.

والحق أن الإسلام في تشريعه الاجتماعي قد اعتمد هذا الأساس المعنوي على نحو لم تصل إليه أرقى النظم التي ظهرت في التاريخ، وقد أطلق على هذا الأساس اسم «التكافل الاجتماعي» شاملاً المعنويات والماديات. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾. وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾.

ولئن كانت بعض البلدان غير الإسلامية قد بدأت تلجأ إلى أسلوب التكافل الاجتماعي عن طريق ما يسمى بالجمعيات الخيرية ومؤسسات البر والمستوصفات والمستشفيات المجانية والضمان الاجتماعي وحماية الضعفاء وما إلى ذلك... إذا كان الأمر كذلك فليس ما تفعله هذه الدول إلا تقليداً متأخراً منها لما جاء به الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، بعد أن طحنتها القوانين الجافة وأساليب الصراع الاجتماعي !!

البناء الاجتماعي الإسلامي في نشأته وتطوره:

لا توجد في التصور الإسلامي حواجز حقيقية بين الفرد والمجتمع، فإن الفرد يحس بأنه مسئول مسئولية مباشرة عن المجتمع؛ والمجتمع أيضاً يحس بأن عمده الأساسية وأركانه الطبيعية هم هؤلاء الأفراد المسلمون.

لقد انتمى الفرد المسلم إلى هذا المجتمع بإرادته، ولقد انتسب إليه روحاً وفكراً ومشاعر قبل أن ينتمي إليه جسداً أو عضواً عاملاً. والرابطة الأولى بالتالي في المجتمع الإسلامي هي العقيدة المشتركة، وما ينبثق عن هذه العقيدة من تصورات ونظم وقوانين اجتماعية واقتصادية وسياسية.

وهذه الرابطة الأولى -التي ارتضاها المسلم طواعية- تذيب الفواصل بينه وبين المجتمع، وتشعره بولاء ومسؤولية حقيقية تجاهه، وتجاه ما يتعرض له المجتمع الإسلامي كله من مشكلات وتحديات؛ بل وتجعله يشعر ويتعامل بنوع من التوازنية والانتماء مع المجتمع.

والسبب الأكبر الذي نكب المجتمعات البشرية، وكثف مشكلاتها في الجوانب المختلفة هو أنها نشأت كمجتمعات «اصطناعية» أو «تلقائية»، وليست مجتمعات طبيعية قائمة على الاختيار الفردي والتوافق الفكري والعقدي. ومن هنا تظهر في أحشائها بين الحين والحين أمراض متنوعة؛ مرة اجتماعية، ومرة اقتصادية، ومرة سياسية، ومرة حضارية شاملة تهدد بناءها كله، وتعرضها للتحلل والضياع.

وعند دراستنا لطبيعة المنهج الإلهي في علاج المسألة

This file was downloaded from QuranicThought.com

الاجتماعية، يجب أن نستحضر في أذهاننا أن المنهج الإلهي كل لا يتجزأ، وأن علاج أي عضو في الجسم لا يعني أن بقية الأعضاء بمنأى عن التأثر بقضية هذا العضو والتأثير فيها، وأن هذا العضو الذي نسميه الجانب الاجتماعي هو بدوره جزء من الأجزاء؛ يتعامل مع بقية الأجزاء بتوازنية ووسطية وترابط.

وفي ظل الوعي بهذه الحقيقة نستطيع أن نستنتج أن طبيعة المنهج الإله ي في علاج البناء الاجتماعي ترتكز على الحقائق التالية:

أولاً: إن الخصائص التي تتميز بها الشريعة الإسلامية؛ بل التصور الإسلامي كله، تصدق على نظرة الإسلام للبناء الاجتماعي:

- فإذا كان الإسلام دين سهولة وتدرج ووسطية وتوازن بين أنشطة الحياة المتعددة وجوانبها، فإن هذه السمات تتجلى أيضاً في تناول الإسلام للبناء الاجتماعي أسلوباً وغاية.

- وإذا كان الإسلام ديناً ربانياً صادراً عن قوة منزهة عن كل شرك، وليس نظرية إنسانية جزئية أو ترقيعية؛ فإن هذه الخصيصة الدينية ستتجلى أيضاً في علاج الإسلام للبناء الاجتماعي؛ حين لا يقتصر العلاج الإسلامي على القوانين الجافة أو السلوك الظاهري، وإنما يتعدى ذلك إلى تحريك عواطف الرحمة والحب والأخوة والإنسانية، وخشية الله تعالى ورضاه؛ وصولاً إلى تحقيق مجتمع العدالة الاجتماعية الواقعية، وليست العدالة النظرية المزيفة. وكل ذلك وفاقاً للوسطية والعدل والتوازنية والتكاملية.

- وإذا كان الإسلام يجمع بين الثبات والتطور، ويرسم لكل منهما إطاره، ويجمع بين المثالية التي ينبغي أن ترنو إليها البشرية دائماً، والواقعية التي يسير عليها الناس غالباً. ويجمع أيضاً بين الدنيا -أي الوجود المحدود- والآخرة -أي الوجود الممتد-، ويخاطب الإنسان بالعبادات من داخله، وينظم وجوده بالمعاملات من خارجه.

إذا كان الإسلام في أسلوبه وتشريعاته كلها يجمع هذه الخصائص بنوع من الوسطية والتوازنية والتكاملية التي يعجز أي مذهب بشري عن إحداث التوفيق والانسجام والتعاون بينها؛ فإن هذه الخصائص تتجلى أيضاً وبالضرورة في علاجه للبناء الاجتماعي.

ثانياً: إن الإسلام لا ينظر إلى هذا البناء الاجتماعي كقضية ذات طابع مادي فقط؛ فالإنسان في نظر الإسلام لا ينحصر في دائرة الوجود المادي أو الاقتصادي -كما يقول الماديون الجدليون

- وإنما هو كائن إنساني روحي؛ إلى جانب ما فيه من جوانب مادية.

- فالحرية الإنسانية مثلاً في نظر الإسلام لا تقل أهمية عن الجانب الاقتصادي.

- وقتل حرية الإنسان في مقابل توفير الخبز والملبس له انتكاسة حيوانية وردة إنسانية، وهبوط بالمستوى الذي وضع الله الإنسان فيه (وهو ما فعله الشيوعيون والماديون بعامة)!!

وعلى أساس تحقيق الكفاية لكل جوانب الإنسان من مادية وعضوية ترتكز المبادئ الإسلامية في علاج البناء الاجتماعي.

ثالثاً: والإسلام كدين إلهي لا يعترف بالنزعات العنصرية أو القومية أو الطبقية أو ما سوى ذلك من نزعات الصراع والتناقص؛ بل يقيم تشريعاته على أساس الركنين الفطريين التاليين:

١- وحدة الأصل: فالبشر جميعا ينتسبون إلى أب واحد، وأم واحدة وإن اختلفوا جنساً ولوناً ووطناً، ولا ينبغي أن يكون اختلافهم هذا حائلاً دون أخذهم حقوقهم الإنسانية المشروعة. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾.

٢- وحدة العقيدة: وهي التوحيد الخالص الذي جاء به النبيون جميعاً ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ﴾. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾. فهذا هو أساس العقيدة الذي لا يتبدل، أما التشريع الذي ينظم حياة الجماعة فهو الذي يتطور في الرسالات الإلهية. حتى إذا جاء الإسلام في صورته النهائية كان قد احتضن الفكرة الأساسية في دين الله الواحد، واستقى الصالح من المبادئ والتشريعات والنظم في الرسالات السابقة، وأكمل الناقص منها وأتمه.

لكن وسطية الإسلام -مع ذلك- تجعل تشريعاته كلها.. اجتماعية أو اقتصادية أو روحية. تتوازن وتتكامل وفاقاً

This file was downloaded from QuranicThought.com

لوسطية جامعة تحقق الإشباع لكل جانب على حدة ولكل الجوانب مجتمعة. وهي -من هذا المنطلق الوسطي التوازني التكاملي- لا تلغي الوطنية أو القومية، فهما من الحقائق الموضوعية المعاشة، لكنها تمزجهما في الولاء الأكبر والجنسية الأعظم، وهي الإسلام.

الصياغة الإنسانية للمجتمع:

الوسطية والتوازنية تعنيان ضمناً الاعتراف بالجوانب الإنسانية كلها في تآخ وتكامل، ولهذا كان من أبرز خصائص المنهج الإلهي في علاج القضايا الاجتماعية والاقتصادية أنه لا يقيم البناء الاجتماعي، أو السياسة الاقتصادية على أساس «الصراع»أو التناقض بين الأفراد أو الطبقات.

إنه قبل أن يضع القوانين، وبعد أن يرسي أساس الربوبية يُقيم دعامات أخرى إنسانية تشيع بين الناس أواصر الرحمة من الحب والتسامح والفضل والتعاون ومراقبة الضمير وخشية الله؛ إلى غير ذلك من المعاني الكريمة.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تؤكد هذه المعاني أكثر من أن تحصر... وأبرز معالم الصياغة الإنسانية للمجتمع في المنهج الإلهي تتلخص في:

١- إيمان الإسلام بنظافة الفطرة الإنسانية، وبأنها لم تولد آثمة أو خاطئة؛ وإنما ولدت كريمة طيبة تنزع إلى المثالية. وما يلحقها من عيوب إنما هو حصاد تأثرها بأوضاع غير كريمة في المجتمع. والإسلام يعتمد في تشريعاته على هذا الرصيد الكريم للفطرة، ويحاول تحريك الإنسان بالإرادة الذاتية من داخله قبل أن يقوده بسلاسل القانون من خارجه. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾.

٢- إشباع الإسلام لكل جوانب الإنسان بالطرق الحلال، وتصعيد كل غرائزه وليس كبتها أو حرمانها بالرهبانية المبتدعة أو الزهد الكاذب. «فالإسلام ليس عقيدة صوفية، ولا هو فلسفة، ولكنه منهج من الحياة حسب قوانين الطبيعة التي سنها الله لخلقه، وما عمله الأسمى سوى التوفيق التام بين الوجهتين الروحية والمادية في الحياة الإنسانية».

٣- إعطاء الإسلام كل ذي حق حقه؛ في توازن، وبلا إفراط أو تفريط، فللرجل حقه كإنسان، وللمرأة حقها، وللابن حقه، وللأب حقه، وللضعيف حقه، وللمريض حقه، وللعاجز حقه، وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق. قال تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ، فَكُّ رَقَبَةٍ، أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ، يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ، أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ، ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾.

٤- إن الفرد في المجتمع الإسلامي يتمتع بحقوق عامة؛ انطلاقاً من واقع كينونته الإنسانية، وليست مجرد حقوق مرتبطة بظروف موقوتة، تزول بزوالها.

٥- ومن البديهي أن إعطاء كل ذي حق حقه، بلا تفريط أو إفراط، وأن توازنية العلاقة بين الأفراد جميعاً ذكوراً وإناثاً، حكاماً ومحكومين، إنما تعني في النهاية إقامة (وسطية) تقوم على توزيع النسب، ومراعاة التكاملية الشاملة، وتلتزم بالعدل المطلق!!

٦- فليس من حق المجتمع الإسلامي أن يستحل ثروات الأفراد أو يستبد بها. فالظلم ظلم، والتسلط الظالم مرفوض في منطق العدالة الاجتماعية الإسلامية. كما أنه -على المستوى الإنساني- ليس من حق الأمة الإسلامية أن تستحل ثروات الأمم الأخرى !!، بل إن العكس هو المفروض على الأمة الإسلامية. فهذه الأمة الوسط الشهيدة على الناس مكلفة بإقرار العدل والحق في الأرض كلها، وما الهدف الأسمى من الجهاد إلا إقرار العدل والحق، وإعلان الحرب الدائمة على الطغاة والمتألهين؛ الذين يستذلون الشعوب ويقيمون السدود في وجه الحق والإيمان. والقرآن يقول: ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾. ويقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾، ويقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

والعدل في منطق الإسلام -كما أشرنا- عدل مطلق. ينساب في كل أركان المجتمع والكيان الإنساني، في داخل النفس، وفي الأسرة، وبين أفراد المجتمع، وبين الرجل والمرأة، والأب والابن، ومع الصديق والعدو. وبين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات. وهو عدل في الحكم، وفي الاقتصاد، وفي النظم الاجتماعية، وفي الحروب، وفي سائر العلاقات الاجتماعية وشؤون الحياة. وكل ذلك تشع فيه روح الوسطية

This file was downloaded from QuranicThought.com

التي هي ميزان العدل التي تبتعد بالفرد أو المجتمع عن الإفراط والتفريط.

والحق أن أكبر -بل وأعمق- الخصائص الأساسية في المنهج الإسلامي الاجتماعي بعد بعديه الأساسيين وهما: الربانية والإنسانية، أنه منهج وسطي توازني شامل. وهذا يعني أصالته وتفرده؛ على أساس أنه ليس رد فعل، أو علاجاً لمرحلة تاريخية ذات خلل طارئ في علاقة الفرد بالمجتمع.

- فهو أصيل في وسطيته وخصائصه؛ لأنه لم يكن مجرد علاج أو رد فعل لخلل طارئ، وإنما هو توجيه شمولي لعلاج الكيان الاجتماعي كله، كما أُلمنا.

- وهو أصيل في وسطيته لأنه لم يكن مجرد ترقيع جزئي انفعالي (كالشيوعية والاشتراكية) أو تلفيق مذهبي مستورد (كدعاوى الجمع بين الاشتراكية والديمقراطية)، أو نظرة مسطحة لكيان الإنسان ولحركة التاريخ البشري وقوانين مسيرته.

- وهو أصيل كذلك في وسطيته وتوازنيه؛ لأنه يقدم حلولاً مستقلة لمشكلات الإنسانية؛ يستمدها من تصوره الخاص، ومن منهجه الذاتي، ومن أسسه الأصيلة، ومن وسائله المتميزة.

- وهو أصيل كذلك في وسطيته وتوازنه من جهة أخرى لأنه يرتكز على دعائم أصيلة في أعماق الإنسان، ويهدف إلى غايات إنسانية نبيلة، لا تخدم مصلحة طبقة أو فرد؛ إنما تخدم المجتمع كله والإنسانية كلها.

ومن أكبر دلائل أصالة المنهج الإسلامي في تشكيله للبناء الاجتماعي أنه منهاج رباني إنساني شامل. لأن كل جزئياته تنطلق من منبع واحد، وهو الوحي الكريم، وتتجه كلها إلى غاية واحدة هي العبادة، أي رضا الله تعالى، «فليس في التصور الإسلامي نشاط إنساني لا ينطبق عليه معنى العبادة، أو لا يطلب فيه تحقيق هذا الوصف».

ولأنه منهج مستوف لكل نواحي الحياة، ومؤهل لعلاج كل أمراض النفس والمجتمع، ولأن وسائله كذلك فطرية؛ فهو - كذلك- لا يهدم الفطرة أو يصطدم بها، ولا يلجأ للوسيلة السيئة من أجل غاية يزعم أنها شريفة. ولا يضحي بملايين الناس، زاعماً أنه يريد إقرار العدالة الاجتماعية على أشلائهم، ولا يهدر حقوق الآدميين تحت شعار كاذب يرفعه؛ مهما كانت قيمة هذا الشعار...!!

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوسطية
فصلية - إسلامية - مستقلة

الحوار... واسس نجاحه

د. ياسر الشمالي
كلية الشريعة / الجامعة الأردنية

هذاالمقال في الحوار لترسيخ مبدأالتواصل والتعارف، وارساء لبنة نحو ثقافة حوارية تسود حياتنا بدلا عن الجدال والمهاترات، والحوار انما هدفه الوصول للحق والحقيقة، لذلك لابد من معرفة اسسه وضوابطه وآدابه. وإن معرفة هذه الاسس ضروري في هذا العصر الذي نحن بأمس الحاجة فيه للاهتداء بهدي الاسلام، وحكمه الحكماء، وخبرة العقلاء، لتكون ضوابط ومنارات لكل عالم وكاتب وداعية وطالب علم في تواصله وعلاقاته بالآخر.

نسمع بكلمة الجدال وانه مذموم ونسمع بالحوار، فهل هنا فرق بينهما، وما هو الدليل؟

الحوار في اللغة: المراجعة والمجاوبة في الكلام، والحوار: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.

قال الله تعالى: ﴿إنه ظن أن لن يحور﴾- الانشقاق/١٤، أي لن يرجع إلى ربه.

وفي الحديث (.. ومن دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدوّ الله، وليس كذلك الا حار عليه) أي رجع اليه ما نسب اليه، وفي الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه عن أبي الدرداء: «كانت بين أبي بكر وعمر مُحاوره ..» أي مراجعة ومجاوبة في الكلام.

وجاء في لسان العرب، أحار عليه جوابه: أي ردّه، والمحاوره: المجاوبة ومراجعة المنطق والكلام في المخاطبة.

والتحاور: التجاوب، ويتحاورون، أي يتراجعون الكلام، فالحوار الصحيح ما أمكن لكل طرف أن يجاوب الاخر ويعبر عن رايه.

والأحور: العقل، يقال: ما يعيش فلان بأحور، أي ما يعيش بعقل يرجع اليه. وهذا يرشدنا الى ان الحوار لا بد ان يكون منطلقة عقلانيا بعيدا عن العاطفة او التعصب.

والحواريون: هم صفوة الأنبياء الذين قد خلصوا لهم،

This file was downloaded from QuranicThought.com

لأنهم روجعوا في اختبارهم مرة بعد مرة فوجدوا نقيين من كل عيب.

ويتضح مما تقدم أن الحوار مرده الى المراجعة التي فيها تعبير حر عن الرأي في إطار عقلاني، حيث إن المتحاورين يراجع كل منهم كلام الآخر ويجاوبه أثناء المخاطبة، ومما في كتاب اله ﴿والله يسمع تحاوركما﴾- المجادلة/١- حيث كانت خولة بنت ثعلبة تراجع النبي (ص) «ما أُمرت في شأنك بشيء»، ثم راجعت رسول الله(ص) مراراً تشكو فاقتها وشدة حالها وتعبر عن حاجتها، حتى نزلت الآيات الكريمات من أول المجادلة ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما﴾.

وجاء في القرآن الكريم كلمات عديدة يظن البعض أنها مرادفة للحوار أو قريبة في معناها منه، مثل كلمة الجدال، وكلم الخصومة، من المفيد معرفة العلاقة بين هذهالكلمات في استعمال القرآن الكريم ولغة العرب،وكذا كلمة النقاش التي يستعملها عامة الناس بمعنى الحوار.

الجدل عند اهل اللغة هو اللدَد في الخصومة والقدرة عليها، والمفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمت فتله، ومنه الجديل، وجدلت البناء، أي أحكمته، والأجدل هو الصقر المحكم البينة، والمِجدَل: القصر المحكم البناء، ومنه الجدال، قال الراغب الأصفهاني: فكأن المتجادلين يفتل كلُ واحد الآخر عن رأيه.

وجاء في لسان العرب: جادلت الرجل فجدلته جَدْلاً: أي غلبته، ورجل جَدِل: إذا كان أقوى في الخصام والاسم: الجَدَل، وهو شدذ الخصام.

وقد جاء في الحديث ما يُهم منه أن الجِدل إنما يُدم لما فيه من التنازع والخصام الذي غايته المنافرة وإظهارالغلبة، وقد جاء: أن رسول الله(ص) وهم يتنازعون في القرآن، فغضب غضباً شديداً حتى كأنما صُبَّ على وجهة الخل، ثم قال: (لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فإنه ما ضل قوم قط إلا أوتوا الجدل)، ثم تلا ﴿ما ضربوه لك إلا حدلاً بل هم قوم خصيمون﴾- الزخرف/٥٨.

وأخرج البخاري في الاعتصام، باب﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾،عن الحسن بن علي أن علياً بن أبي طالب قال: إن رسول اله (ص)- طرقه وفاطمة عليها السلام- فقال لهم: ألا تصلون؟ فقال علي: فقلت: يا رسول اله أنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف رسول الله (ص) حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئاً، ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾.

قال العلماء: يؤخذ منه أن علياً رضي الله عنه ترك فعل الأولى وإن كان ما احتج بها متجهاً، ومن ثم تلا النبي (ص) الآية ولم يلزمه مع ذلك بالقيام بالصلاة، ولو كان امتثل وقام لكان أولى، ويؤخذ منه الإشارة إلى مراتب الجدال، فإذا مان فيما لا بد منه تعين نصر الحق بالحق، وفيه الانسان طُبع على الدفاع عن نفسه بالقول والفعل، وأنه ينبغي أن يجاهد نفسه أن يتقبل النصيحة ولة كانت في غير واجب.

وقد عرَّف الجرجاني الجدل بقوله: «لم يُقتدر له على حفظ أي وضع يُراد ولو باطلاً، وهدم أي وضع يُراد ولو حقاً».

قلت: من تعريف أهل اللغة واستقراء النصوص يتضح أن الجدل يلازم الخصومة والتمسك بالراي والتعصب له، وهذا بخلاف المجاورة، فهي كما يستفاد من معناها الغوي مراجعة القول بين المتحاوريين دون أن يكون هناك بالضرورة خصومة أو تعصب لرأي،

فيفهم مما تقدم أن المحاورة أعم من المجادلة، لأن فيها عرض لوجهتي النظر، والجدال يقصد به المحاجة والغلبة بإقحام الخصم وأبطال حجت، وتعتمد المجادلة على قوة الحجة بينما الحوار بمفهومة الواسع يعتمد على سعة الخيال وحضور البديهة والإحاطة، قدر الإمكان، بخصائص يوافقه ما يدور الحوار حوله.

وقد وردت كلمة الجدال ومستقاتها في القرآن الكريم ثلاثين مرة في تسعة وعشرين موضعاً، وعند استقراء النصوص التي جاءت فيها هذه الكلمة، نجد أن القرآن الكريم استعملها- عموما- في سياق الخصومة وإرادة الغلبة للآخر والتعصب للرأي ولو كان بالباطل، وهذا يوافقه ما ذكره اللغويون:

فمن ذلك قوله تعالى- واصفا طبيعة النفس الانسانية ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾- الكهف/٥٤.

وقال واصفاً منهج أهل الكفر والضلال: ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق﴾- غافر/٥.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقال معبراً عن حقيقة أن الجدال يغلب عليه الجهد والطيش.

﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدىً ولا كتاب منير﴾الحج/٨.

وقال موجهاً للحاج إلى بيته الكريم أن يلزم الوقار وأن يبتعد عن الخصومة واللد:

﴿فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾.

وقال مبيناً أن الجدال مما يحبه الشيطان ويوسوس به لإبعاد الناس عن الحق.

﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾- الأنعام/١٢١ وغيرها من الآيات في هذا المعنى.

هل ورد الجدال في القرآن الكريم في معرض المدح؟

نعم وردت آيتان تذكران الجدال يُفهم أنهما في سياق المدح له، وهما: قولهتعالى:﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾النحل/١٢٥.

وقوله﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن﴾ العنكبوت/٤٦.

فنلحظ أن الجدال هنا مفيد بكلمة «الحسنى» وعند التأمل في مضمون الآيتين الكريمتين ودراسة سياقهما يتضح أن المعنى لا يخرج عما سبق أيضاحه،ذلك أن الجدال لما كان عادة في مجال المغالبة والتعصب للرأي ولكن المجادل قد يستعمل في ذلك كلاماً قاسياً منفراً أو كلاماً لطيفاً ليناً، أمر النبي الكريم(ص) ومن اتبعه من الدعاة أن يستعملوا اللين والملاطفة عند جدال أهل الكتاب والاستماع إلى شبههم والرفق بهم في حلهاودحضها، وسمي جدالاً لأن المسلم يعتقد في قرارة نفسه أنه على الحق المبين، لكن هذا لا يستدعي إظهار ما في النفس من أنه على الحق ولآخر مبطل من أجل كسب مودة الآخر واستمالته للإصغاء للحوار عملاً بقوله تعالى:﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أوفي ظلال مبين﴾سبا/٢٤. والتي يُفهم منها أهمية إظهار التجرد عند الحوار والتسليم بإمكان أن يكون الحق مع الطرف الآخر.

هل يكون الجدال قبل ظهور الحق أم بعد ظهوره؟

بين أبو محمد ابن حزم، رحمه الله، أن الجدال المذموم هو فيمن يجادل بعد ظهور الحق، وهذه صفة المعاند الآبي من قبول الحجة بعد ظهورها، ومنه قوله تعالى:

﴿وقالوا آلهتنا خير من أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا، بل هم قوم يخصمون﴾ الزخرف/٥٨.

ثم قال: فوجدناه تعالى أثنى على الجدال بالحق وأمر به، فعلمنا يقيناً أن الذي أمر به غير الذي نهى عنه بلا شك، فنظرنا في ذلك لنعلن وجهة الجدال المنهي عنه المذموم، ووجه الجدال المأمور به المحمود، لأنا وجدناهتعالى قد قال: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن..﴾ النحل/١٢٥، فكان تعالى قد أوجب الجدال في هذه الاية، وعلَّم فيها تعالى جميع آداب الجدال كلها، من الرفق والبيان، والتزام الحق، والرجوع إلى ما أوجبته الحجة القاطعة.

ثم قال:وقال الله تعالى:﴿ولا تجادلوا أهل المتاب الإ بالتي هي أحسن الإ الذين ظلموا منهم﴾العنكبوت/٤٦، فأمر عزوجل كما ترى بإيجاب المناظرة في رفق، وبالإنصاف في الجدال وترك التعسف والبذاءة والاستطالة، الإ على من بدأ بئيء من ذلك فيُعارض حينئذ بما ينبغي.

قلت: الجدال الذي يقصده ابن حزم يقصد بهعموم المحاجة والمناظرة وإقامة البينات على الخصم، وهو أمر مطلوب محمود بنص الكتاب والسنة، فهو يتحدث عن الجدال بالمعنى الأعم رداً على من منع المناظرة والمحاجة ممن كان في زمانه كما يفهم من سياق كلامه.

وقد ذكر المفسر الرازي- رحمه الله- أن الجدل هو استعمال الدلائل التي يكون المقصود من ذكرها إلزام الخصوم وإفحامهم، ثم يبين أن الجدل المذموم يكون بذكر الدليل الباطل والطرق الفاسدة، وهذا المنحى لا يليق بأهل الفضل، إنما اللائق بهم هو الجدال بالحسنى، وذلك المراد بقوله تعالى:﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾.وعلى كل حال ينبغي أن نفهم أن الجدل المذموم ما كان غيوَّر محله وصدَّ عن العمل، فعن الأوزاعي، رحمه الله- أنه قال:» بلغني أن الله إذا أراد بقوم شراً ألزمهم الجدل ومنعهم العمل».

This file was downloaded from QuranicThought.com

وهذ أسس الحوار وضوابطه:

١- مخاطبة العقل

حيث أن هدف الحوار هو الإقناع والوصول للحق وتفهم وجهة نظر الآخر، وذلك لا يكون إلا بالاعتماد على الحجة والمنطق، والطلب من الآخرين أستعمال عقولهم والتدبر والتفكر فيما يُدعون إليه بعيداً عن العواطف ونزعات النفس، وهذا هو الشرط الأم في أي حوار بين العقلاء، والنصوص تحاور العقل لأنه القادر وحده – إضافة لأن عقل الانسان- إلى التوصل إلى الحق، لأن عقل الإنسان هو مفتاح مكوناته من نفس وجسد ونوازع خير وشر، ولأن العقل الانساني طريق الوعي المطلوب والبعد عن الخرافة والأساطير واتباع الأعراف دون تفكير.

ومع أن الإنسان مفطور على معرفة اللع تعالى وحب معرفة الحق واتباعه، إلا ان البيئة الفاسدة وشهوات الدنيا وسلطانها قد تحجب عنه نور الفطرة وتجعله يجدال ولا يسلم بسهولة، لهذا كان الحوار العقلي من أجل أن يسلك الإنسان باقتناع إرادة كاملة، وليمون الإيمان والانقياد حالة دائمة، والمتدبر في نصون السنة يجد أن الصبغة العامة فيها هي مخاطبة العقل الذي هو مناط التكليف، وتدل على حرص ال أجل أن يسلك الإنسان باقتناع إرادة كاملة، وليمون الإيمان والانقياد حالة دائمة، والمتدبر في نصون السنة يجد أن الصبغة العامة فيها هي مخاطبة العقل الذي هو مناط التكليف، وتدل على حرص الإسلام على أهمية الإقناع بالمنطق السليم.

وقد دعا القرآن في حواره للمشركين أن يبتعدوا عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالانسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنه قد يخضع للجو الاجتماعي، ويستسلم لا شعورياً مما يفقده استقلاله الفكري، قال تعالى: ﴿قُل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا الله مَثنى وفُرادى ثُم تتفكروا ما بصاحبكم من جِنَّةٍ إن ألا نذير لكم بَين يدي عذاب شديد﴾. سبا/٤٦.

« فقد جعل القرآن الكريم اتهام النبي (ص) بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومة، لذلك دعاهم إلى الانفصال عنهذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء».

وهذه نماذج من نصوص الكتاب والسنة فيها إرشاد لاستعمال الخطاب العقلاني في محاورة الآخر، تدل على أن طريق الاقناع والخطاب العقلاني أساس مهم من أسس الحوار: فمن ذلك : الايات التي تحاور المشتركين وتطلب منهم استعمال عقولهم للنظر في ملكوت الله والاستدلال به على مبدعه تعالى:

مثل قوله:﴿أم خُلقوا من غير شيء أم هم الخالقون...﴾الطور/٣٥.

فهذه الآية تخاطب العقلاء وترشدهم للتدبر والنظر في مسألة الخلق، وهو أن هناك ثلاثة احتمالات فقط، فإما أن يكونوا قد خُلقوا من لا شيء، أو أنهم خلقوا أنفسهم، أو أن لهم خالقاً وهو الله تعالى، والاحتمالان الأولان باطلان فثبت الاحتمال وهو الحق الذي تدل عليه الفطرة ويشهد له الوجود المبدع.

ومنها الآيات التي تُرشد إلى البعد عن التبعية المطلقة والتقليد الأعمى الذي يعني الغاء العقل.

فقد أوضح القرآن الكريم أن الكفار في أنحرافهم عن منهج الله تعالى، ورفضهم لدعوات المصلحين لا متمسك لهم من كتاب أو منطق إنما هو التقليد الاعمى، قال تعالى: ﴿ وإذا قيل لهم ابعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ألقينا آباءنا. أوَلوَ كان أباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾. البقرة / ١٧٠.

وقال تعالى : ﴿ بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أُمة وإنا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أُمة وإنا على آثارهم مقتدون ، قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾.الزخرف/٢٢-٢٤.

فهنا نجد أن القرآن الكريم يخاطب عقولهم ويدعوهم إلى التفكر في منهجهم القائم على التقليد وليس الاقتناع، وأن وأجبهم احترام عقولهم واحترام المنطق والحجة وما ينفعهم في الدنيا والاخرة وليس العصبية والتقليد الاعمى. « وهذا يدل على العقل والمنطق، ولذا كان من أهم شروط صحة الايمان بالله تعالى وما يتبعه من أمور اعتقادية أن يقوم على أساس من اليقين والفكر الحر دون أدنى تأثر بأي عرف أو تقليد».

وهذه نماذج من نصوص السنة فيها إرشاد لاستعمال الخطاب العقلاني أساس مهم من أسس الحوار:

This file was downloaded from QuranicThought.com

ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده، عن أبي أمامه- رضي الله عنه- « أن غلاماً شاباً أتى النبي (ص) فقال: يا رسول اله أتاذن لي في الزنا؟ فصاح الناس، فقال (ص) قرّبوه، أذنُ، فدنا حتى جلس بين يديه

فقال(ص: أتحبُّه لأمك ؟

فقال: لا، جعلني الله فداك.

فقال(ص): «كذلك الناس لا تحبه لأمهاتهم» أتحبه لأختك؟

قال:لا.

قال: كذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم، وذكر العمة والخالة، وهو يقول :لا، جعلني الله فداك، وهو يقول:» زكذلك الناس لا يحبونه»، ثم وضع رسول الهه (ص) يده على صدره وقال:» اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه»، فلم يكن شيء أبغض إليه منه- يعني الزنا.

هذا الحوار النبوي في توجيه الشاب المذكور يعدُّ معلماً تربوياً دعوياً وأسلوباً حكيماً في توجيه الشباب إيثار الإقناع العقلي في معرفة الصحيح من الخطأ في التصرفات، مع ربط ذلك بسنن المجتمع وأعراف الناس، وإيقاظ في النفس بعث الشهامة والغيرة في النفس، ثم أيقاظ حب العدالة في التصرفات بطريقة إقناعية:

(أتحبه لأمك؟) (أتحبه لأختك؟).

فقد عزف النبي هنا عن اسلوب الوعظ المباشر أو النهي الجازم إلى الحوار الهادىء الذي خاطب فيه عقله، وقلبه حتى أيقن رجوعة إلى رشده مع التلطف بالسائل ومداراته، وهكذا ينبغي على كل داعية أن يتوقعمثل هذه الاسئلة سواء ممن يجهل الاسلام أم ممن لا يقيم وزناً لأحكام الله، فالكل بحاجة لحوار والاقناع العقلي، والتذكير بأسس الخير والعدالة والشهامة.

٢- ومن ذلك ما أخرجه الترمذي في جامعة عن: عمران بن حُصين- رضي الله عنه- قال: قال النبي (ص) لأبي: يا حُصين كم تعبد اليوم إلهاً؟

قال أبي: سبعة، ستاً في الارض وواحداً في السماء.

قال: فأيهم تُعدّ لرغبتك ورهبتك ؟

قال: الذي في السماء.

قال: يا حُصين، أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين تنفعاك.

وهنا نجد النبي الكريم (ص) قد خاطب عقل هذا المخاطب الذي لم يسلم بعد وما زال على وثنية، وأرشده إلى أن الأصل في العبادة أن تكون لمن ينفع أو يضر هو على كل شيء قدير، دون تلك الآله الارضية المصنوعة من الحجارة أو التمر وما شابه ذلك، فهي لا تجدي نفعاً عندما تحزبهالامور، وهو تذكير له بإن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية، فما دام أن الذي في السماء هو الذي تعبده لرهبتك ورغبتك فهو حقيق بأن توجه له العبادة الخالصة .

فانظر إلى عقلانية الخطاب، دون أن يكون هناك تسفيه او تحقير، فالمهم هو أن تصل إلى عقل المخاطب وقلبه لينقاد للحق بكامل إرادته، ولينطلق بعد ذلك في فهم دينه والتحمس له عن رغبة وحماس داخلي، فلله الحمد على نعمة الإيمان ونعمة الرسالة التي كرّمت العقل الانساني، وكرمت النفس الانسانية، وصدق الله إذ يقول: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾الإسراء/٧.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الإسلام والعلاقة مع الآخر

قراءة في الأبعاد واستشراف المستقبل

الدكتورة مريم آيت أحمد

أستاذة العقائد والأديان المقارنة ورئيسة وحدة حوار الحضارات في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة ابن طفيل - القنيطرة / المغرب

إن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح شديد، في ظل التحديات التي تواجهها أمتنا العربية والإسلامية عالمياً، يتمحور حول صورة الإسلام والمسلمين في الوعي الغربي، فما الذي غير صورة العالم الإسلامي، من عالم كان ملاذاً حقيقياً للخائفين، الهاربين من بطش وجبروت، وتنكيل وإرهاب الغزاة، وقضاة محاكم التفسيق، إلى أن أصبح اليوم وكراً ومخبأ وحضناً للإرهاب، ومفرخة للعناصر الإرهابية ؟

من المؤكد أن هناك التباس في المفاهيم والمعايير المزدوجة الجديدة، التي غيبت حقيقة التاريخ، وموهت معطياته التي لا زالت شاهدة بديناميكية الإسلام الفاعلة في أكبر توفير حماية وأمن للآخر (أهل الكتاب)، وشاهدة على أن حماية الانفس والأعراض والأموال والعقائد، ودور العبادة من كنائس وأديرة، وبقع كانت جزءاً من نظام التشريع الدولة الإسلامية.

إن الحقائق اليوم تتغير بالنسبة للآخر، وللتذكير بأن عرب إسبانيا كانوا متسامحين مع المسيحيين واليهود، بحمونهم تحت سقف دولتهم في متوهات اختاروها لأنفسهم عندما نكّل بهم من قبل أبناء ملتهم. أو بأن صلاح الدين عندما فتح القدس كان أكثر رحمة بالمسيحيين منهم بالمسلمين عند ما فتحوها، ولا عن المعاهدة العمرية في حق أهل القدس، أو معاهدات وفد نجران، أو دستور الصحيفة الذي أسس لأول ميثاق تعاقدي يضم جميع مكونات المجتمع بمختلف انتماءاته العقدية وتشكيلاته المذهبية والعرقية، فكل هذه الأمور حقيقة جسدت على الأرض الواقع عملياً، لكن في العالم الإسلامي اليوم توجد أنظمة أصولية ودينية لا يتسامح معها الغرب.

فهم إرهابيون لكن لا أحد يستطيع إزعاج قضاة الحكم على الإسلام والمسلمين، وتذكيرهم بالإرهاب والمذابح التي قام بها الفرنسيون في سان بارطليميو، ولا الإبادات للهنود الحمر

This file was downloaded from QuranicThought.com

التي تمت على أيدي الأمريكيين، والمستعمرات الإسبانية في الكاريبي التي أحرقتها سفن بريطانيا. فالتاريخ اليوم يرفض القول عن هؤلاء بأنهم متوحشون برابرة، إرهابيون.

أعتقد أن المعركة ضد الإسلام في الغرب قائمة ولها أنصارها من المتطرفين، الذين جعلوا من الإسلام حالة مرضية فوبيائية (إسلاموفوبيا) غير أنها معركة لا يتبناها الغرب كله، فكما يوجد لنا أعداء يوجد أيضاً دعاة حوار، معتدلون متعاطفون مع قضايانا الإنسانية.

وعلى هذا الأساس لا يمكن تحديد مفهوم علاقتنا بالآخر (الغرب بمكوناته الفكرية والثقافية ومنظومته السياسية، والاقتصادية، والدينية) في ظل تغيب المفاهيم التي تعكس الصورة الأساسية لثقافة علاقة الغرب/ بالآخر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر جملة من هذه المفاهيم: العقل الآري في مقابل العقل السامي، والعالم الأول في مقابل العالم الثالث، الرجل الأبيض في مقابل البربري الهمجي، النظام العالمي الجديد في مقابل النظام العالمي القديم، محور الخير في مقابل محور الشر، وأخيرا نظام العولمة كواقع اقتصادي واجتماعي وثقافي، يغير عن طموحات ومصالح وتوجهات الغرب باعتباره مركز الذات البشرية في مقابل الشعوب الأخرى غير الغربية، والعالم الإسلامي جزء منها، باعتبارهم مراكز للتبعية والرضوخ والاستسلام للأمر الواقع.

وفي هذا الإطار يمكن القول أن أطروحة نهاية التاريخ المعبرة عن قمة تمركز الغرب حول الذات، تفسّر أن واقع الغرب الثقافي والتاريخي والحضاري لم يتشكل في (إثبات ذاته) إلا من خلال تشويه صورة الآخر وإقصائه ونفيه.

إن أطروحة العولمة ونهاية التاريخ وغيرها من المفاهيم الغربية، تعتبر من وجهة نظر ذاتية أسطورة الكمال المزعوم، التي ابتدعها الغرب لتحقيق مصالحه من أجل نفي الآخر وتعميق تبعيته وأحكام احتوائه.

إن هذا المنطلق الذي فرضته الثقافة الغربية، ينبغي أن نتجاوزه في وعينا وممارستنا الإسلامية في التعامل مع الآخر، لأن الإنسانية واحدة لا تتجزأ، ولأن القرآن يخاطب الإنسان في كل زمان ومكان. لقد وضع الإسلام الآخر في مأزق ليس برسم الحداثة التاريخية، بل بوصفه ديناً يتميز بالممانعة والعصيان على الترويض، ثم إن موقعه من الناحية الجيوستراتيجية يمثل أهم ثروة للطاقة، لا يمكن للحداثة وتقنياتها أن تقوم بدونها، وبالتالي فهو مطالب أن يبقى يعيش على هامشها من غير أدنى مستويات الشراكة في معطياتها. ومن هنا يجب أن نؤكد (أننا في العالم العربي والإسلامي اليوم بحاجة إلى فكر نقدي تأصيلي يثبت للعالم أن التراث الغربي الأمريكي ليس بالتراث الإنساني العام، وإنما هو محض فكر لعنف موجه أملته بيئته وفقاً لشروط تاريخية غرسته).

فكل ثقافة مهما كانت عظمتها تبقى رهينة لنتاج الواقع الذي ساهم في تشكيلها، الشيء الذي يجعل الثقافة العربية المسيحية في عصرنا الراهن تفتخربإرثها الحضاري الروماني واليوناني واليهودي.

لقد بات من الضروري اليوم وأكثر من أي وقت مضى أن نتخذ موقفاً نقدياً مزدوجاً (مراجعة العلاقة مع الذات، ومراجعة العلاقة مع الآخر)، بما يسمح لنا إعادة صياغة رؤية جديدة لذاتنا في حدود ما تسمح به قوانين التاريخ، وما تدعو إليه قيم العقل وفي حدود أمة العدالة والوسطية التي شرفنا الله تعالى بها.

إننا اليوم وإزاء التحديات المطروحة أحوج ما نكون على مستوى الداخل العربي الإسلامي، أو مستوى العلاقة مع الأمم والشعوب الأخرى إلى إبراز مبادىء العدالة والوسطية في الإسلام، ليس من الناحية النظرية بعرض فضائل الإسلام، وإنما من خلال تقديم نماذج تطبيقية عملية ملموسة على أرض الواقع. فهناك بون شاسع بين ما نسوقه من أبعاد إنسانية حقوقية رفيعة المستوى نظرياً وتاريخياً، وبين ما هو قائم من تخلف عن تلك القيم، وتغييب لتلك المثل العليا في واقعنا المعاش، مما يساهم حتماً في تشويه صورتنا من الداخل والخارج.

فالضرورة الدينية والحضارية تفرض علينا عدم الاكتفاء بالحديث عن أخلاق الإسلام عدالة، ووسطية، وتسامحاً، ورحمة، وحقوقاً....، وإنما تلزمنا بضرورة ربط الواقع عملياً بهذه القيم الإنسانية الكبرى التي نستعرضها، ولكي نمارس هذه المسؤولية فإننا بحاجة أولاً إلى ضرورة تثبيت السلم المجتمعي وإرساء دعائم حقيقية للحوار مع الذات، قبل

This file was downloaded from QuranicThought.com

الحديث عن العلاقة مع الآخر في إطار السلم الدولي.

وذلك يعني أن أي خلل يصيب العلاقة مع الذات سينعكس سلباً على عموم الحياة المجتمعية الداخلية، مما سيؤدي حتماً إلى تدهور مصداقيتنا مع الآخر. إن دروس التاريخ الإنساني علمتنا أن إلغاء الآخر ونبذه، لا يحافظ على مصالح الذات ومكتسباتها، وإنما يزج بالجميع في دائرة لا متناهية من العنف والإقصاء، لا تتوقف إلا بحروب تدميرية تبيد وتسحق الذات والآخر.

لهذا ينبغي أن نستفيد من دروس التاريخ، ونستشعر القيمة الحضارية التي بلورها القرآن الكريم، من خلال تأسيسه لنمط العلاقة الحضارية مع الآخر في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

ثوابت العلاقة مع الآخر:

إن السياج القوي الذي يحافظ على متانة العلاقة مع الآخر، ويجعله ثابتاً من ثوابت الواقع المعاش، هو وجود منظومة أخلاقية تسد باب كل النوازع النفسية الشاذة، لذلك حثّ رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه على تطوير مستوى العلاقة الروحية مع الآخر، وإنزالها من أبراج الصوامع والبيع والأديرة إلى ساحة الواقع المجتمعي، معتمداً في ذلك على خطاب الباري تعالى الموجه للناس في العديد من آيات القرآن (يا أيها الناس) وهو خطاب شامل لكل حيثيات الحركة الإنسانية على امتداد التاريخ والمجتمع، حيث أوجدت آداب دينية، وغير دينية، وإيمان وفلسفة، وفنون وصناعة، وأسطورة، وعدل...

وبطبيعة الحال لا يمكننا إعادة بناء العلاقة مع الآخر كما اعتمدتها الرؤية الإسلامية الوسطية على مستوى الممارسة والتطبيق العملي، إلا من خلال إنشاء مشاريع لبرامج عمل تطور من واقعنا الذي يعتمد على التأصيل النظري والتاريخي لقيم التسامح والحوار والحقوق، والعمل على تأهيل البنيان النفسي والفكري لمجتمعاتنا للتكيف الإيجابي مع هذه المشاريع، ويمكن تحديد بعض المقترحات كالآتي:

١. ضرورة الكشف عن البُعد الحضاري للفكر الإسلامي، لأن هذا الكشف يُجسد المضمون الحضاري للأمة مع هضم معطيات الآخر الحضاري، وتفادي السقوط في النزعة الانبهارية، أو النزعة التهوينية، لأن التعامل الانبهاري مع الغرب/الآخر، قد أساء إلى الذات العربية الإسلامية كذات مبدعة وفعالة.

٢. بلورة استراتيجية عربية وإسلامية متكاملة للاستفادة من منجزات ثقافة العصر، والعمل على توفير مستلزمات الحضور العربي الفعال المنتج في مسيرة هذه المنجزات العالمية، أو على الأقل ضرورة استيعاب وتمثل الجوانب العلمية والتقنية الأساسية الكفيلة بربط الاتصال مع العالم.

٣. صياغة خطط واعية لتمتين وحدتنا الاجتماعية والوطنية في مواجهة تحديات الفترة الراهنة، وذلك ببناء نظام علاقات داخلية بين مكونات الذات على أسس أخلاقية ودينية ووطنية، تمكننا من إزاحة كل العناصر المسيئة للعلاقة الإيجابية بين مكونات المجتمع والوطن الواحد.

٤. الانخراط في مشاريع الإصلاح الثقافي والفكري، والتواصل بين الذات، بإزالة الحواجز النفسية والأحقاد الإيديولوجية التي تحول دون التلاقي، والتفاهم والاحترام المتبادل.

٥. إحياء مشروع إصلاحي ثقافي، يرتكز على أسس أكثر عدلاً ووسطية ومساواة وتسامحاً واعترافاً بالآخر، واحتراماً لكل أشكال التنوع داخل محيطنا الاجتماعي.

٦. صياغة المفهوم الوسطي في التاريخ العلمي العربي والإسلامي، بشكل يعيد قراءة الذات وفق القاعدة الإسلامية العامة في العلاقات الاجتماعية (عامل الناس بمثل ما تحب أن يعاملوك به)

٧. ضرورة توحيد الاتجاه بين النظرية والتطبيق، وإنشاء مراكز أبحاث ودراسات استراتيجية، سواء عبر المبادرات الفردية والأعمال الجماعية، تعنى بإغناء الفضاء الفكري الإسلامي ببحوث ومؤلفات تحدد المسافة الموضوعية بين الآراء والمعتقدات.

٨. ضرورة الاحتفاظ بتوازن الرؤية الإسلامية الوسطية في التعامل مع الآخر، وتطوير مناهجنا بناء على قاعدة أن جلب المنفعة هو سبيل ضروري لدفع الضرر. فمناهجنا اليوم تقوم إلى حد كبير على دفع الضرر، وهذا يُكرّس

This file was downloaded from QuranicThought.com

الإحساس بالترقب والضعف والتخوف والارتباك والدونية، لذا يجب أن تركز مناهجنا المعاصرة على ضرورة ربط دفع الضرر بجلب المصلحة (فلا ضرر ولا ضرار في الإسلام) كما ركزت دائماً قواعد الفقه الإسلامي.

٩ضرورة استيعاب مختلف التجارب التاريخية للعلاقة مع الآخر/الغير، واستنطاقها وتحليل مضامينها لتحصيل فهم أعمق لمعانيها، واستشراف آفاق مستقبلية أوسع تنظم علاقاتنا مع الإنسانية بأكملها، شعوباً وأمماً، وأجناساً وألواناً، وديانات وثقافات وحضارات.

١٠. ضرورة الالتزام بمبدأ الوسطية والشهادة على الناس من موقع احترام المبادئ الإسلامية الثابتة، التي تفسح المجال لخيارات متعددة الآراء، وعلى كافة المستويات ليتميز من خلالها الفارق الجوهري بين المبدئية الوسطية في صناعة الحاضر والتحلي بالواقعية لاستشراف المستقبل، وبين ثقافة التبرير الوسطي لخيارات الضعف المحكومة بقيم ومعايير تتداول في فضاءات مواسم تلميع مفاهيم الإرث الثقافي والحضاري لأمتنا الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. الكتاب المقدس
٣. ابن رشد، فصل المقال وتقرير ما بين الشريعة والحكماء من الاتصال. تحقيق ألبير نصري نادر، بيروت: دار الشروق، ط ٣، ١٩٧٣.
٤. إبن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة. دار القلم، بيروت: إلطبعة الأولى، ١٩٧٨.
٥. إبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام. تحقيق احمد غراب، الرياض: دار الأصالة للثقافة ط/١، ١٩٨٨.
٦. ابو حامد الغزإلى، إحياء علوم الدين. تقديم بدوي طبانة، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية
٧. ابن عاشور، اصول النظام الاجتماعي في الإسلام. ط/ تونس، ١٩٦٤.
٨. شهاب الدين القرافي، الفروق.
٩. ادب الإختلاف في الإسلام، ابحاث الندوة التي عقدتها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالتعاون مع جامعة الزيتونة، ٢٠٠١م.
١٠. عبد السلام محمد الطويل، توظيف غير علمي لمصطلح علمي (التاريخ). مجلة الفيصل المملكة العربية السعودية ع ٢٧٧ / ١٩٩٩.
١١. جوزيف فوجت، نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان. ترجمة دمينرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة/مصر، ١٩٩٩.
١٢. ذاكرا آل جيل، الآخر بوصفه مفهوماً حول طبقة تشكل مفهوم الآخر في الوعي الإنساني، ص١٢٣، مجلة الكلمة، العدد ٤٠، س ١٠، ٢٠٠٣.
١٣. روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.
١٤. عدنان بن ذريل، الفكر الوجودي عبر مصطلحه. منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ١٩٨٥م.
١٥. الماوردي، ادب الدين والدنيا، تحقيق: مصطفي السقا، مكة دار الباز للنشر، ط/١٩٧٨، ٢
١٦. محمد محفوظ، ثقوب في الوعي الاجتماعي – تحديات في عالم معاصر –، مجلة الكلمة، ع ٤٠، ٢٠٠٣.
١٧. مصطفي حلمي، مناهج البحث في العلوم الإنسانية، دار الدعوة، مصر، ط/٢، ١٩٨١.
١٨. المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، مصر: عالم الكتب، بيروت،١٩٧٩.
١٩. محمد عمارة، مرتكزات التعايش بين الأديان. مجلة قضايا إسلامية معاصرة، س٧، عدد ٢٢، ٢٠٠٣.
20- 20 claude delarmas. histoire de la civilisation europenne puf p 5 france 1964

This file was downloaded from QuranicThought.com

في تجديد خطابنا النسوي المعاصر

د. فريال العلي
عضو منتدى الوسطية للفكر والثقافة

بعد أحداث الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٠١ دخل العالم في دوامة عنيفة من الصراعات أدت إلى تداعيات خطيرة استهدفت العرب والمسلمين – بصورة أساسية- مما أوقع حكوماتنا في أزمات داخلية وخارجية غير مسبوقة نتيجة ضغط المجتمع الدولي عليها من الخارج؛ ممثلا بالولايات المتحدة الأمريكية ومن خلفها قوى الضغط الاقتصادية من جانب، والتوترات الداخلية في كل الدول العربية والإسلامية - بلا استثناء – من جانب آخر، وإن تفاوتت حدتها بين دولة وأخرى، وصار لزاما على تلك الدول أن تعيد النظر في بنيتها الثقافية جوهريا بعد أن فشلت المشاريع السياسية والاقتصادية في تحقيق أهدافها، ولم تعد المؤسسة الدينية الراديكالية مقنعة في الكثير من طروحاتها الفكرية. وهكذا يجد العرب والمسلمون أنفسهم اليوم لا على مفترق طرق بل على حافة الهاوية، وسيغدو السقوط حتميا ما لم نقف على نقطة توازن حقيقية تستند إلى ثوابت محددة قادرة على استيعاب وتيرة التحولات السريعة التي يشهدها العالم، والتي ما عدنا قادرين – لو أردنا – على الانفصال عنها بأي صورة من الصور.

ولما كانت المرأة من أهم لبنات البنية الثقافية في أي مجتمع إنساني، فإن مراجعة الخطاب الثقافي الصادر عنها أو الموجه إليها من الخطوات المهمة التي ينبغي الالتفات إليها عند صياغة أي مشروع فكري، ولا سيما وسط هذا الصخب الإعلامي الاستعراضي وما يفرزه من تنميط مبالغ فيه لصورة المرأة العربية المسلمة اليوم سلبًا وإيجابًا.

الخطاب النسوي/ إشكالية المصطلح

يدور مصطلح الخطاب النسوي على ألسنة المفكرين والباحثين والمبدعين والكتّاب – في عالمنا العربي المسلم – دون اتفاق بينهم على ماهية هذا الخطاب؛ إذ يستخدمه بعض المعنيين بهذا الشأن في الدلالة على الخطاب الذي تنتجه المرأة ويصب في صميم قضاياها الخاصة، وقد يوسعه بعضهم ليشمل كل إنتاج المرأة الخطابي بصرف النظر عن مضامينه، ويذهب آخرون إلى التعامل مع هذا المصطلح بتوسيع دائرة المنتِج ليشمل الرجال والنساء معًا وتضييق دائرة المنتَج ليوجه نحو قضايا المرأة فقط، وإن كان التركيز عند هؤلاء جميعا – في الغالب – على الخطاب المكتوب دون كبير اعتناء بالخطاب الشفهي رغم خطورته وأهميته. وهكذا فإن ضبابية المصطلح – ابتداء- يسبّب تضاربًا في الدلالات والمقاصد والأهداف؛ مما يؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة، ويقلل من قدرة الخطاب على إحداث التغيير المنشود والتقدم بالمرأة خطوة جديدة إلى الأمام.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ومع عدم وجود تعريف جامع مانع لهذا المصطلح، فإن الخطاب الذي تراجعه هذه المقالة هو الخطاب المنتَج حول قضايا المرأة العربية المسلمة بصرف النظر عن جنس منتجِه وهويته وعقيدته وانتماءاته؛ بشقيه المكتوب والشفهي.

الخطاب النسوي قبل مئة عام

يعد كتابا قاسم أمين « تحرر المرأة » و « المرأة الجديدة » أول خطاب فكري مكتوب يتناول قضايا المرأة في العصر الحديث، ورغم تناقض وجهات النظر حولهما - أحيانًا - بين مؤيد شديد الإعجاب ومعارض شديد الامتعاض، إلا أنه من الملاحظ أن أكثر المتصدين للحديث عن فكر قاسم أمين قرؤوه من خلال رؤيتهم الخاصة وواقعنا اليوم، ولم يحاولوا وضع خطابه في بوتقته الأصيلة التي انبثقت عنه، بل بالغ البعض باتهامه بأنه السبب فيما آلت إليه حال المرأة، وتسقّطت إلى أذهانهم الكثير من الأوهام، ونسبت إليه آراء ليست له.

ومع كل ما أثاره مشروعه من ردود فعل متباينة في زمنه إلي يومنا هذا، إلا أن هذا المشروع كان من المشاريع المهمة التي شكلت انعطافة حقيقية في حياة المرأة، ومكّنها من نيل حقّها في التعليم والعمل، وهذان أمران كفيلان بالحكم على نجاحه، ومهّد لظهور مشاريع أكثر جرأة على امتداد القرن العشرين.

الخطاب النسوي بعد مئة عام

مما لا شك فيه أن الخطاب النسوي في الألفية الجديدة هو خطاب متراكم منذ القرن الماضي، ومع أنه حقّق للمرأة الكثير من المكتسبات إلا أنه يعاني من إشكاليات عدة تعيق تقدّمه وتحدّ من تأثيره وتشعر بقلّة جدواه، وقد ينتهي صداه لحظة انتهاء مؤتمر أو محاضرة أو ورشة عمل أو كتاب أو برنامج إعلامي.

ويدور الخطاب النسوي المعاصر حول ثلاثة محاور أساسية، هي: المساواة بين الرجل والمرأة، ومنح المرأة الحرية الكاملة في إدارة مختلف شؤون حياتها، ومشاركة المرأة في الحياة السياسية.

وهم المساواة

لعل فكرة المساواة بين الرجل والمرأة استنزفت من الوقت والجهد ما يشعر بالحزن، لا لأن المساواة وهم محض، بل لأننا أضعنا مئة عام في تأكيد ما هو بدهي في المساواة بينهما في الاعتبار الإنساني الذي أقره الله – عز وجل – منذ بدء الخليقة، واعترفت به الشرائع السماوية، وإن كان مثل هذا الطرح مقبولا في بدايات القرن الماضي وأمتنا تفيق من نومة أهل الكهف التي أقصتها عن الإسهام في الحضارة الإنسانية قبل أن نتحدث عن أي إقصاء متعمد أو عفوي للمرأة، إلا أن الوعي المتشكل اليوم ينبغي أن لا يلتفت إلى هذه مثل هذه الأفكار العقيمة التي لم نجنِ منها سوى التخندق – رجالا ونساء – أمام بعضنا بعضا، نتبادل تراشق الاتهامات، ونعطل طاقاتنا التي نحتاج إلى كل ذرة منها للخروج من أزمتنا الحضارية، ونظل ندور في حلقة مفرغة دون أن يغلب طرف الآخر أو يجني ثمار هذه المعركة الخاسرة قبل أن تبدأ، ومن الأجدى لنا جميعا إيقاف هذه اللعبة، والالتفات إلى احتياجات المرأة ومطالبها بمعزل عن هذه الثنائية الضدية المعيقة للحصول على أي مكتسبات جديدة.

أعطني حريتي

لا يقل سؤال الحرية جدلا عن سؤال المساواة، ومع مرونة هذا المصطلح واتساع مدلولاته، إلا أنه – مهما كانت ماهيته – فإنه عصي على التحقق على أرض الواقع مع انهيار المنظومة المجتمعية بمختلف أبعادها، ولا يمكن أن يحظى طرف بالحرية دون سائر الأطراف، ثم إن المرأة ليست كلا متكاملا تنطبق عليه أحكام عامة؛ إذ تبدو مسألة حرية المرأة نسبية بين الدول، بل بين أقاليم الدولة الواحدة، وإطلاق الأحكام جزافا ليس من الحكمة في شيء، وعلى المرأة – قبل غيرها – أن تقدّر قيمة المكتسبات التي حققتها في هذا المجال وتحافظ عليها، وتسعى لإضافة مكتسبات حقيقية واقعية إليها، وتتخلص من الأوهام والخرافات التي علقت بذهنها جراء نظرتها الانطباعية المغلوطة إلى وضع المرأة في الغرب، فلكل مشكلاتها ومعوقاتها، كما أن مطالبها الملحة بالمساواة دفعها إلى البحث عن نمط مشابه للحرية الظاهرة التي يتمتع بها الرجل، ناسية أو متناسية حجم القيود التي يرزح تحتها هو الآخر، ومن أخطر ما غلّف فكرة حرية المرأة في وقتنا الحالي بعض الدعوات الليبرالية التي تنادي بحرية المرأة الجنسية في دين ومجتمع يحرّمان ذلك بدعوى أن الكثير من الرجال يتمتعون بهذه الحرية، وكأن على المرأة أن تجرّ أو تنساق وراء كل سلوك للرجل قويما كان أم سقيما !

This file was downloaded from QuranicThought.com

السياسة عبر الكوتا

تحاول بعض الدول العربية والإسلامية اليوم إشراك المرأة في الحياة السياسية من خلال تخصيص مقاعد لها في البرلمانات أو المجالس البلدية، وقد يبدو الأمر مقبولا لكثير من المنظرين الواقعيين الذين يرون استحالة وصول النساء من خلال التنافس المباشر، وليست هذه هي المشكلة – من وجهة نظري- إذ ليس المهم أن تصل المرأة بأي وسيلة، الأهم ماذا قبل ذلك وبعده ؟

ما يلاحظ في نمط انخراط المرأة في الحياة السياسية في الكثير من الدول – باستثناء تلك التي تتمتع بخبرة طويلة في العمل النسائي السياسي – جاء بدوافع خارجية على الأغلب، لم تخضع المرأة قبله إلى المران السياسي المطلوب والخبرة اللازمة، بل ربما تصل المرأة إلى مجلس التشريع وهي لا تعرف المادة الأولى من دستور بلدها، وتترك بعد ذلك إلى جهودها الفردية أو جهود بعض المناصرين لها لتتعلم كيف تقف على قدميها، لكنها لو امتلكت الخبرة السياسية اللازمة، وأعطيت وقتا كافيا للتدرب واكتساب الخبرة خلف الكواليس حتى يصلب عودها، ستقدم نفسها نموذجا مقنعا يدفع الآخرين إلى انتخابها دون مظلة الكوتا التي لا تتذكر المرأة إلا قبل الانتخابات بمدة يسيرة لا تكفي للقيام بشيء حقيقي، هذا مع الأخذ بعين الاعتبار أن عزوف المرأة عن المشاركة في الحياة السياسية ليس - بالضرورة - مؤشرا على التخلّف، فقد يكون هذا العزوف نتيجة تفهمها لشروط اللعبة السياسية التي لا ترغب أو لا تستطيع الالتزام بها، أو عدم ميل للحياة السياسية، وهذا لا يضير الكثير من الرجال الذين لا يلتفتون إلى الشأن السياسي، فلماذا تعلو الأصوات محتجة على غياب المرأة عن تلك الساحة ؟

خطابات متجاذبة

يعاني الخطاب النسوي المعاصر – ابتداء- من تجاذب متناقض بين أطراف مختلفة تدعي أنها الأقدر على الاعتناء باحتياجات المرأة، لكن ماذا يمكن أن يقدم هؤلاء للمرأة ؟ ومن منهم يمكن أن يتقدم بها خطوة جديدة إلى الأمام ؟

قد تبدو الإجابة عن هذه الأسئلة سهلة ما دمنا نمتلك عقلا تبريريا تسويغيا تلفيقيا قادرا على أن يجعل أي طرف من الأطراف (صوابا) وغيره (خطأ)، لكن الأمر أعقد من ذلك بكثير، ويحتاج إلى تكاتف جهود المؤسسات والأفراد لتأسيس خطاب يستند إلى منهج علمي وسطي هادئ مستنير بعيدا عن الخطابة الفجة أو الطروحات الحالمة.

كيف نجدد خطابنا ؟

ابتداء ينبغي أن ينطلق الخطاب من حقيقة أن المرأة المنتجة أو المستقبلة له هي امرأة مسلمة يمتاز دينها بأنه لا ينفصل عن حياتها، وبذلك نخفف من حدة التناقض الملموس في الخطاب الحالي ، وأولى خطوات التجديد أن يقوم أهل الفقه بمراجعة شرعية لقضايا المرأة في ضوء الشريعة الإسلامية، ويبرزوا ثوابت الأحكام الفقهية التي لا تحتمل التأويل أو اختلاف وجهات النظر ويقرّها، ويخلصوها من بعض الأوهام التي تطرح على أنها من الثوابت ويعيدوا صياغتها لتناسب مستجدات العصر الذي نعيشه كي لا نبدو كأننا قادمين من كوكب آخر، وهذا سيساعد في الحد من عبث العابثين وتطفل المتطفلين الذين يخرجون بصرعات فقهية ما أنزل الله بها من سلطان.

ويأتي بعد ذلك دور المؤسسة القانونية المدنية لتراجع قوانينها التي يمكن أن تؤدي إلى إلحاق الضرر بإنسانية المرأة وكرامتها وحقوقها، ولنعترف أن ثمة قوانين غير مرنة تعيق إسهام المرأة في بناء نفسها والارتقاء بمجتمعها.

وعندما تشعر المرأة أنها تستظل بظل مؤسسة شرعية قادرة على استيعاب احتياجاتها، وقانونية تسعى لحمايتها، ستوفر طاقاتها المستنزفة لتأصيل خطاب جمعي تحدد فيه حقوقها وواجباتها بعيدا عن صراع المساواة والحرية الذي لم يجد نفعا، وعليها أن لا تتمحور حول ذاتها واحتياجاتها الخاصة، بل تمدّ يدا لتراجع مع الرجل خطابه؛ إذ إنه هو الآخر يعاني مثل ما تعاني من التهميش والإقصاء والتناقض في كثير من الأدوار التي يقوم بها، وكذلك على الرجل أن يكون شريكا حقيقيا غير مجامل للمرأة في إنضاج خطابها، وعليهما معا أن يضعا خطابا مشتركا خاليا من الصراع الجندري للارتقاء بالأمة بتؤدة ووعي؛ إذ لست مع الزاعمين أن علينا أن نعي أن وتيرة الحياة متسارعة وعلينا أن نلحق بها، لأن التغيير لا يتحقق ما لم تنضج المشاريع نضوجا تاما من الداخل قبل أن نمد أيدينا لنتفرع في سماء الإنسانية، وندفع مجتمعنا نحو الأفضل.

This file was downloaded from QuranicThought.com

الوسطية
فصلية - إسلامية - مستقلة

القوامة

بين التأصيل الشرعي والعرف الاجتماعي

مروان أبو صلاح
المملكة الأردنية الهاشمية

يتعامل أغلب المنظرين في قضية قوامة الرجل على المرأة بصورة تلتبس فيها الرؤية بين المعايير الاجتماعية والثقافية الذاتية، ويظهرونها بهيئة تبدو أطرها العامة محاطة بلبوس الشريعة الإسلامية، ضمن رؤية يختلط فيها التفسير الديني مع التأويل الاجتهادي الشخصي المبنيّ على التصور الثقافي الاجتماعي الذي يعيش المجتهد من خلاله، بعيدًا عن التأصيل العلمي المتكامل.

بين النص والتأويل:

ولا يخفى على أحد أن مفهوم القوامة قائم على أساس شرعي يستند إلى الآية الكريمة « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصّالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليًّا كبيرًا » (النساء٣٤) ، ولذلك علينا الانطلاق أساسًا عند الحديث عن القوامة من الآية الكريمة بعد الإعمال فيها فهمًا وإدراكًا.

القوامة في سياقها القرآني

لكي نحسن إدراك الآية الكريمة يتوجب علينا بداية أن نحسن قراءتها ضمن السياق القرآني الذي وردت فيه، اعتمادًا على أن القرآن يفسّر بعضُه بعضًا، ثم نتبيّن الدلالات اللغوية فيها، لاسيّما الدلالات الخاصة بالمفردات ونوع الصيغ الواردة فيها، وذلك لكون اللغة إحدى الدعائم الأساسية للتفسير.

سورة النساء هي من السور المدنيّة التي تنظم العلاقة بين أفراد المجتمع، ابتدأت بالأمر المباشر بالتزام تقوى الله وتوحيد أصل النشأة البشرية، لتنتقل في الآية الثانية إلى تنظيم العلاقة الاقتصادية بين الناس ذكورًا وإناثًا، من مثل تحريم أكل أموال اليتامى(وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبًا) (النساء/٢)، مرورًا بإعطاء النساء حقوقهن المالية، وحجب السفهاء عن أموالهم حتى يرشدوا ويحسنوا التصرف بها كسبًا وإنفاقًا، ومن ثم توزيع الميراث وتبيان الحصص التي يستحقها كل فرد انطلاقًا من نوع العلاقة بالمتوفى وعلى الجنس الذي ينتمي إليه، وهذا التقسيم يعتمد على إقرار نظام عادل تبعًا لحاجات كل فرد وطبيعة دوره ضمن النسيج الاجتماعي القائم في ذلك العصر والذي أقرّ الشرع بوجوده، فأعطى الذّكر مثل نصيب الأنثيين،

This file was downloaded from QuranicThought.com

نظرًا للتكاليف المطلوبة منه تجاه أفراد الأسرة ذاتها.

ويرشدنا الله عز وجل إلى ضرورة الالتزام بهذا التوزيع التكاملي والتفاوتي والتفاضلي ويوجهنا إلى ضرورة القناعة بنصيب كل فرد وحصته، وعدم تمني الاستئثار بنصيب أي طرف على الآخر، أو بحصة أكبر مما قد تحصل، وذلك في قوله تعالى:(ولا تتمنوا ما فضّل الله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله...) (النساء/٣٢)، وتحويل الجهد بدلاً من البكاء على الفرق المفقود إلى تنمية الحصة التي تحصّل عليها، فالله عز وجل يعلمنا بأنه قد فضّل البعض على الآخر في التوزيع وعلى كل فرد أن يسعى إلى تنمية هذا الرزق ضمن قدراته وإمكانياته، وضمن هذا السياق القرآني ذي الأساس الاقتصادي نصل إلى الآية الكريمة (الرجال قوامون على النساء بما فضل...) ليوضح بأن ما اكتسبه الرجال من حصص إضافية لم يتأتَ من رؤية منحازة لنوع على حساب نوع آخر، بل هو تخصيص معلّل بالقيام على أمور النساء ورعايتها، وسياق الآية ينادي: أيها الرجال لا تفرحوا بما قد اكتسبتم، فما هو إلا دخل إضافي يعينكم على الأعباء المترتبة عليكم، وذلك التكليف مرتبط من خلال الباء (بما) التي تفيد معنى السببية والتعليل بما فضل الله بعضكم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم، والنص القرآني يفيد بوضوح إلى أن التفضيل كائن في الحصة الإضافية خلال توزيع الميراث، ولا مجال للتأويل الفضفاض عند الحديث عن معنى التفضيل لأنه وارد صراحة في الآية قبل السابقة من آية القوامة « ولا تتمنوا ما فضّل الله بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن» (النساء/٣٢)، ويستمر النص القرآني في تبيان علّة التشريع السابق خاصة بلزوم إنفاق الرجال على النساء كون النساء صالحات قانتات حافظات للغيب، وهنا نرى القرآن يفسر بعضُه بعضًا.

وهكذا نرى أن السياق العام والتفصيلات الخاصة هي تنظيم اقتصادي للعلاقة بين الذكور والإناث ضمن المؤسسة الأسرية تكسّبًا من الميراث وترتيبًا للحقوق والواجبات.

وهم اختلاف التكوين:

إذا ما أدركنا دلالة النص القرآني ضمن سياقه الاقتصادي نعجب كل العجب من ذهاب البعض إلى الحديث عن اختلافات تكوينية بنائية نفسية سيكولوجية (عدا ما هو متفق عليه من تكوين بيولوجي خاص) حتى تصل بهم خيالاتهم ليصوروها كائنًا ضبابي التفكير، عاجزة عن تدبر أمورها، وعلى التوازي يكون الرجل مخلوقًا مكتمل القدرات والكفايات، اعتمادًا على الآية الكريمة، وذلك بتحميل لفظة (القوامة) ما لا تحتمل من دلالات لغوية! والتي هي بمعانيها المتعددة من العدل والتدبير والرعاية وعماد الأمر الخ... لا تغادر دلالة التنظيم الإداري، ومع أن هذه الدلالة اللغوية تستلزم كفايات ومهارات الإدارة الناجحة من فهم وتقبل وتخطيط ومثابرة، إلا أنها ليست حكرًا على الرجال دون النساء وإن كانت غالبة عليهم لأسباب تعود – غالبًا – إلى التنشئة الاجتماعية وأدوار التنميط الجنسي الذي يبدأ من مرحلة الطفولة حين تقسم الأدوار بين البنت والولد، ليصل إلى الاكتمال ضمن البناء القيميّ الاجتماعي العام.

والدليل على أن النص القرآني لم يعنِ بأي حال تفوق جنس الذكور بوصفه نوعًا (جندرًا) على جنس الإناث هو الصياغة اللغوية الصرفية للفظ الوارد (قوامون) فهي صيغة مبالغة من الجذر قوم، وصيغة المبالغة (كتوظيف لفظي) تفيد الاتصاف على سبيل الكثرة لا الدّيمومة، ودليلنا في ذلك اتصاف الله (عز وجل) بفعل الرحمة لا يتعارض مع كونه شديد العقاب، ولم تستخدم الآية صيغة الصفة المشبهة كونها صيغة تعطي دلالة وصفية لذات محددة بما يوحي بديمومة تلك الصفة وبما يفيد ثباتها، وعليه فالرجال قوّامون على النساء يعني أن أغلب الرجال يقومون بفعل تدبير شؤون نسائهم، وهذا أمر عام نلمسه في العالم أجمع على سبيل غلبة فعل الأكثرية لا حصر ذلك بصفة ملتصقة بنوع، بمعنى أن مجموع الرجال (كنوع بشري) مدبر لمجموع النساء(كنوع أيضًا)، واللفظ (الرجال) مطلق أساسًا على العموم لا على خصوص كل فرد من الرجال، وبالتالي فالآية لا تنفي كون بعض النساء قد تقوم على أمر الرجال، وهو أمر لا يعارضه بحال سياق الآية، ولا طبيعة التجارب البشرية عبر التاريخ، ولا دليل أجلى على ذلك من خولة بنت ثعلبة تلك الصحابية التي قدمت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تجادله في أمر زوجها الذي ظاهَرَها (في قصة المجادلة المعروفة): (إنّ لنا صبية صغارًا، إن

This file was downloaded from QuranicThought.com

ضممتهم إليه ضاعوا، وإن ضممتُهم إليّ جاعوا)، فهي أعمق إدراكًا لدورها في مؤسسة الأسرة وأشدّ حرصًا من رجلها على بقائها متماسكة.

وفعل القوامة الذي ذكره الله عز وجل مبرّرًا لاختلاف أنصبة المواريث ممكن في مرحلة محددة من عمر النوع البشري، وهي مرحلة الرجولة، والتي لا تطلق كصفة لازمة على الذكر إلا بعد مرور سنوات على خلقه ذكرًا، وبعد وصوله إلى سن البلوغ، ومن ثم النضج الجنسي والذهني والثقافي والاجتماعي، وهذا النضج غير ممكن إلا بعد عمليات تأهيل تمارسها الأطر الاجتماعية، فيكون اكتساب صفة الرجولة كوصف ثابت دائم اعترافًا من قبل الأطر الاجتماعية بأهليته في إدارة أمور من حوله.

فاستهلال الآية بوصف مكتسب(الرجال) يعني أن الذكر ليس قيِّمًا على الأنثى ضمن الحال المطلقة المختصة بالفروق العضوية لكل نوع، وهو ما يمتاز عن توزيع الميراث حين أوضح الله (عز وجل) بأن للذكر مثل حظ الأنثيين، وهو ما يشير إلى انتقال الدلالة من الذكورة حال اكتساب الميراث إلى ضرورة إتمام النضج والوصول إلى معيار الرجولة لتحمل الإدارة وتحصّل القوامة.

نظرية التفوق.. تأويل تعسفي

يحلو للبعض(قديمًا وحديثًا) أن ينظّر لتفوق القدرات العقلية لجنس الذكور على جنس الإناث، انطلاقًا من الآية الكريمة، فيكون استدلاله عملية ليّ عنق للنص القرآني، وتحميله ما لا يمكن أن يحتمل لا لغة ولا منطقًا، ولأن نظرية التفوق هذه ذات أبعاد عنصرية ولا تصمد أمام البحث والنقاش العقلي العلمي يحاول مروجوها إلباسها لبوس الدين لتكتسب شرعية نقليّة رافعة، تدعم موقفهم المتهالك، فيلوذون بشرعية وقدسية النص الإلهي ليكتسبوا من قدسيته صحةً لنظريتهم()، وهم بذلك يرهنون النص القرآني لفهمهم الخاص، وهو ما يؤدي إلى تشويه قدسيّة النص حين يساق لمن لا ينطق بالعربية أساسًا أو لمن ينطقون بها دون أن يعوا الأبعاد اللغوية المفصلة للنص المعجز، فينتقل الفهم المغلوط الخاص بأولئك المروجين إلى مناقشيهم، فيكون رد الفعل منهم برفض النص القرآني واتهام القرآن بمخالفة المنطق، ليكونوا حينها قد ارتكبوا خطأً مركبًا أساسه خطأ الاجتهاد ثم الصدّ عن دين الله عن طريق تشويه بعض قِيَمه.

وقد يكون توظيف الآية الكريمة شخصيًّا من الزوج حال الجدال بين الأزواج، وذلك بدافع تبرير أفعاله وتصرفاته الذاتية، فيتعلل الزوج بالقوامة لإثبات صحة قراراته المتخذة، دون أن يقبل محاكمة قراراته بتجرد عن مصدرها! وهو سلوك أقرب ما يكون لآليّة دفاع هروبية، لينوء بنفسه عن محاكمة قراراته بمنطق الفاعلية والصواب المستقل عن مصدر هذه القرارات، أي بمعزل عن كونها صادرة عن الرجل القوّام! بدليل النص القرآني.

وهذا الفهم لدلالة القوامة والنأي به عن التأويل التعسفي لا يعني بأي حال القبول بفكرة تنصل المرأة من قوامة رَجُلها عليها، فهو فعل مبرر ضمن منطق السبب والنتيجة، فالرجل لا يكون زوجًا إلا إن كان مؤهلاً لهذا الدور، ومرجعية هذا الحكم منوط بمدى تأهل الرجل له ومواءمته مع سماته، والحكم على مدى توفره هو في الأساس بيد امرأته وأهلها، حين يقبلون به خلال الخطبة، فالمرأة حين تتزوج تقبل ضمنًا وصراحة بمن تنظر إليه نظرة تقدير واعتزاز واعتراف بالأهلية والكفاية، وتعاشره على هذا الأساس، وبهذا فالقوامة على الأسرة هي نتيجة مكتسبة لسبب قد قدمه الرجل ولقي القبول عليه، وتحمل في سبيله البذل والإنفاق والجهد، واكتسب على أساسه دورًا إداريًا، يضمن ولايته على شؤون بيته، وعليه فلا يجوز لمن قبل القوامة أصلاً أن يرفضها في مراحل لاحقة، فالقوامة من أسس بناء الأسرة السليمة والنيل منها يكون نيلاً من الصفو والسكينة في هذه الأسرة وإذكاءً لروح التصارع والتفكك فيها، فالأصل بالمرأة أن تتقبل القوامة عليها طالما قبلت ببقائها ضمن مؤسستها الأسرية، على أن يبقى ضمن حقوقها حق الانسحاب من هذه المؤسسة بصورة كاملة إن شاءت، ضمن النظام الشرعي للخلع.

القوامة .. رؤية استراتيجية

قوامة الرجل على شؤون بيته مفهوم استراتيجي عام يخضع لمجموعة الارتباطات القيميّة المختلفة، والتي تضيق وتتسع تبعًا لمصادر القيم التي يحتكم إليها أفراد الأسرة، فمصادر القيم متعددة، من أهمها الأسرة والأقران والإطار

This file was downloaded from QuranicThought.com

الثقافي المحكوم بالوضع الاقتصادي والاجتماعي العام، فالرجل والمرأة يتذكران طبيعة الأدوار التي وجدا أبويهما عليها خلال طفولتهم، ويراقبان أقرانهما من أخوة وأصدقاء ومعارف، ويتحاكمان لمنظومة من التقاليد المتوافقة مع الوضع الاقتصادي الخاص بهم، وهم مع كل ما سبق يمتلكان حُكمًا على تلك الأدوار إما قبولاً أو نفورًا لتلك القيم، وبالتالي فالحدود الضابطة للقوامة فضفاضة، ولم يُعْنَ التشريع الإسلامي بتحجيمها على مقاس محدد، عدا ما هو مضبوط بتشريع مستقل، فالتمازج بين ما هو حكم شرعي وما هو توافق اجتماعي قد جعل البعض يتوقفون عند ما أقره الإسلام ضمن حكم المباح فيعدوا ما سواه واقعا تحت حكم غير الجائز، وذلك لأنه يخالف ما أقره الإسلام حال نزوله، متناسين أن ما أقره الإسلام من أعراف وتقاليد كونها مباحة لا يمنع من كون أعراف وتقاليد أخرى لأقوام في أماكن أو أزمنة أخرى مباحة أيضًا، وبالطبع ما لم تكن ممنوعة بتشريع مستقل.

وهذا ما نفسر به اختلاف رؤية علمائنا الأجلاء خلال القرون والعقود الماضية لشكل علاقة الرجل بالمرأة، وهو اختلاف نقبل باستيعابه وتفهمه إلا حين يبادر البعض لإلباس العادات والأعراف والقيم الاجتماعية عباءة التشريع الإسلامي، عندها نقف ونقول: مهلاً، ما هو من الله (عز وجل) فهو من الله خالقنا وبارئنا، وما هو من عند أنفسنا وعاداتنا وما توارثناه فهو من عندنا، نفتخر به إن استحق الافتخار غير أننا لا نلزم به أحدًا.

وهذه السعة في تقبل الاختلافات الاجتماعية والنأي بها عن قدسية التشريع هي سر المبدأ الذي يضمن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

This file was downloaded from QuranicThought.com

ملتقى الفتاة

برعاية وزير الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية الأستاذ عبد الفتاح صلاح أقام منتدى الوسطية للفكر والثقافة حفل إشهار ملتقى فتاة الوسطية قاعة مسجد الشهيد الملك عبدالله للمؤتمرات في العبدلي، بحضور أكثر من أربعمئة ضيف من محافظات العاصمة والسلط وإربد والرمثا والشونة الجنوبية ومادبا والكرك.

وألقى عطوفة المهندس مروان الفاعوري رئيس المنتدى كلمة ترحيبة أكد فيها أن» منهج الوسطية ليس بضاعة أجنبية – ولا سلعة للمتاجرة – بل هو المنهج الذي تلتقي عليه الأمة بمفكريها وعلمائها وتياراتها الفكرية رجالاً ونساءً لتجدد الولاء لدينها ونبيها – كما أراد الله وكما بلغ رسوله صلى الله عليه وسلم «. وأضاف : « لقد جاء انطلاق ملتقى الفتاة ليؤكد مسؤولية المرأة في مواجهة التطرف والغلو وتصحيح الصورة النطية السلبية عن المرأة المسلمة، والحد من مظاهر التسيب والتساهل التي باتت تغزو مجتمعنا «.

ثمّ قدمت الدكتورة فريال العلي – رئيسة الملتقى ومنسقة شؤون المرأة في المنتدى – عرضًا تقديميا تناول فكرة تأسيس منتدى الوسطية وأبرز نشاطاته المنجزة والقادمة، وأعلنت عن فكرة تأسيس المنتدى العالمي للوسطية. ثم عرضت لفكرة تأسيس ملتقى فتاة الوسطية ورسالته ورؤيته وأهدافه ومنطلقات عمله والآليات والوسائل التي ستتبع لتنفيذ هذه الأهداف، وحثت الفتيات على المشاركة والتفاعل مع هذا الملتقى الذي يحمل الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل، ويقمن بأدوارهن المتوقعة في خدمة دينهن ووطنهن ومجتمعهن.

وشاركت في إلقاء الكلمات السيدة اعتدال العبادي مديرة مديرية الشؤون النسائية بوزارة الأوقاف، كما ألقت الدكتورة أروى الشوشي قصيدة المنتدى، واختتم الاحتفال بأناشيد إسلامية لفرقة مودة للفنون.

وشارك ملتقى فتاة الوسطية بورشة تدريبة عنوانها : « تدريب المدربين الشباب « للشباب والشابات الناشطين في المجالات السياسية والاجتماعية، وعنيت لدورة بتدريب الشباب والشابات على استقطاب نظرائهم والتواصل معهم للعمل في الحملات الانتخابية، وقد عقدت الدورة بتاريخ ٢٠٠٧/٨/١١ في فندق Century Park بعمان.

بالتعاون بين منتدى الوسطية للفكر والثقافة وجمعية المصورين العرب عقد ملتقى فتاة الوسطية دورة تدريبية في التصوير الفوتغرافي بمشاركة عدد من فتيات الملتقى، وأشرف عليها المصور سقراط قاحوش، وفي نهاية الدورة منحت المشاركات شهادات من جمعية المصورين العرب.

بدعوة من ملتقى فتاة الوسطية قدمت السيدة « أمل بدر « محاضرة بعنوان : « تطوير مهارات التفكير « ، وذلك مساء يوم الخميس ٢٠٠٧/٨/٢٣ في مقر المنتدى بحضور جمع من سيدات المجتمع المدني وأعضاء الملتقى، وقدمت الندوة وأدارت الحوار الدكتورة فريال العلي رئيسة الملتقي ومنسقة شؤون المرأة في المنتدى.

بمشاركة عدد من فتيات الملتقى عقدت دورة تدريبة في « إدارة الاجتماعات « يومي الأحد والاثنين ٢٦-٢٧ /٨/ ٢٠٠٧ في مقر المنتدى في الجبيهة.

وعقدت دورة تدريبة في « مهارات الاتصال الاجتماعي» من ٢٩-٣٠/٨/ ٢٠٠٧ في مقر المنتدى.

This file was downloaded from QuranicThought.com

THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المنتدى العالمي للوسطية يسعى إلى إحداث تغيير في العقل ومنطلقات تفكير المسلم

قال المنسق العام لمنتدى العالمي للوسطية المهندس مروان الفاعوري أن المنتدى العالمي للوسطية : منتدى عالمي ومقره المملكة الاردنية الهاشمية تأسيس وانطلق كمؤسسة دولية لعلماء ومفكري الأمة تسمى بـ (المنتدى العالمي للوسطية) وذلك من أجل حشد الطاقات الفكرية والعلمية للعلماء والمفكرين والسياسيين الذين يتبنون الوسطية الإسلامية فكراً وممارسة، وذلك بهدف إشاعة منهج التوازن والاعتدال في منهج الإسلام والدعوة إليه والدفاع عنه، بوصفه منهجاً يمثل التيار الأصيل في ثقافة الأمة، وعبر عصور التاريخ وليس طارئاً فرضته الظروف أو أملته الحوادث التي تمر بها وتتعرض لها الأمة الإسلامية اليوم، وإن من مهمات هذا المنتدى الوقوف في وجه الهجمة التي يتعرض لها الإسلام من الخارج، إلى جانب تصحيح جميع صور الانحراف في فهمه في الداخل.

وقد جاء تأسيسه بناءاً على ما تمّ من توصيات في المؤتمر الدولي الأول الذي عقده منتدى الوسطية للفكر والثقافة في عمان في عام ٢٠٠٤م بعنوان (وسطية الإسلام بين الفكر والممارسة)، والمؤتمر الدولي الثاني الذي عقده منتدى الوسطية للفكر والثقافة بعنوان (الدور العملي لتيار الوسطية في الإصلاح ونهضة الأمة) في عمان في عام ٢٠٠٦م.

واشار الفاعوري بان المنتدى تأسس بعد للوقوف بوجهه التطرف و الغلو بعد ان أخذ أبعاداً مختلفة في العصر الحديث. فقد أدت حالة الضعف و الهوان التي يعيشها العالم الإسلامي إلى التفكير و الاجتهاد في فقه جديد و هو فقه يدور حول كيفية الخروج بالعالم الإسلامي من أزمته الراهنة، والصعود به إلى المكانة اللائقة، و إنقاذ المسلمين من حالة التخلف و التردي التي تكبلهم و تحول دون تقدمهم.

وأضاف: بدلا من العمل على تحريك عجلة التنمية في العالم الإسلامي ليتمكن من اللحاق بالعالم، و يتمكن من أن يتسلح بأسلحة العصر من علوم و صناعة و حضارة تقود به إلى القوة و المنعة، فإن فريقا بدد الجهود في محاولة للتنصل من الهوية الإسلامية للمجتمع معتقدا أن الاستعاضة عنها بالهوية الغربية هو أقصر طريق للتقدم و الرقي، و قدم هذا الفريق نماذج للتطرف السلوكي و الفكري الذي يصطدم مع دين المجتمع و هويته، واتجه فريق أخر ينقب في الماضي و يلتقط منه استخلاصات من أقوال سابقة كانت تتلاءم و

This file was downloaded from QuranicThought.com

ظروف عصرها و بيئتها، لكنها إن كان يجوز دراستها كروائع في التاريخ الإسلامي، فإنه لا يجوز التعويل عليها في صناعة وقود كصحوة دينية تنتشل العالم الإسلامي من حالته الراهنة باعتبار أن لكل عصر ظروفه ولكل زمن أحواله التي تتغير باعتبارها الاجتهادات المعاصرة.

وأكد الفاعوري على أن العوامل السابقة أدت إلى نقل صورة خاطئة عن الإسلام إلى غير المسلمين، فمع تسليمنا بان بعض ما ينشر عن الإسلام في الخارج مغرض و ينطلق من أهداف غير مشروعة، إلا أن ما يقدمه المسلمون أنفسهم، تحت عباءة الإسلام، وباسم المسلمين لا يقل خطورة كيد الخصوم ومكر الاعداء. لذلك باتت الحاجة الماسة إلى إبراز الوجه الحقيقي للإسلام، الذي يتسم بالسماحة و الاعتدال جناحا الوسطية.

وحول أهداف المنتدى أوضح « الفاعوري « أن المنتدى العالمي للوسطية يهدف إلى:

١. ترسيخ مفاهيم الوسطية الإسلامية بين أبناء الأمة ومؤسساتها، وتعزيز قدرة الأمة على القيام بدورها الحضاري من خلال وسطيتها.
٢. نشر رسالة الإسلام الإنسانية والتعريف بها بين الأمم والشعوب.
٣. التصدي لمشكلات الأمة وتقديم التصورات والبرامج والحلول لتجاوزها من خلال الرؤية الوسطية الإسلامية.
٤. تعزيز قيم الحرية والعدالة وكافة حقوق الإنسان، والدفاع عنها وذلك باعتبارها من أسس الوسطية الإسلامية.
٥. الدعوة إلى التسامح والحوار ونبذ العنف بين الأمم والشعوب، وذلك عن طريق توسيع دائرة التواصل والحوار.
٦. معالجة ظواهر الغلو والتطرف من خلال التعريف بسماحة الإسلام والحوار والإقناع.
٧. تعزيز دور المرأة المسلمة في بناء المجتمع من خلال مساهمتها في أوجه النشاطات المختلفة.
٨. إقامة أصرة تعاون وإلتقاء وتشاور وتكامل بين كافة القوى والشخصيات الإسلامية.
٩. لعمل على إنشاء مؤسسة متخصصة تنضج الأفكار والبرامج الوسطية، وتتكامل مع المشاريع الإسلامية المطروحة، وتحقق للأمة مادة علمية وإعلامية ذات مصداقية موثوقة
١٠. العمل على الحفاظ على الهوية الإسلامية للأمة لتبقى دائماً أمة وسطاً، شاهدة على الناس، آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر، بعيدة عن الإفراط والتفريط.
١١. العمل بجميع الوسائل المشروعة لمواجهة التيارات الهدامة والدعوات المعادية للإسلام، والأخطار الثقافية داخلية كانت أم خارجية، بنشر الفكر الإسلامي المعتدل.
١٢. العمل على توحيد قوى الأمة بمختلف مذاهبها واتجاهاتها، وتوحيد جهود العلماء ومواقفهم الفكرية والعلمية في قضايا الأمة الكبرى، لتواجه التحديات صفاً واحداً، وتحريم تكفير المسلم لأخيه المسلم من اتباع المذاهب الأخرى.
١٣. العمل على إنشاء مرصد لجمع ونشر الفتاوى الجامعة للأمة من منظور الوسطية والاعتدال.

استراتيجية المنتدى:

وحول استراتيجية المنتدى ورؤيته أكد « الفاعوري « أن المنتدى يسعى من خلال الرؤية الاستراتيجية التي يعمل في ضوئها لأن تكون الوسطية مصنع الإنتاج الفكري الرشيد، وقاعدة السلوك العملي القويم، الوسطية الجامعة لفقه النص وفقه الواقع وصولاً للتدافع الحضاري المدني للمجتمعات الاسلامية خاصة والانسانية والبشرية عامة.

وإلى إحداث تغيير في العقل المسلم المعاصر، ومنطلقات تفكيره في كل القضايا والتصورات والسلوك العام والفردي،والتدبير المستقبلي واليومي وكل ما يتعلق بشئونه في دينه ودنياه ونظرته إلى الآخر وسبل التعايش معه من خلال منظور إسلامي ينطلق من وسطية الإسلام واعتداله دون إفراط او تفريط ولكي تتحقق هذه النقلة النوعية فلا يمكن الاكتفاء بالفعل الانفعالي الخطابي الذي يقف عند حد التأثر العاطفي دون الاعتماد على تخطيط مدروس أو رؤية عميقة لواقع أمتنا الإسلامية ولذلك يتعين أن يتجاوز العلاج الوسطي لعلل فكرنا المعاصر أعراض المرض وتاثيراته، وأن يمتد هذا

This file was downloaded from QuranicThought.com

العلاج لمسبباته والبيئة المواتية لوجوده واستفحاله ومن ثم حرص المنتدى العالمي للوسطية على تحقيق رؤية استراتيجية محددة يعمل على تحقيقها من خلال برامجه ومشروعاته.

وأجاب عن سؤال رؤية المنتدى العالمي المستقبلية:

ايجاد عمل إسلامي مُجَدِد ومتجدد في خدمة الدين الإسلامي، والإسهام في إقامة حضارة عالمية عادلة متوازنة غايتها المثلى االعدالة الانسانية.

وإيجاد مسلم معاصر، مرتبط بالأصل،ومتصل بالعصر يتمسك بدينه بلا غلو، ويعمل لدنياه بلا إسراف، يتحلى بالوسطية في كافة شئونه الدينية والدنيوية، ومستجدات واقعه المعاصر وينطلق من الوسطية في بناء مجتمعه، وتحديد أنماط سلوكه، وضبط علاقاته، وإدارة شئون حياته».

منطلقات المنتدى العالمي للوسطية:

لعل أهم منطلقات المنتدى العالمي للوسطية هو تكاملها وتناسق لمواجهة ظاهرة التطرف لترباط الوثيق بين مجالي عمل كل من استراتيجيات مواجهة ظاهرة التطرف واستراتيجية المنتدى العالمي الوسطية.

وتنطلق هذه الرؤية أيضا من رغبة أكيدة في أحداث تغييرات تؤدي إلى نشر الوسطية، وذلك بعمق يمتد إلى التشكيل الوجداني والفكري والنفسي للمسلمين ومنطلقاً لمعايير سلوكهم وحكمهم على الأشخاص والأحداث، والأشياء، وبشمولية تتسع مداها لتشمل الأنماط الفردية، والتفكير الجمعي.

وتنطلق هذه الرؤية من حقيقة علمية تتمثل في أن إحداث أي تغيير عميق في الشخصية الإسلامية، يمتد إلى منهج التفكير، وامتداد هذا التغيير إلى الممارسات الحياتية، لا يمكن أن يكتب له النجاح إلا من خلال نشاط متكاتف ومتعاون، تقتنع به كافة القوى الفاعلة في المجتمع المسلم، وتتفهم دورها في أدائه، وتتحمس في أداء هذا الدور، ويعمل الجميع في ظل دعم سياسي قوي، يوجه ويشجع، ويكافأ ويعاقب.

وعمق النظرة إلى التغيير الذي يتطلبه الوصول للرؤية، فإن كافة منظمات العالم الإسلامي مطالبة بالمشاركة فيه، بل إن التغير للوصول إلى هذه الرؤية يتناول ثقافة هذه المنظمات فضلاً عن أهدافها ونظمها القانونية واللائحية، إذ يجب ان تخلو –تماماً– مما يتناقض مع المنهج الوسطي، في تشكيلاتها وأهدافها ونظم العمل فيها، والسلوكيات المحسوبة عليها.

وفي سؤال آخر عن الوسائل التي سيقوم بها المنتدى للوصول إلى هدفه:

أشار « الفاعوري » الى ان المنتدى العالمي يسلك لتحقيق أهدافه جميع الوسائل المشروعة، وذلك من خلال الوسائل الآتية:

١. الخطاب التثقيفي المباشر للمسلمين تصحيحاً للمفاهيم والمواقف وفقاً لتعاليم الإسلام الحنيف، وذلك بالنشر في وسائل الإعلام كافة، والحديث من خلال الإذاعات المسموعة والمرئية، والبث عبر شبكة المعلومات والاتصالات الدولية.

٢. التواصل مع القادة المسلمين، وأصحاب القرار السياسي وذوي التأثير، والقادرين على توجيه الرأي العام بالحكمة والكلمة الطيبة، بما يدفعهم إلى الوقوف في الصف الإسلامي العام، ويبين لهم مواطن الخطر على الأمة وعلى هويتها ومصالحها المتنوعة، والدور الإيجابي المأمول منهم.

٣. التوعية المستمرة بالقضايا والأحداث المهمة ذات العلاقة بالإسلام والمسلمين، واتخاذ الموقف المناسب من كل منها.

٤. الحوار مع التيارات الثقافية، والمذاهب الفكرية، والتجمعات السياسية الموجودة في الساحة الإسلامية، أياً كان توجهها، حواراً يرمي إلى تجلية موقف الإسلام، والفكر الإسلامي، من مجال اهتمام كل منها ونطاق عملها.

٥. التعاون مع المنظمات الدولية والمنظمات غير الحكومية العاملة في مختلف المجالات التوعية بقضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان.

٦. عقد المؤتمرات والندوات العلمية لمناقشة القضايا ذات العلاقة بالإسلام والمسلمين، وبلورة رأي عام إسلامي حولها.

This file was downloaded from QuranicThought.com

٧. ترجمة الأدبيات المعززة للوسطية من العربية للغات الأخرى، ومن اللغات الأخرى للعربية.

أما عن التوجهات والأهداف الاستراتيجية لتحقيق أهداف المنتدى فقد أجاب المهندس الفاعوري:

أشار « الفاعوري » إلى أنه نظراً لتشعب متطلبات تنفيذ الهدف الاستراتيجي للمنتدى، واتساع مساحة التخصصات التي يتطلبه هذا التنفيذ، وارتباطها بمجالات عمل كثيرة، فإن المحاور الذي ستعتمد عليها استراتيجية المنتدى لتغيير ثقافة المجتمع المسلم لتعزيز الوسطية، وتغيير ثقافة الأفراد والمنظمات لتكون الوسطية منهجاً، دائماً ومستقراً، لتفكيرهم وسلوكهم، يحتاج إلى عمل دؤوب في عدة محاورة هي:

١- في مجال تعميق مفهوم الوسطية:

(أ) استخلاص مفهوم الوسطية في الإسلام، ومعاييره وضوابطه الشرعية، وانعكاسات هذا المفهوم على سلوك الأفراد والجماعة.

(ب) إعادة صياغة الخطاب الإسلامي ليكون انعكاساً للوسطية الإسلامية وفقاً للمفهوم السابق مع التركيز على انعكاسات هذه الوسطية، على فكر الفرد والجماعة وسلوكهما وذلك في جميع مناحي الحياة بدأ من العلاقة مع الله سبحانه وتعالى والعلاقة مع النفس والأسرة...الخ، إلى العلاقة مع الغير جنسا أو ديانة أو مذهباً أو عرقاً أو قبيلة أو رأيا.

(ج) نشر هذا الخطاب الإسلامي على أوسع نطاق وإعداد صياغات مختلفة المستوى له مع وحدة المضمون، وذلك لمراعاة خصائص كل فئة من فئات المجتمع.

(د) التركيز في الأنشطة والمناسبات الإسلامية على نشر الوسطية، وإعداد برامج جذابة لترجمة هذه الوسطية من مجرد تجريد نظري، إلى سلوك عملي.

٢- في مجال الدعوة:

تعزيز الانفتاح الدعوى على التراث العقلاني والتراث الإنساني الغربي، والعرف غير المتصادم مع الإسلام عند شعوبنا وتعزيز تواجدنا في مؤسسات المجتمع المدني و تعميق التصالح مع التراث الديمقراطي فكرة وتنظيماً.

٣- في المجال التربوي:

بث مفهوم الوسطية في المناهج والأنشطة المدرسية، سواء من خلال الحديث المباشر عنها للتعرف بها وتطبيقاتها في مناحي الحياة لمختلفة، أو بطريق غير مباشر بتقديم السلوكيات والاختيارات التي تكون تعبيراً عن الوسطية، والترغيب فيها، والحث على السير على هداها، وتقديم نماذج من شخصيات تاريخية، أو قيادات عالمية ورموز اجتماعية، ممن ينالون احترام وتقدير النشأ، وبيان أوجه تميزهم، سواء في التفكير أو السلوك الذي يكون نابعاً من الوسطية.

٤- في مجال البحث العلمي والإنتاج الفكري والفني:

للثقافة أدواتها الهامة في العالم الإسلامي ويتعين أن تكون هذه الأدوات الثقافية، وسيلة للتعريف بثقافة الوسطية، وانعكاساتها، وذلك بما يتوافق وطبيعة كل أداة ثقافية، ومستوى جمهورها، ولا يجب التقليل من أهمية بعض الأدوات الثقافية ما دام لها من يتفاعل معها ويتأثر بها، ويتعين التركيز، في هذا المجال، على الأدوات الثقافية الخاصة بفئتي الأطفال والشباب، أو التي تكون محور اهتمامهم باعتبارهم أكثر الفئات المستهدفة أهمية، في هذا المجال.

دعم مساحة الائتلاف بين ثقافة الإسلام وثقافة الغرب أولاً و إعداد ودعم الروائيين والفنانين والسينمائيين الدعاة والرعاية العلمية لتخريج المتفوقين من شبابنا المسلم كصفوة عالمية وقائدة للتغيير و إنشاء معهد للسنيما الإسلامية المتوازنة.

وتنقية كتب التراث، التي يتم تداولها، من التأثير المباشر على مفهوم الوسطية الإسلامية وذلك إما بالإشارة إلى ما في هذه الكتب من أوجه الغلو فيها، أو تحجيم تداولها على المتخصصين.

٥- في مجال الإعلام والتواصل والعلاقات العامة:

تقوية تواصلنا المؤثر مع المحيط المحلي والعربي والإسلامي والدولي وتدريب كوادرنا الإعلامية بالفضائيات والإذاعات والصحف والإنترنت و إنتاج البرامج الإعلامية وتسويقها للفضائيات و تقوية العلاقات مع مكونات الحقل الديني الشعبي

This file was downloaded from QuranicThought.com

والرسمي ومع الأقليات المسلمة في الغرب والشرق.

وإعادة صياغة أسس العمل الإعلامي وذلك بالدعوة للوسطية منهجاً وسلوكاً، وبثها في مختلف المواد الإعلامية، مع استخدام كافة الوسائل المتاحة لتوجيه الفكر، الفردي والجماعي، إلى التحلي بالوسطية والنأي عن أي فكر أو سلوك أو عمل يستند إلى الغلو والتطرف والتشدد والإفراط، أو يكون مستند إلى التساهل والتسيب والتشبه بالآخرين والتفريط، مع الحرص على تقديم نماذج تكون صوراً ذهنية، مرغوبا فيها، لمن يتسمون بالسماحة في حياتهم، لاسيما من الرموز الإسلامية التاريخية والمعاصرة، وتقديم برامج إعلامية متنوعة عن انعكاسات الوسطية على السلوك العام والسلوك الخاص، وتأثيراتها الإيجابية لتحسين ظروف الحياة، وتوفير المناخ الملائم لتعايش اجتماعي سلمي بين كافة فئات المجتمع.

٦- في المجال الاجتماعي:

إعداد وتهيئة الأسرة المسلمة، وتدريبها على كيفية توفير البيئة الأسرية الصالحة لتنشأة الأبناء على فكر وسلوك الوسطية الإسلامية، على اعتبار أن الأسرة هي المدرسة الأولى، والأكثر أهمية، التي يستقي منها النشأ سماتهم وأنماط تفكيرهم لاسيما وأن المتخصصين في الشئون التربوية يؤكدون على الأهمية القصوى للسبع سنين الأولى في حياة الطفل من حيث تكوينه الوجداني.

ويتطلب ذلك بالطبع أن تعيش الأسرة، فكراً وسلوكاً، في إطار الوسطية، عارفة بها، ومدربة عليها، ومقتنعة بها، ونشطة في إطارها، مما يلقي على الأجهزة العاملة في مجالات الفكر والثقافة والإعلام والتربية الإسلامية بمبدأ المشاركة مع الجهات المعنية في العالم الإسلامي بشئون الأسرة، في تجنيد كل طاقاتها، لتقديم الدعم والعون للأسرة المسلمة لتعيمق هذا الفكر والسلوك لديها، ومد يد العون لها في معالجة أي مشكلات أو تذليل أي عقابات قد تواجهها.

٧- في مجال المعلومات:

لهذا المحور دور رئيسي، وهام، لنجاح المنتدى وتحقيق أهدافه، لأنه يوفر لكافة الأجهزة العاملة في مجال تنفيذها معلومات موثقة عن كل ما يرتبط بالاستراتيجية، وتحليلها، واستخلاص مؤشراتها وتزويد الأجهزة بها، كما يرصد حركة التغيير، في فكر وسلوك الأفراد والجماعات في ضوء تنفيذ الاستراتيجية، ويرصد كذلك التيارات الثقافية والفكرية الوافدة، أو التي من المحتمل أن تفد، وتأثيراتها المتوقعة على الجهود التي بذلت، أو تبذل، في تنفيذ الاستراتيجية.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

الوسيط في الحضارة الاسلامية

د. فايز الربيع / الأردن
د. عماد الدين خليل / العراق

الحضارة الاسلامية ليست من الحضارات التي سادت ثم بادت، ولم يبق منها الاّ رسمها، انها الحضارة، التي توجّت الدنيا بلغتها، ونقشت على الزمان أسمها، إنها الحضارة التي ارتبطت بمرجعية سددّت خطاها وأعادت توازن عناصر الوجود من خلال هذه المرجعية، الانسان – الكون – الحياة، وارتباطهما بالخالق عز وجّل.

ولإن معظم الكتب التي تتحدث عن الحضارة الاسلامية تحدثت عنها من خلال نتاجها، الأمر الذي يطرح سؤاليين كبيرين لدى من ينظر الى ظواهر الأمور، ما قيمة هذا النتاج بالقياس الى ما وصلت اليه البشرية الأن من تّقدم مادّي، وهل الحضارة فقط هي نتاج مادّي. وما هو الفرق بين نتاج الحضارة الذي هو ثمار تكبر وتصغر على مدى الأيام، وبين اصولها وارتباطها بهذا النتاج.

لهذا السبب وللحديث عن الحضارة من زاوية أخرى كان هذا الكتاب الذي تناول اولاً الإطار الفكري والمرجعي للحضارة الاسلامية من خلال الحيث عن المنطلقات والتصورات والمرتكزات ويركز على النقلة الجديدة، النقلة التصّورية الاعتقادية، والنقلة المنهجية والنقلة المعرفية، ويرسم صورة للجواب على سؤال كبير لماذا تأخر النتاج المادي للحضارة الاسلامية، بما اسميناه التعليق المؤقت في أعادة ترتيب الأولويات، اذ أن الأولوية كانت للنقلة التصويرية الاعتقادية ومن ثم كانت النقلة المنهجية مما هو واضح لأثر المنهاج دائماً في ضبط الايقاع الحضاري ثم كانت النقلة المعرفية تباعاً للنقلة التصويرية والنقلة المنهجية.

ثم جاء الفصل الذي يليه ليتحدث عن قضية في غاية الأهمية وهي قضية المفاهيم والمصطلحات. إذ يجب أن نتذكر أن ميدان الصراع المفاهيمي هو من أخطر ميادين الصراع على مر التاريخ، والقرآن الكريم ضبط لنا قضية المفاهيم الكبرى حتى لا يتيه مع ركام الفلسفات القديمة ومفاهيمها عن الانسان والدين والخالق والكون والحياة. وبناء عليه استطعنا في هذا الفصل أن نؤسس لمنهج كيف نتبع المفهوم سيرة وواقعاً. إذ أنّ المفهوم عبارة عن شجرة لها بذرة، وأرض، ولها ثمار، ويمكننا القول أن له تاريخ ميلاد ومسيرة ينتقل من خلالها، وعليه عالجنا مفاهيم الحضارة والمدينة والثقافة والأصالة

This file was downloaded from QuranicThought.com

والمعاصرة والجاهلية والتقدّم، والعبوديّة، والبداوة، وفرقنا في الأطار الحضاري من المفهوم المادي والمعنوي في الحضارة وبيناّ أن الثقافة غالباً ما تكون ماركة مسجّلة لأمة من الأمم بها تتمايز عن الأمم الاخرى، وقلنا باجتهاد أن المدينة هي تطبيق نتاج الحضارة في الحياة، ولعّل هذا الفصل هو من أخطر ما يمكن الحديث منه في تاريخ الاسلام وتاريخ المسلمين، وقلنا إن تاريخ الاسلامهو التطابق بين الفكرة والتطبيق العملي وتاريخ المسلمين هو حركة المسلم عبر التاريخ خطاّ وصواباً.

ثم انتقلنا الى فصل يتعلق بنظريات نشوء الحضارات وقلنا أن لا توجد نظرية واحدة ممكن أن تستوعب ذلك وحتى نكون موضوعيين في البحث عرضنا لنظريات مختلفة رأسمالية غربية، وماركسية واشتراكية وإسلاّمية مركزية على قانونية التاريخ وهي أن حركة التاريخ لا تسير اعتباطاً وانما وفق قوانيين كما التقطها ابن خلدون من خلال قراءته للقرآن الكريم، ولعّل هذا الفصل ايضاً من الفصول التي ركزت على لجانب الفكري الحضاري ووضحنا أن النظرية الاسلامية قد ركزت على جانب تصحيح مفهوم العلاقة مع الكون وانها ليست علاقة صراع كما صورتها الحضارة اليونانية، والتي انتقلت فيما بعد الى الحضارة الأوربية المعاصرة. إن علاقة اكتشاف ومؤانسة وأن مهمة الانسان الاساسية هي عمارة هذا الكون، ضمن هذا التصور الآلهي، وإذا لم يقم بهذه المهمّة فقد قصّر في مفهوم الأستخلاف الذي اؤتمن عليه عندما أشهد الله الملائكة (واذ قال ربك للملائكة إنيّ جاعل في الأرض خليفة...). فالكون والانسان مخلوقات لرب واحد ويسجدان لهذا الخالق (وأي من شئ الاّ يسبح ربك ولكن لا تفقهون تسبيحهم...).

ثم جاء الترتيب المنطقي للفصل الذي يليه والذي وضعناه تحت عنوان لمحات من الأنجاز الحضاري اذ لا يمكن لكتاب واحد ولا مجلدات أن تستوعب هذا النتاج الذي ملأ رفوف المكتبات عبر التاريخ وقلنا أن (يجب أن يُنظر الى الانتاج المادي عبر التاريخ ضمن البعدين المكاني والزماني) إذ لا يمكن أن نجري مقارنة بين الانتاج الحضاري للمسلمين قبل سبعة قرون او أكثر وبين النتاج المادي الحال، ستكون الهوّة في المقارنة كبيرة، وضربنا مثالاً على ذلك عند الحديث عن اكتشاف الورق، او الطباعة، او البارود، ومن ما وصل اليه العلم الحديث في هذا المجال، فالمقارنة مكانية وزمانية، وكوب ماء في الصحراء، لا شك أن قيمتة اكبر بكثير، عندما تصل نهر ماء، ويتوافر الماء.

ومعذلك فالمسلمون اسسوّا الكثير من العلوم النظرية والمادية بمنتهى الرقي العلمي، ومستويات البحث، وكان نتاجهم هو الجسر الذي عبرت عليه اوروبا حضارتها المادية عبر الاندلس وصقلية وغيرها من مراكز الاحتكاك الحضاري.

وقلنا أن الحضارات تتكامل عندما تعترف بوجود بعضها وتتعاون، وهكذا فعل المسلمون، وتتصارع عندما يراد لحضارة أن تفرض حاوّيتها على الكون، وتكون هي مصدر الفكرة والمادة قسراً أو طوعاً.

اما الفصول التالية فقد تحدثت عن الاسباب التي أدت الى تدهور الحضارة الاسلامية، وهي اسباب موضوعية مرتبطة بحياة المسلمين وفكرهم وعطائهم وورثهم التاريخي.

ثم تحدثنا عن مستقبل الحضارة الاسلامية وبيناّ أن لهذه الحضارة مستقبل مرتبط باعادة الأعتبار للعقل المسلم وتكوينه، كما هو مرتبط بالأسباب الفكرية لضبط ايقاع هذه الحضارة، فالمسلمون الأن لديهم إسهامات وابداعات في كل المجالات، ولكنها إسهامات فردّية، لم ترقى الى مستوى تكوين واجهة حضارية إسلامية وحتى تكون لا بّد أن يتم تبينهّا على مستوى دولة أو مؤسسة ضخمة، لديها الأمكانات والأسهام هنا ليس فقط هو الاسهام المادي وانما ايضاً هو الاسهام الفكري، مركزي على قضية تراكم المعرفة البشرية وأن الحضارة لا تبدأ من نقطة وإنما هي عملية تراكمية متصلّة عبر التاريخ وحياة الانسان.

لقد حاولنا في هذا الكتاب أن نشيع الأمل بامكانية استئناف حضارة إسلامية على مستوى ما في العالم ورغم عدائية او صراع الأخرين إذ في الوقت الذي نعترف فيه بخصوصية الأخرين وبالاختلاف في كل مناحي الحياة وعبر المسيرة الحضاري، ونؤكد أن هذا الحق الذي نعترف فيه للآخرين، يجب أن يعترفوا لنا فيه. ويبقى هذا الكتاب مساهمة متواضعة في الإطار العلمي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وقفية الأمير غازي للفكر القرآني
PRINCE GHAZI TRUST FOR QUR'ANIC THOUGHT

المسلمون في الولايات المتحدة
الواقع والتحديات

عبيدة فارس
عضو منتدى الوسطية للفكر والثقافة

رغم أن نسبة المسلمين من إجمالي عدد السكان في الولايات المتحدة لا تزيد عن ٢,٥٪، إلاّ أن حضور المسلمين يزداد يوماً بعد يوم في مجمل الحياة الأمريكية، كما أن الإسلام كموضوع يحتل موقعاً متقدماً في قائمة الموضوعات التي تثير اهتمام الأمريكيين، وتستغرق مساحات واسعة في وسائل الإعلام الأمريكية. ورغم ارتباط هذا الاهتمام في جزء كبير منه بأحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلاّ أن هذا الاهتمام لم ينحصر في جوانب سلبية فقط، حيث شهدت الولايات المتحدة خلال السنوات التي تلت هذه الأحداث حملات إعلامية وسياسية، وبرامج متنوعة لزيادة وعي المواطنين الأمريكيين بالإسلام من جهة، وحملات مقابلة للانفتاح على المسلمين في خارج الولايات المتحدة، وفي فتح قنوات للحوار والتواصل مع المسلمين في داخلها.

ويمكن أن نلحظ ذلك في البرامج التي تنظمها وزارة الخارجية الأمريكية، والبيت الأبيض، من قبيل اللقاءات الدورية التي يعقدها الرئيس الأمريكي مع الجالية المسلمة هناك. وقد انتهى الأمر بالبيت الأبيض إلى الإعلان عن تعيين مبعوث خاص إلى منظمة المؤتمر الإسلامي، حيث وصف الرئيس الأمريكي جورج بوش هذا التعيين بأنه «يظهر للمجتمعات الإسلامية اهتمامنا بالحوار القائم على الاحترام والصداقة المستمرة»، وجاء الإعلان تعيين هذا المبعوث في الخطاب الذي ألقاه الرئيس بوش في المركز الإسلامي بواشنطن لمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس المركز في ٢٧ حزيران ٢٠٠٧ ( ).

المسلمون في أمريكا: قراءة إحصائية

يبلغ عدد المسلمين في الولايات المتحدة ما بين خمسة إلى سبعة ملايين مسلم، ٣٣٪ منهم من أصول جنوب آسيوية، و٣٠٪ من الأمريكيين الأفارقة، و٢٥٪ من أصول عربية، بينما تتوزع بقيتهم على أصول مختلفة.

وتعتبر نسبة اعتناق الإسلام من النسب العالية في

This file was downloaded from QuranicThought.com

الولايات المتحدة، حيث تشير دراسة أشرفت عليها جامعة هارتفورد لدراسات الأديان إلى أن ما معدله ١٦ فرداً ينضمون إلى الإسلام في كل مسجد في الولايات المتحدة، وهي نسبة مستقرة تقريباً منذ عام ١٩٩٤()). ويبلغ عدد المساجد في الولايات المتحدة حوالي ١٢٠٠ مسجد().

وقد أشارت الدراسة ذاتها إلى أن ما معدله مليونا مسلم يرتادون المساجد على نحو منتظم، وهي نسبة عالية بالمقارنة مع عدد المسلمين، حيث يمثل هذا الرقم ما معدله ثلث عدد المسلمين في أمريكا، بمن فيهم الأطفال وكبار السن، وهي نسبة قد تزيد عن نسبة ارتياد المسلمين للمساجد في بعض الدول الإسلامية.

أزمة الخوف والإرهاب

أستطاع تنظيم القاعدة بما فعله في الحادي عشر من سبتمبر، وبما فعله في لندن ومدريد وغيرها، أن يشوّه صورة المسلمين في العالم أجمع، لكن المسلمين في الغرب كانوا الأكثر تضرراً، نتيجة للجهود التي قامت بها المجموعات العنصرية والإيديولوجية المناهضة للإسلام، حيث أسفر هذا الحلف غير المعلن بين المتطرفين من الجهتين إلى تحويل المسلم إلى متهم حتى لو ثبتت براءته، وتحوّل السفر عبر المطارات إلى رحلة من الإهانات العنصرية المعلنة وغير المعلنة.

ورغم أن الإرهاب قد استهدف مؤسسات غير إسلامية كما قال تنظيم القاعدة، إلاّ أن المسلمين دفعوا ثمنها مرتين، الأولى عندما سقط مسلمون ضحايا لهذا الإرهاب في كل العمليات التي جرت في نيويورك ولندن وغيرها.. وعانوا من الخوف مثلهم مثل بقية المواطنين هناك، ودفعوا الثمن ثانية عندما استُخدم دينهم في تبرير قتل الأبرياء، فأصبحوا أمام العامّة شركاء في الجريمة، ومتهمين محتملين لإرهاب قد يحصل.

دور المؤسسات الإسلامية

وبالتوازي مع الحملات الإعلامية المستمرة، منذ الحادي عشر من سبتمبر، لتشويه صورة المسلمين بشكل عام، فإن المراكز والمؤسسات الإسلامية هناك قامت بتنظيم حملات موازية للتعريف بالإسلام، ولتوضيح الصورة الحقيقية له، والدفاع عن حقوق المسلمين، ورصد أي تمييز يتعرضون له.

ويمكن هنا أن نعرض إلى تجربة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) كنموذج لعمل المؤسسات الإسلامية في أمريكا، حيث عمل المجلس كحلقة وصل بين المسلمين في الولايات المتحدة، وبين دوائر صنع القرار في واشنطن، فمن خلال مكتبها الذي يقع خلف الكونجرس تقوم المنظمة بالاتصال اليومي بأعضاء مجلس النواب لإطلاعهم على شكاوى المسلمين واقتراحاتهم وتوصياتهم، وهو أمر يلاقي تجاوباً من كثير من أعضاء الكونجرس، وقد أسفرت جهود المنظمة مع آخرين إلى افتتاح أول مسجد داخل الكونجرس، حيث تقام صلاة الجمعة داخل المبنى، ويمكن لأي شخص الدخول إلى هذا المسجد لحضور الصلاة فيه. كما قامت المنظمة بتنظيم حملة لتوزيع القرآن الكريم باللغة الإنجليزية مجاناً على المواطنين الأمريكيين، للتعرف على تعاليم الإسلام بشكل مباشر.

وبالتوازي مع جهود المجلس، تقوم الكثير من المؤسسات الأخرى بأدوار مختلفة في هذا المجلس، فقد قام الاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية والمؤسسة الوطنية للسلام بتنظيم برنامج للتعريف بالإسلام في أمريكا، واستهدف هذا البرنامج أئمة ودعاة من أربعة بلدان من الشرق الأوسط، ليقوموا بالتعرف مباشرة على أوضاع المسلمين في الولايات المتحدة، والحوار مع غير المسلمين هناك، وفي نفس الوقت يتضمن البرنامج زيارة لشخصيات أمريكية إلى الشرق الأوسط للتعرف على المؤسسات الإسلامية هناك، والحوار مع المسلمين في بلدانهم.

عقبات وعثرات

ورغم الجهود الكبيرة التي تبذلها المؤسسات الإسلامية المختلفة، إلاّ أن المراقب يمكن أن يكتشف عدداً من المشكلات التي تواجه العمل المؤسسي الإسلامي، وتحدّ من قدرته على عكس واقع الجالية وحجمها.

فمن ذلك أن كثيراً من المسلمين هناك لم يظهروا قناعة

This file was downloaded from QuranicThought.com

كافية في دعم برامج التربية على الديموقراطية والمواطنة وحقوق الإنسان، وهي البرامج التي تخدم قضيتهم أكثر من غيرهم، ويمكن أن يظهر ذلك من خلال دراسة تجربة مركز دراسة الإسلام والديموقراطية، وهو مركز تأسس عام ١٩٩٩ في واشنطن، وقام خلال السنوات الماضية بتنفيذ برامج مهمة وواسعة في جميع أنحاء العالم الإسلامي، واستطاع استقطاب الساسة الأمريكيين على مختلف فائتهم إلى أنشطته ومؤتمراته، إلاّ أن المركز يواجه أزمة مالية حادة منذ فترة طويلة، رغم أن المبلغ الذي يحتاجه المركز يمكن تأمينه من عدد محدود من المسلمين هناك.

ومن جهة أخرى يعاني جزء من المسلمين هناك من عوامل الفرقة التي يعاني منها المسلمون في العالم الإسلامي، حيث تستند الكثير من المؤسسات والأنشطة الإسلامية إلى تقسيمات طائفية أو جهوية تضعف من التأثير السياسي للمسلمين.

قراءة استشرافية

يظهر الواقع الحالي للمسلمين في الولايات المتحدة، أنه ورغم العقبات التي يواجهها العمل الإسلامي هناك، إلا أن العمل الإسلامي يشهد تطوراً ملحوظاً وملفتاً، حيث استطاع كيث أليسون أن يكون أول نائب مسلم في الكونجرس الأمريكي، بعد أن رشّحه الحزب الديموقراطي عن ولاية ديترويت في انتخابات عام ٢٠٠٦، حيث شهد الكونجرس أول قسم على القرآن الكريم.

كما تظهر الإدارة الأمريكية، ومراكز الدراسات الأمريكية، مزيداً من الانفتاح على المجتمع المسلم، مع زيادة في الأنشطة البحثية والفكرية والاجتماعية التي تهدف إلى التعريف بالإسلام والتعرف عليه، وزيادة وعي المواطن الأمريكي به، وهو ما يساعد على ردم الفجوة بين المسلمين في أمريكا والمؤسسات الأمريكية الرسمية والشعبية من جهة، وبين هذه المؤسسات والمسلمين في العالم الإسلامي.

This file was downloaded from QuranicThought.com

السياحة الدينية في الاردن

احمد ابودلو
المملكة الأردنية الهاشمية

هنا في الأردن، أرض أدوم، ومؤاب وعمون، وجلعاد، وبيريا، الكثير من الأضرحة والأماكن المقدسة للديانات السماوية، وإلى هذه الارض يفد المؤمنون الباحثون عن مواقع وآثار للأنبياء وللصحابة.

الأردن باب الفتوحات الاسلامية، وعلى الأرض الأردنية دارت المعارك التاريخية الكبرى، ومن أهمها معركة مؤتة، ومعركة فحل، ومعركة اليرموك.

ولتخليد ذكرى الشهداء والصحابة، أقيمت المساجد والأضرحة والمقامات، التي تبقى الإنتصارات الإسلامية حية في الذهن المعاصر، ففي مؤتة والمزار قرب مدينة الكرك الجنوبية يوجد ضريح جعفر بن أبي طالب، ومقام زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة.

ويوجد صرح تذكاري لفروة بن عمرو الجذامي، بالقرب من حمامات عفرا شمال مدينة الطفيلة، وقام الحارث بن عمير الأزدي، في جنوب الطفيلة بالقرب من مدينة بصيرا.

وفي وادي الأردن يحتضن عدداً من مقامات الصحابة الأجلاء ومنها: مقام ضرر بن الأزور بالقرب من بلدة دير علا، وقام الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح، الذي يقع في الغور المعروف باسمه، ومقام شرحبيل بن حسنة في بلدة المشارع، ومقام معاذ بن جبل، ومقام عامر بن أبي وقاص في الأغوار الشمالية.

قرب مدينة السلط يقع مقام النبي أيوب في قرية (بطنا). كما يوجد مقام النبي شعيب في منطقة وادي شعيب القريبة من السلط.

ولعل كهف أهل الكهف الواقع إلى الجنوب الشرقي من عمان، يعتبر من أهم المواقع الجاذبة للزائرين، حيث ذكرت وقائع قصة أهل الكهف في القران الكريم، إضافة إلى أنها معروفة في التاريخ المسيحي.

وفي عمان عاصمة الأردن حديثا التي عرفت في عهد العمونين باسم ربة عمون، وفي العهد اليوناني- الروماني باسم فيلادلفيا. وفي الواقع، فإن عمان واحدة من أقدم المدن في العالم التي ظلت مأهولة باستمرار. وفي الأصل، كانت عمان تقوم على سبعة تلال، أما الآن فهي تنتشر فوق مالايقل عن

This file was downloaded from QuranicThought.com

تسعة عشر تلاً.

عـــمـــــان: مدينة المآذن

ومن المدرج الروماني، يمكنك أن تسير في شوارع مركز المدينة العاصمة عمان، لتصل إلى المسجد الحسيني. وهذا المسجد ذو الطراز العثماني،أعيد بناؤه عام ١٩٢٤م بأمر من المغفور له جلالة الملك عبد الله بن الحسين مؤسس دولة الأردن الحديثة، فوق الآثار الباقية لمسجد بناه عام ٦٤٠م الخليفة الثاني عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- إضافة إلى ذلك، عليك أن لا تفوت الفرصة لزيارة مسجد الشهيد الملك عبد الله طيب الله ثراه. الذي أنجز عام ١٩٩٠م لإحياء ذكرى المغفور له الملك المؤسس عبد الله، والذي يشار إليه في أحيان بالمسجد ذي القبة الزرقاء لأن لون القبة من الخارج هو الأزرق السماوي.

وفي الجبيهة إحدى ضواحي عمان، يمكنك زيارة ضريح الصحابي الجليل عبد الله بن عوف الزهري - رضي الله عنه- وتدلك الحجارة المصفوفة على المكان الذي دفن فيه أحد العشرة الذين بشرهم النبي محمد صلى الله عليه وسلم بالجنة. وقد شارك عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عن - في جميع المعارك والغزوات الرئيسية للإسلام، بما في ذلك أحد(في المدينة المنورة)، والخندق، فتح مكة، وحنين، وبدر، التي جرح فيها، وكان هو الذي وقع صلح الحديبية نيابة عن المسلمين (إلى الغرب من مكة)، وهو صلح توافقي تمّ التوصل إليه بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقادة مكة، قدمت فيه مكة اعترافها السياسي والديني بالمجتمع الإسلامي المتنامي. وإضافة إلى ذلك، كان عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - رجل أعمال ناجح شارك الآخرين في ثروته بما عرف عنه من بذل وعطاء. ففي يوم واحد، تمكن من تحرير ٣١عبداً، وفي مرة أخرى تبرع بقافلة من سبعمائة بعير محملة بالطعام لعمل الخير، وأوصى عند وفاته بأن يخصص لعمل الخير ألف جواد وخمسون ألف دينار.

ويظل مبنى حديث ضريح الصحابي الجليل بلال رباح - رضي الله عنه - عند قرية بلال، في وادي السير، وهي ضاحية أخرى من ضواحي عمان، وقد اعتنق بلال - رضي الله عنه - الإسلام عندما كان عبداً، مما جلب عليه غضب سيده أمية بن خلف الذي حاول إرغامه على نبذ دينه بوضع صخرة كبيرة على صدره خلال فصل الصيف الذي تصل فيه درجات الحرارة في مكة إلى ذروة ارتفاعها. وقد حارب بلال - رضي الله عنه بشجاعة في غزوتي أحد وبدر حيث تمكن من الانتقام لنفسه من سيده السابق. وقد وهب الله بلالاً -رضي الله عنه- صوتا رخيما، وأصبح مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن المعالم التي يتقاطر إليها الزوار خارج عمان كهف الرقيم أو كهف أهل الكهف وقد ورد ذكره في القران الكريم في سورة الكهف، ويقع خارج قرية الرقيم، على مسافة عشرة كيلومترات شرقي عمان. وكانت مجموعة من الرجال الأتقياء، الذين عانوا من اضطهاد حكم تراجان اليوناني التسلطي لإيمانهم بوحدانية الله، قد التجأت إلى هذا الكهف. وحفاظا عليهم، جعلهم الباري يخلدون إلى النوم، وعندما استفاقوا بعد ٣٠٩ سنوات شمسية، ظنوا أنهم كانوا نياما ليوم أوبعض يوم فقط. وكانت المسيحية قد انتشرت عندئذ، وعندما اكتشف امرهم، كتب الله عليهم الراحة الأبدية. وعند الكهف مازالت هناك آثار بيزنطية ورومانية، بالإضافة إلى مسجد، مما يتفق تماما مع الوصف الوارد في القران الكريم.

مـــــادبا: فسيفساء الماضي

وإلى الجنوب من عمان تقع مادبا الشهيرة بأنها مدينة الفسيفساء والي تضم واحدة من أكبر مجموعات الفسيفساء في العالم، يعود تاريخ معظمها الى قبل ١٤٠٠ سنة على الأقل.

وأشهر لوحات مادبا الفسيفسائية وهي خريطة الأراضي المقدسة، تشتمل على مايزيد على مليوني قطعة من الأحجار الملونة تصور الأراضي المقدسة والمناطق المحيطة بها.

وعلى مسافة عشر دقائق بالسيارة من مادبا يقع جبل نبو أحد المواقع الأكثر أهمية في الأردن لدى اتباع الديانات السماوية.

فمن هنا تسرح نظرك لترى مشهد البحر الميت الرائع، وبانوراما الجبال، ومرتفعات القدس المتعالية التي تتراءى للناظر عن بعد. وعلى قمة جبل نبو، تقف حيث وقف النبي موسى عليه السلام ناظراً عبر نهر الأردن نحو فلسطين. وقد غدا جبل نبو المكان الذي دفن فيه بعد أن قاد شعبه من مصر عبر صحراء سيناء متجهاً إلى الأرض المقدسة. وقد كلم الله

This file was downloaded from QuranicThought.com

تعالى موسى عليه السلام بصورة مباشرة. ومن ثم أعطى موسى شعبه القوانين التي أوحى بها من السماء. وهناك إقرار بصورة عامة بأن موسى عليه السلام دفن في جبل نبو. بالرغم من عدم وجود ضريح فعلي يكون علامة على الموقع. ويصف القران الكريم بالتفصيل حياة موسى عليه السلام ورسالته. وفي الواقع، فإن موسى عليه السلام هو النبي الذي حظي بأن يذكر في القران الكريم مراتٍ تفوق كثيراً التي ذكر فيها الأنبياء الاخرون.

وعندما كان موسى عليه السلام بحاجة إلى الماء، ضرب صخرة بعصاه فظهر اثنا عشر نبعا. وهذه العيون التي تسمى عيون موسى تقع قرب مادبا. وبالقرب من مادبا أيضا قرية الشقيق التي تطل على الوادي الموجب، وفيها ضريح الصحابي الجليل أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه – الذي تحدد موقعه حجارة مصفوفة. وقد عرف أبي ذر – رضي الله عنه – بكرمه وصدقه، وكان من أوائل الصحابة الذين اعتنقوا الإسلام، وداعية مدافعاً عن مبدأ توزيع الثروات.

كان النبي يحيى (يوحنا المعمدان) عليه السلام ابن النبي زكريا عليه السلام، قد واصل عمل والده في الدعوة إلى كلمة الله. وعاش يحيى التقي الورع عليه السلام، ووعظ، وعمد في بيثاني(بيت عبرة) في وادي الأردن. وقد عمد يحيى عليه السلام أيضاً النبي عيسى (السيد المسيح) عليه السلام في بيثاني، وكثيراً مارافق السيد المسح عليه السلام عندما كان يقوم بالوعظ، وقد أصبح نبياً ورسولاً عندما خاطبه الله تعالى قائلاً»(وكان هيروديا، التي تزوجت الملك هيرودوس في مكاور. وقد أرسل رأس يحيى عليه السلام إلى دمشق، بينما بقي جسده في مكاور. ويمكنك زيارة هذا الموقع الذي يقع على قمة جبل في قرية مكاور قرب بيثاني التي تقع على مسافة ٣٢ كيلومتراً جنوب غرب مادبا..

الكـــــــرك: أرض الشهداء

وفي الكرك كانت معركة مؤتة (٦٢٩م) هي أهم المعارك التي جرت في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأشدها ضراوة. كما انه تسببت في مقتل أقرب صحابة النبي صلى الله عليه وسلم إليه، الذين استشهدوا وهم يحاربون الجيش البيزنطي الغساني المشترك، ويمكنك زيارة أضرحة الصحابة الأجلاء زيد بن حارثة – رضي الله عنه – وجعفر بن ابي طالب –رضي الله عنه – وعبد الله بن رواحة –رضي الله عنه – في مدينة المزار الجنوبي قرب الكرك.

وقد قاد زيد بن حارثة الصحابي الجليل – رضي الله عنه الذي تبناه النبي محمد صلى الله عليه وسلم، جيش المسلمين في معركة مؤتة، وخاض زيد – رضي الله عنه غمار المعركة بشجاعة نادرة حتى سقط مصاباً إصابة قاتلة. وهو الصحابي الوحيد الذي ذكر اسمه في القران الكريم، في قوله تعالى:﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لايكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذ قضوا منهن وطراًوكان أمر الله مفعولاً﴾.(الاحزاب:٣٧).

ولما سقط زيد رضي الله عنه، تسلم الراية نائب قائد الجيش الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم. وسمي جعفر الطيار لأنه وهو يواجه الموت قاتل ببسالة، وقبل أن يستشهد في معركة مؤتة حمل الراية بيمنه فقطعت، فحملها بيساره فقطعت، فاحتضن الراية بعضديه، وبعد ذلك بفترة قصيرة رأى الرسول صلى الله عليه وسلم جعفراً في رؤيا وهو في الجنة يجلس مع الشهداء الآخرين في المعركة وله جناحان بدل الذراعين، فسمي لدى عقبه بجعفر الطيار وكان جعفر يعرف بأنه أشبه الناس خلقاً وخُلقاً بالرسول صلى الله عليه وسلم وكان جواداً كريما يساعد المحتاجين حتى دعي أبا المساكين، وروي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد بعث جعفر – رضي الله عنه وارضاه – على رأس المهاجرين من المسلمين إلى الحبشة. وبعث المشركون وفداً برئاسة عمرو بن العاص لإعادة المسلمين إلى مكة. وجرت مناظرة بين الخصمين بحضور النجاشي (ملك الحبشة) فكان جعفر – رضي الله عنه جريئاً شجاعاً لايخشى في الحق لومة لائم، وظهر ذلك عندما سأله النجاشي عما يقول النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى بن مريم عليه السلام؛ ورغم ما في هذا الموقف من حرج، إذ إن الجواب عن هذا السؤال قد تكون له نتائج خطيرة جداً فجعفر وجماعته من المسلمين جاؤوا مهاجرين بدينهم وعليه حمايتهم كي لايسلمهم النجاشي لرسل قريش، إلا أن جعفراً – رضي الله عنه – رد بحكمة

This file was downloaded from QuranicThought.com

وثقة قائلاً: « نقول الذي جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو(عيسى) عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول». وقد نالت الإجابة رضا النجاشي، مما أدى به إلى السماح للمسلمين بالبقاء في الحبشة.

والصحابي الجليل عبد الله بن رواحة – رضي الله عنه – كان القائد الثالث الذي تسلم قيادة الجيش بعد زيد – رضي الله عنه – وجعفر –رضي الله عنه–وقد عرف عبد الله بن رواحة –رضي الله عنه– بين الصحابة بتقواه وطاعته وصبره وإضافة إلى ذلك كان مجاهداً محتسباً وجندياً وفياً للرسالة التي آمن بها وشاعراً في قومه يدافع عن عشيرته ثم أصبح شاعراً للرسول–صلى الله عليه وسلم– بعد إسلامه.

وقبل إستشهاده في معركة مؤتة. ولما علم أن الروم وأعوانهم من الغساسنة يزيدون أضعافاً مضاعفة عن جيش المسلمين. نهض وسط المسلمين وقال:

يا نفس إلا تقتلي تموتي

هذا حمام الموت قد صليت

وما تمنيت فقد أعطيت

إن تفعلي فعلهما هديت

وفي الكرك والمناطق المحيطة بها تقوم مواقع هامة لدى المسلمين. فاستجلاء لشهرة سفينة نوح، يمكنك زيارة مقام النبي نوح –عليه السلام– في مدينة الكرك. وقد أرسل الله نوحاً–عليه السلام– إلى قومه لينذرهم من قبل أن يأتيهم عذاب أليم من الله تعالى إذا ما استمروا في عبادة الأصنام، كما ورد في القرآن الكريم:

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين أن إعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾ (سورة نوح ١-٣)

وعرف النبي وملك إسرائيل سليمان –عليه السلام– بسداد الحكم والتقوى، ويقوم مقامه في صرفا قرب الكرك. وكان النبي سليمان –عليه السلام– يتمتع بسلطات عظيمة من بينها تسخير الريح له، وتسخير الجن له، وتعليمه منطق الطير والحيوانات الأخرى. ويعتبر سليمان –عليه السلام– معصوماً في الإسلام، مثله مثل أبيه النبي والملك داوود–عليه السلام–.

وقد ذكر النبي سليمان –عليه السلام– في ست عشرة آية في القرآن الكريم.

وفي الكرك أيضاً مقام زيد بن علي بن الحسين–رضي الله عنه– وقد كان النبي محمد–عليه السلام– وإماماً دينياً عرف بصلاحه وتقواه ووفرة علمه. وقد وصفه الإمام جعفر الصادق بأنه أفضل من قرأ القرآن الكريم بين أقرانه، والأكثر معرفة وعلماً بالدين، والأكثر براً بأهله وأقاربه.

وادي الأردن: أضرحة الصحابة

يمكنك الإنضمام إلى الزوارالآخرين في وادي الأردن وزيارة أضرحة صحابة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وقادته العسكريين. رضي الله عنهم جميعا، الذين استشهدوا في المعارك أو وقعوا فريسة لطاعون عمواس الذي عمّ أرض الشام في السنة الثامنة عشرة للهجرة.

كان الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنه – من أقارب النبي صلى الله عليه وسلم. ومن أوائل السابقين إلى الدخول في الإسلام. كما كان أبو عبيدة – رضي الله عنه أحد المسلمين الأوائل المهاجرين إلى الحبشة، وشارك من بعد في جميع الأحداث الرئيسية.

إضافة إلى ذلك، فهو أحد العشرة المبشرين بالجنة الذين ذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم. وباعتباره القائد الأعلى لجيش المسلمين الشمالي، نجح أبو عبيدة – رضي الله عنه في فتح بلاد الشام ولقبه النبي صلى الله عليه وسلم « أمين الأمة « لما كان يتمتع به من معرفة. وعندما توفي النبي صلى الله عليه وسلم، كان أبو عبيدة – رضي الله عنه بين المرشحين للخلافة، ولكنه اتفق مع الرأي القائل بأن أبا بكر الصديق – رضي الله عنه – هو المؤهل لقيادة المسلمين وتولي الخلافة لأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم طلب منه أن يؤم المصلين بعد وفاته. وهكذا نجح أبو عبيد – رضي الله عنه – في تجنب التمرد والفرقة بين المسلمين. وفي الثامنة والخمسين من عمره. أصيب بطاعون عمواس الذي عمّ أرض الشام. وفي الغور الأوسط، في وادي الأردن، يقوم ضريحه – رضي الله عنه في مجمع يضم مركزاً اسلامياً رئيسياً في مسجد، ومكتبة، ومركز ثقافي.

والصحابي الجليل معاذ بن جبل – رضي الله عنه – الذي

This file was downloaded from QuranicThought.com

عرف بالوسامة والكرم، أسلم وهو في الثامنة عشرة من عمره. وكان واحداً من الستة الذين كلفوا بجمع القران الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال عن معاذ – رضي الله عنه –: «وأعلمهم بالحلال والحرام (في الاسلام) معاذ بن جبل». وأن معاذاً سيكون في مقدمة العلماء جميعاً يوم القيامة. وقبل أن يرافق معاذاً أبا عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنهما – في فتوحاته، ويخلفه من بعده، أرسله النبي صلى الله عليه وسلم قاضياً ومرشداً لأهل اليمن. وشهد معاذ أيضا بيعة العقبة بين النبي محمد وأنصاره من المدينة. وقد توفي معاذ – رضي الله عنه – وهو في الثامنة والثلاثين من عمره في وادي الأردن، بعد أن انقضت حياته القصيرة في تدريس الدين والقران الكريم، وفي أيامنا هذه، يقوم ضريحه في مبنى حديث تعلوه خمس قباب. وكان الصحابي الجليل شرحبيل بن حسنة – رضي الله عنه – من بين أوائل المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة. وقد عرف بتقواه، وذكائه، وشجاعته، وإرادته الحكيمة الناجحة. وقد شارك شرحبيل بن حسنة بهمة عالية في معركة اليرموك وفتح بيت المقدس. وعندما أرسل الخليفة أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الشام، كان شرحبيل بن حسنة – رضي الله عنه قائداً للجيش المكلف بفتح الأردن. وفيما بعد، ولاه الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – منطقة واسعة من بلاد الشام حيث تميز بعدله في الرعية. وقد أصيب بطاعون عمواس في اليوم الذي أصيب فيه بالطاعون الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه.

والصحابي الجليل عامر بن أبي وقاص – رضي الله عنه – هو إبن خالة النبي صلى الله عليه وسلم، والرجل الحادي عشر في ترتيب الذين اعتنقوا الإسلام. وكان متشبثاً بدينه، صابراً مثابراً، بالرغم من أن أمه حمنة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية أقسمت أن تظل جالسة تحت الشمس الحارقة حتى يقوم عامر بانكار دينه الجديد. وهاجر إلى الحبشة وقاتل في غزوة أُحد. وكلِّف من بعد بنقل رسائل من قادة الجيش الإسلامي إلى الخليفة في المدينة. وإضافة إلى ذلك، كان نائباً للصحابي الجليل أبي عبيدة – رضي الله عنه– في ولايته على منطقة سوريا العسكرية. ويمكنك زيارة ضريحه – رضي الله عنه – في المبنى الجديد الذي أقيم فوق الأقبية في قرية وقاص في شمال الأردن.

أما الصحابي الجليل ضرار بن الأزور – رضي الله عنه – فقد كان شاعراً وفارساً وشجاعاً يعشق القتال، وقد شارك في حروب الردة، وفي فتح بلاد الشام مع شقيقته المتميزة خولة بنت الأزور. وفي مدينة دير علا يقوم مسجد تعلوه قبة ويضم ضرار بن الأزور – رضي الله عنه – وأسكنه فسيح جنانه، الذي توفي أيضاً بطاعون عمواس في السنة الثامنة عشرة للهجرة.

السلط: أرض محن الأنبياء

وفي السلط وحولها العديد من أضرحة البارزين من المسلمين ومن الآخرين الذين ورد ذكرهم في القران الكريم. ففي داخل مسجد حديث في وادي شعيب يقوم مقام النبي شعيب –عليه السلام– وهو من قبيلة مدين ووالد زوجة النبي موسى عليه السلام، وإليه التجأ موسى عليه السلام بعد أن قتل مصرياً خطئاً. وقد وعظ قومه تكراراً حول وحدانية الله ودعاهم إلى التخلي عن ممارساتهم مثل قيامهم ببخس الناس أشياءهم التي يبيعونها لهم بالغش والخداع. وفي مسجد إلى الغرب من السلط، وعلى تلة تحمل اسمه، يقوم مقام النبي يوشع عليه السلام وقد كان فتى النبي موسى عليه السلام، وخليفته من بعده. وقاد النبي يوشع عليه السلام جيش اسباط إسرائيل في غزوة لإرض فلسطين. وإلى الجنوب الغربي من السلط وفي منطقة تسمى خربة أيوب تشير اساسات مبنى قديم إلى المكان الذي دفن فيه النبي أيوب عليه السلام، الذي ورد ذكره في القران الكريم أربع مرات. وقد منحه صبره وإيمانه الأسطوريان القوة والعزم لتحمل المصاعب الجمّة. وقد صبر النبي أيوب عليه السلام صبراً جميلاً فآتاه الله تعالى رحمة من عنده، كما ورد في القران الكريموأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين.﴿فاستجبنا له فكشفنا مابه من ضر وآتيناه وأهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾. (الانبياء:٨٣-٨٤)

وتشير مجموعة من الحجارة إلى ضريح الصحابي الجليل ميسرة بن مسروق العبسي – رضي الله عنه المدفون غرب السلط في بلدة العارضة. وقد شهد حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في معركة اليرموك وفتح بلاد

This file was downloaded from QuranicThought.com

الشام. وكلف في العام العشرين للهجرة قيادة جيش تمكن بنجاح من مهاجمة الروم، وبذلك كان أول جيش للمسلمين يدخل أرض الروم.

إربـــــد: أرض الانتصارات

وفي إربد التي فتحها شرحبيل بن حسنة عام ٦٣٦هـ التقى الجيش البيزنطي مع الجيش الإسلامي في معركة اليرموك في آب (أغسطس) عام٦٣٩م. ويقوم هذا الموقع الذي جرت فيه المعركة على ضفاف نهر اليرموك في الطرف الشمالي للأردن. وكان عدد أفراد الجيش البيزنطي يفوق كثيراً عدد أفراد الجيش الإسلامي، ولكن القائد خالد بن الوليد رضي الله عنه قاد المسلمين إلى النصر. ومكنت هذه المعركة المسلمين من السيطرة على بلاد الشام.

وفي المزار الشمالي، قرب إربد مقام للنبي داود عليه السلام. وعندما كان طفلاً، قضى على جالوت، وخلف شاؤول واصبح بعده الملك الثاني لإسرائيل. إضافة إلى ذلك، فإن داود عليه السلام كان أحد الرسل الذين أوحي إليهم. وقد قضى داود بعض الوقت في الأردن عندما كان على خلاف مع شاؤول، ومن بعد عندما كان يقود الحملات.

يقع ضريح الصحابي الجليل أبي الدرداء – رضي الله عنه – داخل مبنى حديث في قرية سوم الشناق قرب إربد. كان بين الأكثر تقوى وإخلاصاً في الصحابة، واشتهر بقربه باستمرار من النبي صلى الله عليه وسلم. وعرف أبو الدرداء – رضي الله عنه بأنه قد تفوق على جميع من حوله في حفظ أحاديث النبي ونقلها. واشترك في الحملات العسكرية وعُيّن من بعد والياً لمقاطعة البحرين.

وأم قيس تعادل في أهميتها بيلا بين مدن الديكابولس، وكانت تعرف قديما باسم جدارا.

وقد اشتهرت في أيام مجدها كمركز ثقافي، وكانت أم قيس موطنا للعديد من الشعراء والفلاسفة مثل ثيودوروس الذي وصفها بأنها أثينا الجديدة. وتقوم أم قيس على تلة رائعة، وفيها شرفة على صف مبهرمن الأعمدة لآثار مسرحين، تطل على وادي الأردن،وعلى بحر الجليل (بحيرة طبريا) ومرتفعات الجولان. وقد اجترح عيسى المسيح عليه السلام معجزة الخنزير الجداري الشهيرة هنا.

وعلى رأس تلة، على مقربة من جرش، يمكنك زيارة مقام النبي هود عليه السلام. وهنا نشاهد مسجداحديثا يضم كهفاً يظنّ أن النبي هود عليه السلام دفن فيه. وقد بعث به الله تعالى إلى قبيلة عاد ليحذرهم ويدعوهم إلى عبادة الله الواحد الأحد بدل أصنامهم. والسورة الحادية عشرة في القران الكريم سميت باسم النبي هود عليه السلام.

القصور الأموية: مجد تليد

نقل معاوية بن أبي سفيان الخليفة الأموي (٦٦٧-٧٥٠م)عاصمة الامبراطورية الاسلامية من المدينة المنورة شمالاً إلى دمشق. ومن دمشق، توسعت الامبراطورية الاسلامية بصورة هائلة. وأعطى الأمويون للعالم عدداً من الموروثات المعمارية بما في ذلك قبة الصخرة المشرفة في القدس. ومسجد بني أمية الكبير في دمشق. وقد بنوا في الصحراء الأردنية مقصورات، وهي مليئة بالأرضيات الفسيفسائية، واللوحات الجصية، والجص المنحوت الذي يصور الناس، والحيوانات، والاحداث، والنماذج، وتتعالى القصور الصحراوية شاهداً على الفن الاسلامي المبكر الأخاذ والاصيل.

وقد كانت القصور الصحراوية منتجعات للخلفاء الأمويين يلوذون بها بعيدا عن صخب حياة المدينة، وللحفاظ على علاقة وثيقة مع القبائل التي كان الخلفاء بحاجة لدعمها. وأقيمت المباني أيضا على أراض زراعية ممتدة مروية بكثافة، صاحبتها في أحيان كثيرة بنى مائية متنوعة، ومن هنا كانت مراكز لإستعمالات زراعية. وقد غدت بعض البنى بمثابة استرحات للزوار العابرين في طريقهم إلى الحجاز.

ويمكن زيارة القصور الصحراوية:الخرانة، والمشتى، والقسطل، والطوبة، والحلابات، والموقر، وحمام السراة، وعمرة (الذي صنفته اليونسكو اثرا عالميا) في رحلة بالسيارة من عمان تستغرق يوما واحداً على طرق حديثة ممهدة.

البتراء: أعجوبة الدنيا الثانية

إن أعظم كنوز الأردن هي مدينة البتراء النبطية الفريدة. وهي من المواقع التي صنفتها اليونسكو كأثر عالمي، والتي تستقطب الزوار من جميع أرجاء العالم. ولتدخل البتراء عليك أن تمر من خلال السيق، ذلك الشق الصحراوي الضيق الذي يمتد طوله حوالي الكيلومتر، تسير فيه محاطا بجدار صخري

This file was downloaded from QuranicThought.com

منيف يصل ارتفاعه إلى سبعين متراً، مما يجعل البتراء واحدة من أفضل المدن حمايةً على مر العصور. ورؤية الخزنة الرائعة في نهاية السيق تجربة فريدة من نوعها. وقد حفر الانباط هذا الضريح الملكي الهائل بالصخر الأصم في واجهة الجبل. وعندما تستكشف بقية انحاء البتراء المحفورة في الصخور الوردية، تبدى لك السبب في تسميتها (المدينة الوردية).

وعلى قمة جبل النبي هارون عليه السلام يقوم مقامه عليه السلام وهو أخ النبي موسى عليه السلام وقد استجاب الله تعالى لرجاء موسى عليه السلام بأن يجعل هارون عليه السلام وزيره. وترك موسى عليه السلام هارون عليه السلام لينوب عنه عندما توجه ليكلم الباري جلت قدرته قرب جبل سيناء، بعد ان وعد قومه بأن يقدم لهم التوراة دستوراً ومستنداً قانونيا لهم. وقد توفي هارون عليه السلام قبل موسى عليه السلام وهو الاخ الأكبر، وطبوغرافية ضريح هارون عليه السلام تطابق تماماً الروايات التقليدية التي وردت في التراث الاسلامي والتوراة عن دفنه عليه السلام.

الطفيلة: أرض الكرامة

للصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنه – الذي أحبه النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، مقام في الطفيلة. وقد شارك في تسعة عشرة حملة عسكرية وكان الى جانب النبي محمد صلى الله عليه وسلم أثناء فتح مكة. وروى الكثير من الاحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، وشهد العديد من الاحداث والمعجزات الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقضى أيامه الاخيرة يحاضر في حلقة من طلابه في المسجد النبوي في المدينة المنورة.

وبالقرب من الطفيلة ايضا مقام النبي شيت عليه السلام الأبن الثالث للنبي أدم عليه السلام، الذي ينسب إليه ابتكار الفنون والحرف.

كما يوجد على مقربة من الطفيلة، قرب حمامات عفرا، مقام فروة بن عمرو الجذامي رضي الله عنه. وكان حاكم منطقة معان في العهد الروماني – البيزنطي حتى صلبه البيزنطيون (الروم) لاعتناقه الإسلام.

وبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل الحارث بن عمير الأسدي –رضي الله عنه– حاملاً رسالة، إلى حاكم بصرى الشام (في سوريا) يدعوه فيها الى الاسلام. وعندما وصل الحارث – رضي الله عنه – إلى الطفيلة، قبض عليه شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم منطقة مؤتة وقطع رأسه، وكانت هذه الحادثة أحد الأسباب التي أدت الى تجهيز الحملة العسكرية الاسلامية ومعركة مؤتة الشهيرة. وفي مبنى حديث على مسافة عشرين كيلو متراً جنوب الطفيلة، يمكنك زيارة ضريح المبعوث الوحيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استشهد أثناء قيامه بمهمته.

جنوب الاردن

في الجزء الجنوبي من الأردن، وقرب رأس النقب، تقع الحميمة موقع قاعدة الأسرة العباسية، والموقع الذي خطط لعملية استيلائهم على الخلافة الإسلامية من الأمويين.

وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الصحابي الجليل كعب بن عمير الغفاري – رضي الله عنه – إلى قبيلة قضاعة في جنوب الأردن ليدعوهم إلى الإسلام، ولكنهم قتلوه ومن معه، ويقوم مقامه في السلمانية، في مقاطعة الطفيلة.

وفي منتصف الطريق بين الحجاز وسوريا، على تلة تقع في أذرح، بين معان والشوبك، يقع جبل التحكيم. وهنا، وعلى هذا الجبل بعد معركة صفين، اجتمع أبو موسى الأشعري – رضي الله عنه ممثلا الخليفة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – بعمرو بن العاص– رضي الله عنه – ممثلا معاوية بن أبي سفيان، في مجلس تحكيم. وكان الجانبان قد وافقا على التحكيم لحسم نزاعهما. وإلى الشمال من مدينة معان جبل يسمى جبل الاشعري، وعليه مقام لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

This file was downloaded from QuranicThought.com

وسطية الاسلام

شعر: إحسان محمود الفقيه

وسطيةُ الإسلام سرٌّ بهائهِ ... والعدلُ رمزُ وجودِهِ وبقائِهِ
وسطيةٌ في منهجٍ متكاملٍ ... لتضمَّ كلَّ الخلقِ تحتَ لوائِهِ
فالعقلُ يسعى للحقيقةِ دائماً ... والقلبُ مشغولٌ بروحِ رجائِهِ
لا القلبُ يعطي للهوى ميثاقَهُ ... لا العقلُ يشقى في لَظى غلوائِهِ
دينٌ حنيفٌ مشرقٌ، مِنْ فوقِهِ ... اوتحته لمعتْ خيوطُ ضيائِهِ
نبذَ التطرُّفَ والغلوَّ لأنَّهُ ... ينحازُ للانسانِ في آرائِهِ
ودعا الى روحِ المحبةِ والتُّقى ... والى السَّلام الحِقِّ في آلائِهِ
فالامرُ شورى كيْ نعيشَ أعِزَّةً ... ويتيهَ هذا الكونُ في نَعْمائِهِ
وسطيةُ الاسلامِ أنْ نَسعى إلى ... هذا التكاملِ في رُؤى ايحائِهِ
نعطي الحياةَ حقوقها ونصونَها ... مِنْ كلِّ شرٍّ ماحقٍ ببلائِهِ
ونضيءُ هذا القلبَ بالذكرِ الذي ... يهفو الفؤادُ لنورِهِ وصفائِهِ
الحبُّ ديدتُنا ننشرُ عقيدةً ... سمحاءَ تحمي الكونَ مِنْ حُمقائِهِ
مَنْ اشعلوا هذي الحروبَ وروَّجوا ... لمباديءٍ مَسَّتْ صميمَ نقائِهِ
مَنْ ضيَّعوا دربَ الرشادِ وشوَّشوا ... برمادِ باطِلِهِمْ على حكمائِهِ
وسطيةُ الاسلامِ انْ ندعوا الى ... كونٍ جميلٍ رافلٍ برخائِهِ
واذا الثراءُ اصابَنا بنعيمِهِ ... جُدْنا بمدٍّ يدٍ الى فقرائِهِ
واذا تَنَكَّر لَلاخوةِ جاحِدٌ ... قُمْنا لندعوا كلَّنُا لاخائِهِ
واذا تصدى للسلامِ لقتلِهِ ... قُمْنا نصارعُهُ على احيائِهِ
اللهُ خالقُنا ومالكُ امرِنا ... جلَّ الالهُ هناكَ في عليائِهِ
يدعو الى وسطيةٍ بناءَةٍ ... وأُخوَّةٍ ترنو الى إرضائِهِ

This file was downloaded from QuranicThought.com

الرسالة الخالدة

سهاد علي جبر

إن هذا الدين الذي ارتضاه الله عز وجل ليكون خاتمة الرسلات السماوية ماوجد إلا ليبقى رغم كيد الكافرين وعبث العابثين، قال تعالى: ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا﴾. أن هذا الدين العظيم يحمل في طياته أسباب الخلود والبقاء، فهو رباني المصدر شامل كامل متوازن واقعي وسطي صالح لكل زمان ومكان، بل قل لا يصلح الزمان ولا المكان الا به، هو باختصار منهج حياة.

إن هذا الدين العظيم الرباني أستطاع أن يعيد إلى البشرية توازنها وللإنسان إنسانيته التي أوشكت أن تندثر، فكان رحمة للناس كافة مؤمنهم وكافرهم، فوالله ما شقيت البشرية ولا انحرفت فطرتها إلا عندما تخلى المسلمون عن دينهم، حينما حصروا هذا المنهج الكامل في لحية وسواك ونقاش مقيت في فرعيات لا تسمن ولا تغني من جوع، متجاهلين بذلك أنهم حملة الرسالة الخالدة وورثة الأنبياء في التبليغ، فضيعوا واضاعوا، هبطوا من القمة إلى القاع، ورضوا بالمنزلة الدنيا بعدما كانوا سادة العالم بالحق، تغافلوا عن أن لله سنناً ثابتة لا تتغير في كونه، وأنهم ما جعلوا خير أمة إلا لإنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، قال تعالى: ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾. فأمست البشرية بتضييع المسلمين لدينهم مريضة عليلة قتل وحروب، ووقار القوي يمتص دم الضعيف دولة وأفراداً، وأصبح الاسلام غريباً بين أهله، تحاول البشرية المعذبة أن توجد من الأنظمة والمناهج ما يصلح حالها، فأخذت تشرع وتقنن، فتاه الناس بين شيوعية ورأس مالية ومادية مقيتة وإلحاد، وازداد الأمر سوءاً واشتد المرض حتى باتت البشرية تحتضر.

الدواء بين أيديكم « أيها المسلمون » لا عذر لكم أمام الله على تقاعسكم، هذا دين عظيم أتباعه يجب أن يكونوا عظماء.. وشرف الانسان من شرف رسالته في الحياة، فهلا اتقيتم الله وقدرتم نعمته التي وهبكم إياها بين أيُديكم جوهرة مغطاة بالتراب؟! وهلاّ شمرتم عن سواعدكم ونفضتم عنها التراب؟!

This file was downloaded from QuranicThought.com

- عقد منتدى الوسطية للفكر والثقافة وبالتعاون مع جمعية الحديث الشريف ندوة علمية بعنوان « البعد الإنساني في شخصية النبي صلى الله عليه وسلم « وذلك يوم السبت ٢٠٠٧/٧/٢١ في مقر المنتدى.

وفي بداية الجلسة ألقى الدكتور محمد الخطيب عضو الهيئة الادارية في المنتدى كلمة رحب فيها بالحضور،وأكد أهمية انعقاد مثل هذه الندوات لتوضيح سيرة النبي صلى الله عليه وسلم،وأن هذه الندوة تأتي ضمن سلسلة نشاطات المنتدى الثقافية وقال الخطيب:إن هذه الندوة جاءت في زمن كثر فيه الظلم والإستبداد عن النبي صلى الله عليه وسلم قدوة البشريه في إنسانيته التي تتعلم منها البشرية الى يوم الدين،وأشار الى أنها الإنسانية العظيمة النابعة من الرحمة والتواضع،تلك التي لا تنطلق من المصالح السياسية والشخصية وإنما تنطلق من قيمة الإنسان مهما كان لونه أو دينه أو جنسه.

ومن ثم تحدث رئيس جمعية الحديث الشريف الدكتور سلطان العكايلة عن أهمية الندوة وأهمية البحث في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وعقدت الندوة على جلستين نوقشت في الجلسة الاولى ثلاثة أبحاث الأول بعنوان» حماية البيئة من منظور إسلامي» وقدمه الدكتور محمد القضاة والدكتور هايل داوود، وجاءت هذه الأبحاث لتؤكد على إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع البيئة بجميع عناصرها المتمثلة في الأرض وطريقة رفقه وحرصه على الحيوانات والماء والنباتات.

أما البحث الثاني فهو بعنوان «إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم في تعامله مع الاسرى «إعداد الدكتور عطاالله المعايطة،والبحث الثالث بعنوان»العلاقات الدولية من آثار الرحمة النبوية في السفارة والرسل»إعداد الدكتور شاكر العاروري.

وتحدثت هذه الأبحاث عن إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم في علاقاته الاجتماعية سواء مع بيته أو كيفية معاملته للشيوخ وكبار السن،وعلاقته بالجيران وأخلاقه في التعامل معهم،وماذا تعني له المرأة وكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعامل مع أصحابه،وماذا كان يعني له المرضى وذوي الاحتياجات الخاصة والأطفال والخدم والعمال واحترام النفس الإنسانية بعد الموت.

كما تضمنت الجلسة الثانية مناقشة ثلاث أوراق عمل الأولى بعنوان»الهدي النبوي في رعاية الحوار والقيام بحقوقه» من إعداد الدكتور محمد عيد الصاحب،والثانية بعنوان»عناية النبي صلى الله عليه وسلم بالطفولة المبكرة على ضوء حديث (يا أبا عمير ما فعل النغير)» إعداد الدكتور علي ابراهيم عجين،والثالثة بعنوان «انسانية النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين في السلم والحرب من خلال ساحة المعركة» إعداد الدكتور عدنان شلش.

وركزت هذه الأبحاث على إنسانية النبي صلى الله عليه وسلم مع غير المسلمين في السلم والحرب،وكيف كان يعامل الأعداء في ساحة المعركة وكيف يستفيد من الأسرى وطريقة سلوكه في أخذ المواثيق والعهود.

هذا وقد حضر الندوة جمهور غفير من المهتمين ودار نقاش علمي معمق حول أوراق العمل.

- شارك المهندس مروان الفاعوري رئيس المنتدى وبدعوة من المعهد الدبلوماسي الاردني في المحاضرة التي ألقاها الدكتور حيدر ابراهيم علي مدير مركز الدراسات السودانية والتي كانت بعنوان « أزمة دارفور وأبعادها الدولية وموقف العرب منها « وذلك يوم الاربعاء ٢٠٠٧/٧/١١.
- تحت رعاية معالي الاستاذ الدكتور عادل الطويسي وزير الثقافة وبالتعاون مع السفارة المغربية شارك المنتدى وبدعوة من رابطة الادب الاسلامي العالمية في حضور افتتاح اسبوع الادب المغربي الاسلامي في الاردن وذلك في المركز الثقافي الملكي يوم الثلاثاء ٢٠٠٧/٧/١٠.
- عقد منتدى الوسطية للفكر والثقافة ورشة عمل حول « مهارات العرض والالقاء» وذلك يوم الاحد ٢٠٠٧/٧/١ حضرها عدد من أعضاء لجنة شباب المنتدى.
- تحت رعاية عطوفة محافظة اربد وبمناسبة فوز اربد مدينة للثقافة لعام ٢٠٠٧ أقام منتدى الوسطية للفكر والثقافة / فرع اربد حفل إشهار المنتدى وذلك يوم السبت ٢٠٠٧/٧/٧ في القاعة الهاشمية بلدية اربد.
- قامت مجموعة من شباب كلنا الاردن في محافظة البلقاء بزيارة لفرع المنتدى في البقعة،حيث جرى حديث حول دور الشباب في العمل التطوعي والخيري وتم طرح أهداف المنتدى والتطلعات المستقبلية للمنتدى وأهم نشاطاته،وتم

This file was downloaded from QuranicThought.com

توزيع البروشورات الخاصة بالمنتدى عليهم.

- استضاف منتدى الوسطية / فرع البقعة عدد من المرشحين للانتخابات النيابية القادمة حيث دار الحديث حول البرامج الخاصة بهم وبعض القضايا المهمه ومناقشة الحلول التي تهم المنطقة،وتم خلال اللقاء تعريف بأهداف المنتدى ونشاطاته،وقد حضر اللقاء عدد كبير من اهالي المخيم والقرى المجاورة.
- أقام منتدى الوسطية للفكر والثقافة فرع السلط مناظرة لمرشحات انتخابات بلدية السلط الكبرى في مقرالفرع حيث دار حوار بين المرشحات وجمهور المدعوين حول الكوتا النسائية وضرورة دعم المرأة للوصول للمجلس البلدي.
- تواصل الاستعدادت في المنتدى لعقد المؤتمر الدولي الثالث،حيث أكد عدد كبير من العلماء رغبتهم بالحضور والمشاركة في هذا المؤتمر، وتعقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر جلسات متواصلة،حيث قامت اللجنة بتوزيع المهام الرئيسية على الاعضاء كل حسب اختصاصه،وباشرت اللجنة بطباعة الابحاث وتجهيزها لتكون في متناول الضيوف القادمين للمؤتمر.
- الموقع الالكتروني:

تم إضافة مواضيع جديدة وأبحاث تتعلق بالوسطية وأوراق العمل المقدمة من قبل المنتدى بمشاركاته بالندوات وورشات العمل خلال هذا الشهر وكذلك تقارير عن نشاطاته في مقره الرئيسي والفروع.

- بتنظيم من مؤسسة فريدريش ناومان والمركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة وبرعاية معالي السيد عمرو موسى الامين العام لجامعة الدول العربية شارك المهندس مروان الفاعوري في مؤتمر « اصلاح القوانين بين الواقع والطموح « والذي عقد في القاهرة بتاريخ ٢٧-٢٠٠٧/٦/٢٨.
- شارك المنتدى وبدعوة من المعهد الملكي للدراسات الدينية ومركز الكواكبي للتحولات الديمقراطية في حفل افتتاح المؤتمر التحضيري للمسار غير الحكومي العربي لتجمع الديمقراطيات وذلك تحت رعاية صاحب السمو الملكي الامير الحسن بن طلال،يوم الاثنين ٢٠٠٧/٦/١٨ في الجمعية العلمية الملكية.
- تحت رعاية صاحب السمو الملكي الامير الحسن بن طلال رئيس المجلس الاعلى للعلوم والتكنولوجيا،شارك المنتدى في حفل تكريم الفائزين بجائزة الامير حسن للتميز العلمي.
- عقد منتدى الوسطية للفكر والثقافة ورشة عمل بعنوان « القيم الاسلامية المدنية في المجتمع المعاصر « وذلك لتدريب عدد من اعضاء المنتدى وتنمية مهاراتهم القيادية والابداعية،وتناولت الورشة مفاهيم في خصوصية القرآن الكريم والوعي والتطور الذاتي من مدخل علم النفس،واسباب واساليب النجاح،والوعي النقدي للذات ومهارات القيادة،وذلك في فندق عمان الشام في الفترة من ٢٩-٢٠٠٧/٦/٣٠.
- بدعوة من مركز الاردن الجديد للدراسات شارك المنتدى في مناقشة مسودة نظام العمل الخاص بالتحالف المدني الاردني من اجل ديموقراطية الانتخابات وذلك يوم السبت ٢٠٠٧/٦/٢٣.
- اقام منتدى الوسطية / فرع البقعة نشاطاً يوم ٢٠٠٧/٦/١١ بمناسبة عيد الاستقلال والجلوس الملكي تخلله كلمة رئيس الفرع وكلمة القطاع النسائي وألقى عدد من الشعراء قصائد بهذه المناسبة الغالية،وفي نهاية الحفل تم توزيع الجوائز للفائزين في مسابقة القرآن الكريم ومسابقة افضل مقال وقصة وقصيدة ورسم التي اعلن عنها المنتدى بداية الشهر.
- ضمن فعاليات اربد مدينة الثقافة الاردنية لعام ٢٠٠٧ اقام منتدى الوسطية / فرع اربد محاضرة بعنوان « قانون الانتخابات البلدية « ألقاها المحامي زهاء المجالي من مركز عمان لدراسات حقوق الانسان وذلك يوم الاثنين ٢٠٠٧/٦/٤ في مقر المنتدى وقد حضرها عدد كبير من المهتمين والمتابعين.
- تواصلت الاستعدادت في المنتدى لعقد المؤتمر الدولي الثالث حيث أكد عدد كبير من العلماء رغبتهم بالحضور والمشاركة في هذا المؤتمر،وقد عقد اللجنة التحضيرية للمؤتمر عدة جلسات.
- بتنظيم من مؤسسة فريدريش ناومان والمركز العربي لتطوير حكم القانون والنزاهة وبرعاية معالي السيد عمرو موسى الامين العام لجامعة الدول العربية شارك المهندس مروان الفاعوري في مؤتمر « اصلاح القوانين بين الواقع والطموح « والذي عقد في القاهرة بتاريخ ٢٧-٢٠٠٧/٦/٢٨.

This file was downloaded from QuranicThought.com